في رحاب الإسلام

إلى الذين دخلوا في الإسلام حديثاً

إلى الذين يفكرون في الدخول في الإسلام

إلى الدعاة إلى الإسلام في هذه الأوساط

تساؤلات وإجابات

مركز دعوة وتوعية الجاليات بأبها

عام ١٤٢٠هـ

أجاب على أسئلة هذا الكتاب

أصحاب الفضيلة العلماء التالية أسماؤهم :

❖ العقيدة الإسلامية(٤٣ سؤالاً) :

الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي — الدكتور أحمد عبد العال

الدكتور علي بن حسن الألمعي — الدكتور محمد البريدي

الشيخ خالد بن ناصر الغامدي — الدكتور رشيد الألمعي

❖ القرآن الكريم (٨ أسئلة) :

الدكتور قاسم قثردي — الدكتور حسين عبد الهادي

❖ السنة النبوية (سؤالان) :

الدكتور صالح أحمد رضا

❖ السيرة النبوية (٨ أسئلة) :

الدكتور محمد مريزن عسيري

❖ مقاصد التشريع وفقه العبادات (٥٠ سؤالاً) :

الشيخ موسى إبراهيم الإبراهيم

❖ شؤون الأسرة (٢٣ سؤالاً) :

الدكتور محمود حسين الحريري

❖ المجتمع الإسلامي (١٠ أسئلة) :

الدكتور إبراهيم الحريري

❖ الإعجاز العلمي (٩ أسئلة) :

الشيخ معاذ مصطفى الخن

❖ راجعه لغويًا :

الدكتور جمال عبد العزيز — الدكتور عبد العزيز الخطيب

❖ النسخ والترتيب والمراجعة النهائية والإخراج :

مصعب موسى الإبراهيم — إبراهيم موسى الإبراهيم

❖ المشرف العام على إعداد هذا الكتاب :

الدكتور عبد الله أبو عشي المشرف على مركز دعوة وتوعية الجاليات بأبها.

هذا وقد شارك كثير من الإخوة الأحبة في إبداء المشورة والحوار أثناء إعداد هذا الكتاب، ونسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب الناس، ملك الناس، إله الناس، خالق الخلق أجمعين، الإله الحق المبين، خلق الإنسان من سلالة من طين، وخلق الملائكة من نور مبين، وخلق الجان من مارج من نار، أرسل الرسل وجعل الجنة للمؤمنين دارًا، والنار للكافرين قرارًا، وصلى الله وسلم على خاتم أنبيائه، المبعوث رحمة للعالمين أجمعين، بالدين القويم والصراط المستقيم، فدعا إلى الله وجاهد في سبيله، وأقام منارات العلم والهدى والخير والعدل، وأثبت أحكام الإسلام في خير دولة أقيمت على وجه الأرض، وأنشأ مجتمعًا هو خير مجتمع ظهر على وجه البسيطة، أما بعد.

فإن هداية الناس إلى توحيد الله وعبادته على الوجه الذي يحبه ويرضاه من أعظم الأعمال، وأشرف المقاصد وأنبل الخلال، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام التي من أجلها بعثوا، وبسببها حصل لهم ما حصل من إيذاء ومحاربة وعداوة ومناوئة واتهامات، وهي نتيجة طبيعية للصدام بين الحق والباطل والفضيلة والرذيلة والاستقامة والانحراف.

والدعاة والعلماء ورثة الأنبياء، ولكل واحد منهم نصيبه من إرث النبوة على قدر علمه وعمله، وينالهم ما نال متبوعيهم من أذى واتهام وتشكيك، وها نحن نرى أنه في هذا الزمان قد تخصص كل منهم في جانب من جوانب الدعوة إلى الإسلام والتبليغ به، واختط أسلوبًا يناسب مهمته، فمنهم من اشتغل بالتأليف والكتابة، ومنهم من استعمل أسلوب الوعظ والخطابة، ومنهم من اهتم بالتربية، ومنهم من اعتنى بالتزكية.

ومن الدعاة من توجه لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهدايتهم إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة، واتخذ في سبيل ذلك من الأساليب ما يتوافق مع ما يحتاجه هذا الجانب، واستعمل الأدوات المناسبة لهذا الميدان.

وقد قام هذا الصنف من الدعاة بأعباء هذا الواجب، وحصل لهم ما يحصل لغيرهم من الدعاة، ومن جنس ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من تكذيب واتهام وإعراض وصد عن الهدى الذي جاؤوا به، ومن ذلك استعمال أسلوب الأسئلة الشَّكِّية، والاعتراضات الريبية، والاستفهامات التي يحتاج صاحبها إلى إجابات شافية، والسؤالات المنطوية على اعتراضات وشكوك، تستهدف رد الحق وإنكاره وإبطاله لاسيما في هذا العصر الذي أصبحت فيه أمراض الشبهات والشهوات مؤصلة تدرَّس وتُحمى، ولها مراكز تعليم وإعلام، وقوى تدفعها وتدافع عنها.

في هذا الخضم المتلاطم، وهذه الأجواء الصعبة، تصدى ثلة من نبلاء الإسلام لدعوة بعض الوافدين إلى جزيرة العرب من أهل الملل الأخرى من نصارى ووثنيين، فهدى الله على أيديهم من أراد له الهداية والسعادة، وآخرون على أبواب الهداية، يحول بينهم وبين نور الظلمات ريب وتردد من بقايا ماضيهم المعتم، وأخلاط مما كانوا فيه من شبهات الضلال، وهم يتحرَّون من يرفع عنهم غم هذه الغيوم، بإجابات شافية، ومعلومات كافية.

وأهل هذا العمل من الدعاة يحتاجون أيضًا إلى زاد من العلم، في عملهم على رد الشبهات وكشف الزيوف وإبانة الحق وإظهار الحجة.

لهذا كله وغيره، كان هذا الكتاب الذي عمل على إخراجه بهذه الكيفية جُلَّة من المشايخ والأساتذة الفضلاء، بعد طول درس وبحث وحوار.

وقبل الولوج إلى أعماق هذا الكتاب، والدخول في تفصيل السؤالات والإجابات، لابد من مقدمة تحتوي على بعض القضايا، التي تعتبر سببًا في نشوء بعض الشُّبَه التي تتولد منها الإشكالات، عند من لم يرزق بَرْدَ اليقين في قلبه، وهذه القضايا هي:

أولاً: الخلفية الثقافية:

إن الخلفية الثقافية التي عاش عليها الإنسان تؤثر عليه في أحكامه ومعاييره، بعيدًا عن المعايير السليمة التي يجب أن يقيس بها الأمور والقضايا، وبالتالي يصبح بعيدًا عن الصواب جانحًا إلى الخطأ، أو يصبح -في أحسن أحواله- ملتبسًا عليه الحق بالباطل، ولنأخذ مثلاً إنسانًا يعيش في إحدى الغابات أو الجبال النائية مع قوم يؤمنون بالخرافات الوثنية، ويعيشون حياة متخلفة في أسلوبها وطريقة عيشها ومسالك أخلاقها، ثم انتقل هذا الإنسان إلى الحياة في جامعة علمية متطورة في أفكارها ونظمها وسائر مسالك الحياة فيها، وبمجرد أن اصطدم بهذا النوع من الحياة، المخالف لأنماط الحياة المتخلفة التي كان يعيشها في الغابة بدأ يحاكم الأفكار العلمية على ضوء خلفيته الثقافية الخرافية المتخلفة، ويحاكم النظم وأنواع السلوك التي لم يعرفها ولم يعهدها على ما كان يعهده في الغابة من سلوك بهيمي أو نظام فوضوي.

ترى هل تصح هذه المقايسة والمحاكمة؟ وهل يخرج صاحبها منها بأي حقيقة أو فائدة؟

إن كثيرًا من الذين يعترضون على الإسلام بصورة كيدية مباشرة، أو بطريقة التوائية غير مباشرة، يسلكون المسلك ذاته الذي يسلكه رجل الغابة المتخلف عندما يحاكم جامعة علمية متطورة على ميزان خلفيته الثقافية المتخلفة.

إن الواحد من هؤلاء يقوم بإسقاط تصوراته السابقة عن الإسلام من غير أي التزام بمنهجية علمية، أو طريقة برهانية توضح الخطأ من الصواب والصحيح من الفاسد.

فالنصراني مثلاً يأتي بخلفياته الخاطئة عن الله تعالى وأنبيائه ثم يبدأ بطرح الأسئلة وفق هذه الخلفية الخاطئة، فيقول مثلاً: أنتم تقولون بأنكم تعبدون إلهًا واحدًا والحقيقة غير ذلك، فأنتم تتشبهون بالنصارى القائلين: باسم الأب والابن وروح القدس، حيث تقولون بسم الله الرحمن الرحيم.

ونحو ذلك من الأسئلة المبنية على مقدمات خاطئة، وخلفيات ثقافية باطلة.

إن من المحتم على الإنسان أن يبحث عن الحق بدليله وبرهانه، ولا يدع خلفيته الثقافية السابقة مسيطرة عليه، بل عليه أن يفحصها تحت مجهر الحق والحقيقة بالبرهان والدليل.

وبسبب سيطرة خلفيته الثقافية السابقة –قديمة كانت أو معاصرة– نجد أسئلة خاطئة، لأنها مبنية على معلومات خاطئة، وما الحديث عن الحرية والمساواة إلا مثالاً صريحًا على هذا الصنف من الأسئلة، بل يمكن القول إن معظم الأسئلة المستفهِمة أو المشكِّكَة تأتي من هذا الباب، ولهذا كان لزامًا تبيان هذه القضية لتصحيح تفكير الذين يتعاملون مع الإسلام مثل تعاملهم مع ديانة محرفة، أو وثنية مخرفة، أو نظريات باطلة أنتجتها عقول البشر لا تستند إلى منهجية علمية حقيقية.

ثانيًا: الحرية:

وهي من أوسع الأبواب التي ترد منها الأسئلة الشكية أو التشكيكية، وهي أيضًا من نماذج الخلفيات الثقافية الخاطئة التي تنتج أحكامًا خاطئة.

وقد فتن العالم اليوم بما يسمونه "حرية" واعتبرها أساس التحضر والعدالة والتميز والتقدم والرقي.

ذلك أن أوروبا كانت قد خرجت من الاستبداد والظلم الذي كان سائدًا قبل الثورة الفرنسية، والذي كانت تصادر فيه حقوق الضعفاء، وحريات الأفراد الذين لا يستطيعون انتزاع حقوقهم، وكانت الكنيسة ورجالاتها من أعظم وأبشع من رسخ المظالم بين فئات المجتمع وأفراده، ومن أكبر من سوغ للطبقات الحاكمة والثرية ظلم الناس واستعبادهم.

فثار الناس في أوروبا عدة ثورات كان أهمها الثورة الفرنسية التي طرحت شعارات الحرية والمساواة والإخاء، واستغلت المنظمات والتوجهات ذات المطامح الخاصة شعار الحرية فوسعت مفاهيمه وكبرت دائرته في غفلة من الناس وانتكاس في مفاهيمهم، وذلك حين سيطرت على نفوسهم الشهوات وغلبت على عقولهم الشبهات.

وأصبحت مكيدة التحرر المنفلت من أي ضابط أو قيد شائعة عامة تقضي حمم بركانها على منطق العقل ومبادئ الأخلاق ومصالح الناس أفرادًا وجماعات.

واستغل مردة الفساد من اليهود وأدواتهم هذا السعار الهائج عند الناس فأججوا نيرانه، ومددوا حواشيه شيئًا فشيئًا ليشمل كل العقائد والقيم الخلقية والضوابط السلوكية، وذلك من خلال تدنيس كل مقدس، وتشويه كل القيم الدينية والأخلاقية، والقضاء على الوازع الديني والسلوكي في الفرد والمجتمع تحت لواء الدين الجديد والإله المعبود من دون الله المسمى "حرية وتحررًا".

وكان الهدف من وراء هذا المكر طمس إنسانية الإنسان وتحويله إلى وحش كاسر وحيوان هائم، يفسد ويدمر ويقضي على المبادئ والقيم والأخلاق والفضائل تحت شعار الحرية.

واندفع الناس مفتونين بهذا الشعار كل يرتع في الفساد والإفساد بأقصى طاقاته وإمكانياته، فالمنحرفون في أفكارهم وعقائدهم استخدموا شعار الحرية لتحطيم العقائد الصحيحة والتشكيك فيها، وترويج الإلحاد والعدمية والانحرافات الاعتقادية.

والمنحرفون في مجال النظم الاجتماعية والإدارية والسياسية وغيرها، استعملوا شعار الحرية لتفتيت المجتمعات، والاحتيال على النظم بألوان الغش والاحتكارات وحيل الربا والمضاربات، وألاعيب الأحزاب الانتخابات.

ومع توسيع شعار الحرية واستيلائه الماكر على عقول وقلوب أكثر البشر أصبح كل ضابط للفكر من عقيدة صحيحة أو دين قويم، وكل ضابط للسلوك والقيم من مبادئ أو أعراف أو سلطات يعتبر عند عباد هذه الحرية المنفلتة عدوًا للإنسان، مدمرًا لكرامته مستبدًا بحقوقه!!

وهكذا استحكمت حلقات هذا الكيد حتى أصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وأصبح المفسد مصلحًا والمصلح مفسدًا، وأصبح العاقل الرشيد التريه منغلقًا ومتخلفًا ورجعيًّا، والأحمق الشهواني عاقلاً متحضرًا متقدمًا!!

ولو نظرنا في الحرية التي فتنت بها البشرية في هذا الزمان، وأصبحت شعارًا يرفع لتسويغ كل انفلات وفساد وفوضى، ولو نظرنا في الحرية في ماهيتها وحقيقتها الوجودية، لوجدنا أنه لا توجد حرية مطلقة بلا ضوابط ولا حدود؛ وذلك لأن في الإنسان ميلاً طبيعيًا للالتزام والانضباط بأشياء معينة ينفذها، ولو وجد الإنسان نفسه منفلتًا من كل التزام يأتيه من خارج ذاته لفرض على نفسه قضايا معينة والتزم بها تلبية

لما في طبيعته من رغبة في الالتزام؛ ذلك لأن حياته الفردية لا تستقيم إلا بالتزامه بنظام معين في حياته، فهناك مواعيد ليقظته ومنامه وطعامه وعمله وراحته، هذا في شأنه الفردي، أما في الشأن الاجتماعي فإنه لا يخلو من علاقات منظمة بأفراد أسرته وأفراد مجتمعه، وذلك لأن من المعلوم ضرورة أن حياة المجتمع لا تستقيم إلا بالتزام نظام معين يشمل العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما يشمل الأنماط السلوكية والأخلاقية.

وخلاصة القول أنه لا يمكن تصور حياة فردية ولا جماعية بلا نظام أو ضابط أو التزام، وهذه جميعها قيد للحرية المطلقة، وبرهان جلي على أنه لا توجد حرية مطلقة من كل قيد.

وبما أن الأمر كذلك في واقع الحال، فلا شك أن الدعوة إلى الحرية المطلقة ليست سوى دعوة لما لا وجود له حتى في واقع الداعين إليها، وشعار مخادع ينطوي على الغش والتلبيس؛ لأن الحرية المطلقة لا وجود لها، ولا يمكن أن توجد، لأنها ليست جزءًا من طبيعة الإنسان الذي خلقة الله وفيه ميل طَبَعِيٌّ للالتزام.

فما المغزى من وراء هذا الصراخ الطويل عن الحرية؟

إنه باختصار إجابة داعي الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)(١).

فحرية الفكر لدى التقدميين تعني الإلحاد وجحد الدين، وإنكار الوحي والرسالة، وتعني عند التحريين"الليبراليين" الشك في دين الله وأنبيائه وممارسة الانحلال الخلقي والفوضى الجنسية، وظلم الأقوام الآخرين، ونهب ثروات البلدان وخداع الناس، والتلاعب بعقول الشعوب، وممارسة الاحتكار والتحايل الاقتصادي والقانوني

(1) سورة القصص الآية ٥٠

والسياسي، كل هذا وغيره من الفظائع تحت ستار"الحرية"، وتحت شعار حرية الفكر، وحقيقة القضية قضاء المأرب والأهواء والشهوات والرغبات، وتحقيق المطالب الخاصة، وليس الجانب الفكري إلا ستارًا يغطون به عبوديتهم للأهواء والشهوات، ثم يزعمون أنهم أحرار الفكر.

ثالثًا: المساواة:

وهو شعار آخر من الشعارات المعاصرة التي ولجت منها أدران الشبهات على عقول كثير من الناس، ودخلت منها المشكلات على حياتهم، حيث قامت الصراعات بين أفراد المجتمع وطبقاته بسبب مطالبتهم بالمساواة.

وقد أحدث شعار المساواة أنواعًا من المغالطات والخداع للناس، وأصبح بعد أن مُدِّدت أطرافه وعُمِّمت مضامينه ينطوي على فتنة عظيمة للبشر، خاصة بعد أن اصبح عند المفكرين والكتاب والمنظرين أصلاً من أصول المبادئ الإنسانية، وقاعدة من قواعد التقدم والتحضر والرقي.

وانطلقت تحت مظلة هذا الشعار الخادع عواصف الظلم والتعسف والعدوان، حيث اندفع البطالون والكسالى يطالبون بالمساواة مع الجادين والعاملين، وطفق الجاهلون ينشدون أن يكونوا على قدم المساواة مع العلماء، كما تطاول السفهاء والمفسدون يطالبون أن يكونوا في درجة واحدة مع أصحاب التراهة والفضل والصلاح والاستقامة، وأخذت النساء يطالبن بالمساواة مع الرجال في كل أمر، وأخذ العالة الفاشلون يطالبون بالمساواة مع المجتهدين الناجحين، وهكذا اهتزت الموازين واضطربت ضوابط الحياة، وقامت في بلدان عديدة ثورات أفسدت الحرث والنسل، وقامت في بلدان أخرى منظمات وجمعيات تطالب بالمساواة الظالمة، ملغية في حسابها سنة الله في خلقه، وهي السنة الكونية القائمة على مبدأ التمايز والتفاضل.

وإذا نظرنا إلى قضية المساواة نظرة حقيقية واقعية، وجدنا أنها تناقض العدل؛ إذ لا يكاد يوجد في الوجود شيئان متساويان من كل وجه تمام المساواة، ومن الظلم التسوية بين المتفاضلين.

والتمايز – الذي هو سنة كونية – موجود في كل شيء، في الأحياء والجمادات والنباتات والحيوان والإنسان.

فليس الحديد كالذهب، وليس الحنظل كالنخل، وليس الخنزير كالغزال، وليس الجاهل كالعالم ولا الذكي كالغبي ولا النافع كالضار.

فلا يصح عقلاً ولا واقعًا التسوية بين الأجناس والأنواع والأفراد، وهي في حقيقة الأمر متمايزة متفاضلة فيما بينها.

ولذلك لم تستطع الأنظمة والنظريات والمذاهب الفلسفية المعاصرة أن تقيم المساواة بين الناس، ومن أظهر الأمثلة على تلك الأنظمة؛ الاشتراكية والشيوعية، مع أن الأنظمة الديمقراطية مترعة بأنواع الظلم الجاري باسم المساواة، ولكنها مغطاة بآلة الدعاية والإعلام الضخمة، وبغلالات مزخرفة من الألاعيب الديمقراطية.

إن المناداة بالمساواة المطلقة مجانبة لمبدأ العدل، ومناقضة لحقائق الأشياء، ومصادمة لقضية التمايز التي جعلها الله في الخلق، وبهذه المناداة القاسطة تقوم الأحكام على الظلم، وتسير الحياة سيرًا مضطربًا.

ولا شك أن البشرية عاشت وتعيش ألوانًا من الاستبداد والظلم وطغيان بعض أفراد المجتمع وطبقاته على بعض، ومن هنا توجه الناس إلى مبدأ المساواة الذي رفع أخيرًا، معتقدين أن فيه الخلاص من الظلم والطغيان، ولكنهم كانوا بمثابة من استجار من الهيجاء بالنار.

وكان من الأولى أن يتوجهوا إلى مبدأ العدل الذي تقوم موازينه على أحكام الحق، والتي منها مراعاة جوانب التفاضل والتمايز القائمة في الواقع، والثابتة في الحياة، وهو التمايز الذي ذكره الله تعالى في قوله: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم)(١)٠

وهو التفاضل الذي ابتلى الله تعالى به الناس ليمتحنهم بالعطاء الذي أعطاهم إياه، قال تعالى:(كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)(٢)٠

ولأجل الاختلاف في هذا العطاء بين الناس نهى الله تعالى المؤمنين عن تمني ما فضل به بعضهم على بعض فقال: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليمًا)(٣)٠

ولأجل هذا التمايز جعل الله تعالى القوامة للرجال على النساء، وهو تمايز قائم على خصائص في التكوين والخلقة والقدرة والاستعداد والصفات والمؤهلات الجسدية والعقلية والعاطفي، حيث جعل لكل من الجنسين وظيفة تناسبه وتؤهله للقيام بدوره الاجتماعي على الوجه الصحيح، قال الله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)(٤)٠

إذًا فالمساواة بين المتفاضلات ظلم وعدوان، ومخالفة لبرهان العقل ودلالة الواقع، وفي الكتاب الكريم الأدلة على عدم المساواة بين الأمور المختلفة، بل فيه بيان أن هذا

---

(1) سورة الأنعام الآية ١٦٥

(2) سورة الإسراء الآيتان ٢٠-٢١

(3) سورة النساء الآية ٣٢

(4) سورة النساء الآية ٣٤

التساوي لا يصح ولا يثبت ولا يستقيم، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)(١)، وقال سبحانه: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)(٢)، وقال ﷻ: (وما يستوي الأعمى والبصير ✍ ولا الظلمات ولا النور ✍ ولا الظل ولا الحرور ✍ وما يستوي الأحياء ولا الأموات)(٣)، وقال تعالى: (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ✍ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ✍ مالكم كيف تحكمون)(٤).

فإذا كان التمايز والتفاضل موجودًا فالعدل يقتضي عدم المساواة، وأما الأمور المتساوية حقيقة فالعدل يقضي بلزوم التسوية بينها في الأحكام، ومن أمثلة ذلك:

أن الناس متساوون في الخلق، فكلهم لآدم وآدم من تراب، ومتساوون في كونهم عبيدًا لله تعالى، وفي كونهم مطالبون بتوحيد الله وعبادته.

ومتساوون في وجوب حفظ حقوقهم الخاصة من التعرض لها وانتهاكها بغير حق، في الجسد والمال والعرض والعقل والنفس وما إلى ذلك.

ومتساوون في وجوب إعطائهم الحق الذي لهم، وأخذ الحق الذي عليهم، ومتساوون في حقوق التقاضي ومجريات القضاء في حال الإدعاء أو رد الدعوى.

ومتساوون في أصل حق التملك وأصل حق التصرف في المُلك، ومتساوون في حق العمل والكسب وتعلم ما يلزمهم لصلاح دنياهم وأخراهم.

وهكذا كل أمر فيه التساوي بين الخلق فإن العدل يكون في التسوية، كما أن التفاضل والتمايز بين الخلق فإن العدل فيه عدم التسوية بين المتفاضلات، إذ العدل هو

---

(1) سورة الزمر الآية ٩

(2) سورة المائدة الآية ١٠٠

(3) سورة فاطر الآيات ١٩-٢٢

(4) سورة القلم الآيات ٣٤-٣٦

وضع الشيء في موضعه الصحيح، وإعطاء كل ذي حق حقه، وأما المساواة فقد تكون بإعطاء غير ذي الحق حقَّ غيره، أو إشراكه فيه، وهذا ظلم وعدوان.

رابعًا: العبودية لله تعالى:

قضيتان لا ينفك عنهما إنسان:

الأولى: خضوعه وانقياده لشيء ما، لقوة أعلى منه وأقوى من فرديته.

الثانية: اتساؤه واقتداؤه بغيره.

هاتان القضيتان من أهم الركائز الأساسية في الإنسان، ومن أكبر المؤثرات في تصرفاته ومشاعره وعلاقاته، ووجودها في الإنسان ضرورة، كوجود الحب والبغض والإرادة.

ولهذا وجه الله تعالى الإنسان إلى ما به هدايته وصلاحه وسعادته انطلاقًا من هاتين القضيتين، ودل الإنسان على أنه لا نجاة له إلا بتوجهه السليم فيهما، وبين له هذا التوجه، وجعل له من الدلائل والبراهين والركائز ما يقوي هذا التوجه ويؤيده.

فأما القضية الأولى: فقد خلصه الله من كل خضوع وانقياد يتعسه ويشقيه، ووجهه إلى أن يكون عبدًا لله تعالى وحده، وبذلك ينال الشرف والعزة والمكانة والسعادة، فإن أبى فإنه لن يتخلص من العبودية، ولكنه سيقع في شتات معبودات باطلة زائفة زائلة، وينحدر بذلك عن درجة الكرامة إلى دركات المهانة.

وهذه قضية حتمية لا انفكاك منها بحال من الأحوال، وهي حاصلة في واقع الناس حصولاً حقيقيًا، وأساس حتميتها أن في الإنسان حاجةً وفقرًا إلى عبادة ما، وهو بين حالين لا ثالث لهما، إما أن يتوجه بعبادته لله وحده فيكون بذلك موحدًا مطيعًا سعيدًا في الدنيا والآخرة، وإما أن يتوجه بعبادته إلى غير الله من الآلهة الكثيرة المصطنعة،

كالهوى والشهوة والمال والملذات والقوانين والأعراف والأحزاب، وكل ما تجاوز حده من محبوب أو متبوع أو مطاع.

فإن كان الأمر بهذه المثابة -وهو كذلك في الواقع- فلا فلاح للإنسان إلا بعبوديته لخالقه ومالكه والقادر المهيمن عليه وعلى كل شيء.

وهو إذا فعل ذلك فقد ترقى في درجات الكمال الإنساني، وأصبحت لحياته قيمة عالية غير تلك القيمة التي انحدر إليها من يعبد غير الله تعالى.

وكلما كانت عبوديته لله أقوم كانت كمالاته أوفر، ولذلك فالمسلم الحق حريص على التحلي بصفة العبودية، التي تعني الاستسلام الكامل لأمر الله ونهيه من غير اعتراض ولا ارتياب، ذلك لأنه أضحى مستيقنًا أنه لا خلاص له ولا نجاح إلا بتحقيق هذه العبودية والسير في مدارجها نحو رضى الله تعالى الذي هو غاية كل مؤمن به.

ومن أسس وأصول هذه العبودية أن المؤمن بالله ربًا وإلهاً يسير تحت ظلال الطاعة منفذًا كل ما يطلب منه ربه سواء عرف الحكمة من ذلك أو لم يعرف، وسواء أدرك عقله المغزى أو لم يدرك؛ لأنه حين شهد أنه لا إله له ولا معبود له إلا الله فقد التزم بناء على ذلك بطاعة الله طاعة مطلقة لا خيرة فيها ولا تردد ولا التواء.

وبهذا المعنى المتكامل يتضح معنى العبودية لله وضرورته وشدة الحاجة إليه.

فمن لم يفهم هذه المعاني العظيمة على وجهها فلا يُستغرَب أن تصدر منه الاعتراضات والشكوك، لأن عقله لم يستطع النهوض من حضيض الجهالات والعبوديات المنحرفة.

أما القضية الثانية: فقد جعل الله الرسل الكرام وهم أفضل الخلق وأكمل البشر، جعلهم قدوة للناس، وجعل الاتساء بهم طريقًا للخير والفضل والبهجة، وسفينة للنجاة من أمواج وأهوال وظلمات القدوات البشرية منذ القدم وإلى اليوم.

ومن أجل هذه الضرورة جعل الله الإيمان بالأنبياء قرينًا للإيمان به ﷻ.

ومن أوضح الدلالات على ذلك أن الركن الأول من أركان الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ومن حكم هذا الأمر أن النبي ﷺ هو المثال الواقعي لتطبيق العبودية الكاملة لله تعالى، ولذلك وجب أن يكون هو القدوة والأسوة الذي لا بد لكل مسلم من اقتفاء أثره والسير على منهجه.

وبهذا تتكامل معاني العبودية والاقتداء في طريق مستقيم واحد يوصل السائر عليه إلى رضوان الله والجنة.

أما من لم يفهم هذه المعاني فهو بمثابة الأكمه، الذي ولد أعمى، لو وصف له جمال الألوان فإنه لا يعي من ذلك شيئًا، وكذلك الذي لا يدرك معاني العبودية المتكاملة وآثارها الفاضلة يطرح أسئلة من قبيل: لماذا تقبل الحجر الأسود؟ ولماذا تضحي في عيد الحج؟ ولماذا تصلي الظهر أربعًا والمغرب ثلاثًا؟ ونحو ذلك من الأسئلة التي تنبعث من قلب من لم يفهم العبادة حق فهمها، ولم يذق حلاوتها ولم يعرف قدرها وثمرتها وشدة حاجة الناس إليها.

نسأل الله الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على بنينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباب الأول

في رحاب العقيدة الإسلامية

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

س١) ما دامت الأديان الرئيسة الثلاثة قد نزلت من عند الله ﷻ فلم كانت هناك اختلافات في مفهوم ذات الله ﷻ بينها ؟ ولماذا يطلب من المسيحي أو اليهودي أن يترك دينه ليدخل في الإسلام ؟

ج١) لاشك أن الأديان الثلاثة قد نزلت من عند الله ﷻ، ولا خلاف بين الأديان الثلاثة في إفراد الله تعالى بالعبادة ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وما الاختلاف بين هذه الأديان إلاَّ شيء طارئ ، وذلك بعد أن عمد أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل ما نزل إليهم من ربهم ، ومن هنا ظهر الاختلاف في ذات الله تعالى ، فالاختلاف إذن بين الإسلام الذي أنزله الله تعالى على رسوله وبين ديانات حرفت وبدلت، وعلى هذا فالاختلاف ليس بين ديانات صحيحة وإنَّما هو اختلاف بين دين صحيح حق وديانات باطلة محرفة، لعبت بها الأيدي الخبيثة فانحرفت بها عن جادة الصواب.

ونحن نطلب من النصراني واليهودي أن يترك دينه ليدخل في الإسلام بقصد عودته إلى الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل جميعاً .

ثُمَّ إن الناظر المنصف إذا نظر إلى دين الإسلام وإلى غيره من الأديان فإنه يرى البون الشاسع بين الإسلام وغيره ، فيجد في الإسلام الحق والتوحيد ، ويجد في غيره البدع

والشرك، ويجد في الإسلام العدالة والتسامح ويرى في غيره العنصرية والتمييز ، ويرى في الإسلام الالتزام والاحتشام ، ويرى في غيره الانحلال والفساد .

س٢) ما الحكمة من خلق الناس؟ وهل الله ﷻ في حاجة لأن يعبده الناس؟

ج٢) إن الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله ﷻ قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(١)، وأول ما يطالب به الإنسان معرفة الله تعالى بالتوحيد حتى يعبده حق عبادته، ومن ثَمَّ يقوم بمهمة الاستخلاف التي خلق من أجلها، لينال السعادة في الدنيا والآخرة، وهو محتاج إلى هذا أشد من حاجته إلى الطعام والشراب والهواء ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ)(٢)، والله تعالى غني عن عبادة الخلق، فلا تنفعه عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ولكن قصة وجود الإنسان في هذه الأرض من بدايتها إلى نهايتها ابتلاءٌ واختبارٌ، وإن تعددت وتنوعت جوانبها وأشكالها .

فالحياة دار ابتلاء يجتازها الفرد والجماعة، ومن هنا استحق بعض العباد المدح والثواب على أفعالهم، واستحق بعضهم الذم والعقاب .

---

(1) سورة الذاريات الآية ٥٦

(2) سورة فاطر الآية ١٥

س٣) تقولون : إنكم تعبدون إلهاً واحداً، والأمر في الحقيقة غير ذلك،فأنتم تشبهون النصارى؛ فالنصارى يقولون: "باسم الأب والابن والروح القدس إلهاً واحداً " وأنتم تقولون: "بسم الله الرحمن الرحيم " مثلهم ، فما إجابتكم ؟

ج٣) إن الأب عند النصارى هو الخالق ، والابن هو يسوع المخلص، والروح القدس هل هو حياته أو هو خلق من خلقه اتخذه الله ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً ، وسواء كان روح القدس هذا أم ذاك ، فإن النصارى يعتقدون بالأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص، وكما يقولون ، وحدية في تثليث ، وتثليث في وحدية كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد ... إلخ .

إذن فالإله الواحد عندهم مكون من ثلاثة أصول مختلفة منفصلة هو الثالوث عندهم، ففي الحقيقة ليس إلهاً واحداً ، وإنَّما هو ثلاثة آلهة في إله واحد ، قال تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ)(١)، أي الله الخالق ثالث بالنسبة للابن وروح القدس.

أمَّا قول المسلمين: "بسم الله الرحمن الرحيم" فالله والرحمن والرحيم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى التي تزيد عن تسعة وتسعين اسماً كلها تدل على ذات واحدة .

والاسم ليس شيئًا منفصلاً عن المسمى وإنَّما الذات المسماة والموصوفة لا توجد إلاَّ بأسمائها وصفاتها ، بخلاف أقانيم النصارى ، وهو الثالوث المنفصل المشتمل على أقانيم منفصلة هي : الأب ، والابن ، وروح القدس .

---

(1) سورة المائدة الآية ٧٣

س٤) كيف تزعمون أن إلهكم رحمن رحيم وقد خلق الشرور في العالم من الأمراض والبراكين والسموم والزلازل والكراهية وغيرها من الشرور ؟

ج٤) الجواب على هذا من وجوه :

الأول: أن الله تعالى هو رب العالمين وإله الخلق أجمعين ، قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (١)٠

الثاني: لا ريب أن رحمة الله شاملة لجميع المخلوقات قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)(٢)، فمن رحمته الإنعام على الخلق ورزقهم وما أعطاهم من سمع وبصر ونعم لا تعد ولا تحصى .

الثالث: إن ما يوجد في هذا العالم من آلام وأمراض وسموم وزلال وبراكين وغيرها لا يعد شراً محضاً ، بل هو شر من وجه وخير من وجه آخر ، فهو شر بالنسبة لبعض الناس الذين نزلت بهم هذه الشرور عقوبة لهم على عصيانهم أو كفرهم ، وخير بالنسبة إلى غيرهم تذكيرًا وتنبيهًا لهم من غفلتهم ، فضلاً عما في ذلك من إظهار لقدرة الله وتصرفه في خلقه وملكه كما يشاء وفق عدله وحكمته ، وكل ذلك من رحمته ﷻ وحكمته وعدله .

س٥) هل يبيح الإسلام السجود لغير الله؟ وإذا كان الجواب بالنفي، فلم خرَّ إخوة يوسف ووالديه سجدًا له؟

ج٥) بداية يمكن القول إن السجود نوعان:

---

(1) سورة البقرة الآية ١٦٣

(2) سورة الأعراف الآية ١٥٦

١– سجود يراد منه العبادة والتقرب للمسجود له، وهذا لا يجوز إلا لله ﷻ، وهذا السجود إذا كان لغير الله فهو شرك.

٢– سجود يراد منه تكريم المسجود له على سبيل التحية والتشريف، وهذا النوع من السجود ليس شركًا، وقد كان مشروعًا في الشرائع السابقة ثم نسخ وحرم في شريعة الإسلام، ولو كان شركًا لما جازت شرعيته ولما وقع نسخه، لأن الشرك لا يحتمل الجواز والنسخ، وإنما يكون ذلك في الشرائع.

ومن هذا القبيل كان سجود إخوة يوسف ووالديه له، فقد كان على سبيل التحية والتعظيم لا على سبيل العبادة، وكان هذا السجود بهذا الاعتبار جائزًا في شريعة يوسف عليه السلام ثم نسخ وحرم في شريعتنا.

روى عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك لك ، فقال النبي ﷺ: "فلا تفعلوا، فإني لو كنتُ آمراً أحدا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... الحديث"(١) .

فسجود معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم سجود تكريم لما رأى من حال أهل الكتاب، ولم يرد بسجوده العبادة قطعًا، كما يتقرب إلى الله بالسجود، ولما علم النبي ﷺ أن سجوده ليس عبادة نهاه عن ذلك ، فكان ذلك نسخًا لسجود التعظيم والتحية .

---

(1) أخرجه أبو داود في النكاح ٢١٤٠، والترمذي في الرضاع ١١٥٩، وابن ماجة في النكاح ١٨٥٣، وأحمد ٣٨١/٤، والحاكم ١٨٧/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي

وقد سجد أبو يوسف وإخوته له ، بل أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وليس ذلك سجودَ عبادةٍ ، وإنَّما هو سجودُ تكريمٍ وتشريف .

الفصل الثاني

الإيمان بالرسل والرسالات

س٦) ما الدليل القاطع على أن تعاليم محمد ﷺ كلها من عند الله ؟

ج٦) الأدلة القاطعة على أن ما جاء به النبي ﷺ هو من عند الله تعالى كثيرة منها:

١– نفس ما أمر به ونهى عنه ، فمن نظر في ذلك وجد أنها كلها في غاية المصلحة والنفع لسائر البشر في كل زمان ومكان، وأنها تتفق مع العقل السليم والفطرة النقية مثل الأمر بصلة الرحم ومكارم الأخلاق والنهي عن أكل الربا وسائر الفواحش .

٢– نفس ما أخبر به ، فما من خبر أخبر به النبي ﷺ إلاَّ كان صدقًا، وإخباره على قسمين :

الأول: إخبار عن أمور ماضية، وهي أخبار صادقة يؤيدها ما جاء في الكتب السابقة، وما ثبت في العلوم والمكتشفات الحديثة مثل ما يقوله علماء الجيولوجيا عن زمن الطوفان ومثل ما يرى من آثار ثمود والفراعنة .

الثاني: إخبار عن أمور مستقبلية وقد وقعت أحداث أخبر بها النبي ﷺ كحدث الحريق الذي حصل في المدينة سنة ٦٥٤ هـ ، وإصلاح الحسن بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما– بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ومثل اجتماع اليهود في أرض فلسطين اليوم، ومثل ظهور النساء الكاسيات العاريات ، وانتشار الربا والفساد الخلقي وكثرة القتل وغير ذلك .

٣– نفس سيرته وأخلاقه –عليه الصلاة والسلام– فمن رأى كيف كانت حياته وأخلاقه أيقن بأن هذه الأعمال لا تصدر إلاَّ عن صادق أمين ، ومن نظر فيما تحقق له من نصر الله له وتأييده وقهر أعدائه وانتشار دينه جزم بأن هذا نبي مؤيد من الله وكل ما جاء به هو من عند الله تعالى .

٤– بعض المكتشفات العلمية المعاصرة الموافقة لما جاء به النبي ﷺ مثل مراحل حياة الجنين ، وكيفية تخلق اللبن في البهيمة ، ووجود الحاجز المائي بين البحرين الملتقيين، وكون الصعود في السماء سببًا للاختناق لانعدام الأكسجين ، وكون البحر الميت أخفض مكان على سطح الأرض ، وغير ذلك .

٥– المعجزات التي جرت على يديه، ورآها خلق كثير من موافقيه ومعارضيه ، مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وإبراء المرضى ، وغير ذلك ، ومن أعظم معجزاته القرآنُ العظيمُ الذي لا يزال يثبت في كل عصر دلائل صدق من جاء به .

س٧) من هو النبي ؟

ج٧) النبي رجل من البشر اختاره الله تعالى ونبّأه بالوحي وأمره بتبليغه لمن بعث إليهم .

س٨) كيف يُمكن أن يكون محمد ﷺ إمام الأنبياء أجمعين في حين أنه آخر المرسلين ؟

ج٨) إن التفضيل حق لله تعالى وهو فضل منه يهبه لمن يشاء ويختص به من يشاء، وفق علمه وحكمته، ثُمَّ إن قضية التفضيل لا علاقة لها بالتقدم والتأخر، فهو وموسى

وعيسى عليهما السلام من آخر الرسل وهما أفضل من جميع الأنبياء الذين سبقوهما ماعدا نوح وإبراهيم عليهما السلام .

ثُمَّ إن دينه عليه الصلاة والسلام جاء بما جاء به الأنبياء من قبل من عقيدة وأخلاق، وأما الأحكام فعدل منها ونسخ منها وأضاف عليها بأمر من الله تعالى، وبذلك كانت رسالته أشمل وأكمل ، ولها الهيمنة على ما سبقها فاستحق أن يكون صاحبها إماماً لمن قبله، وإن الأنبياء الذين سبقوه قد أخذ عليهم العهد ليؤمنن به ولينصرنه، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)(١) .

فمن كان هذا حاله فلاشك أنه هو الأفضل .

س٩) ما الدليل على أن عيسى لم يكن إلهًا، إنَّما كان رسولَ الله فحسبُ ؟

ج٩) إن المسيح عيسى عليه السلام كما ورد في الإنجيل والقرآن كان مولوداً لمريم العذراء التي كانت واحدة من بنات آدم الذي خلقه الله من تراب ، والمعلوم أن من كان مولوداً فلا يصح أن يكون إلهاً،كما كان عليه السلام يأكل ويشرب ويجوع ويحزن ويفرح، وله كل أحوال البشر، وأن خلقه بطريق المعجزة من غير أب ليس بأعجب من خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم.

ويدل ذلك على قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شيء ، وقد كان عليه الصلاة والسلام، عبداً رسولاً فحسبُ، وأنزل عليه الإنجيل ليبلغه كسائر من اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالته، ولهذا يبرأ يوم القيامة ممن اتخذه إلهاً من دون الله أو شريكًا معه، فيقول لله

(1) سورة آل عمران الآية ٨١

سبحانه كما أخبر ﷻ عن ذلك في القرآن الكريم: (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)(١)٠

ويقال أيضاً لمن أورد السؤال: ما الدليل على أن عيسى عليه السلام إله، مع أنه لا يتصف بشيء من خصائص الإله ، وما أيد به من المعجزات فهي من تأييد الله له كما أيد غيره من الأنبياء .

س١٠) على أي نحو كان عيسى مسلماً ؟ وكذلك سائر الأنبياء ؟ .

ج١٠) لاشك أن دين الأنبياء جميعاً من آدم إلى محمد ﷺ واحد يدعو إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما دونه، وهذا هو الإسلام، قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ)(٢)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٣)، وقال عن الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)(٤)٠

وفي الحديث : "الأنبياء إخوةٌ لعَلاَّتٍ، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد"(٥)٠

---

(1) سورة المائدة الآية ١١٨

(2) سورة آل عمران الآية ١٩

(3) سورة آل عمران الآية ٦٧

(4) سورة المائدة الآية ١١١

(5) رواه البخاري رقم٣١٨٧، وأحمد رقم ٩٢٥٩ ٠ والعلات: الضرائر، وأبناء العلات الإخوة لأب غير الأشقاء٠

س١١) إذا كان الناس قد تمكنوا من تحريف رسالة عيسى أو تبديلها، أليس ذلك بدليل كاف على أنه قد أخفق في رسالته؟ وإذا كان عيسى عليه السلام رسولاً عظيماً من عند الله فكيف يُمكن لله أن يجعل رسالته تؤول إلى الفشل؟

ج١١) لا يقال إن عيسى عليه السلام أخفق في رسالته، بل بلَّغ رسالة ربه التي أُرسل بها بلاغًا مبينًا، وأيده الله بالمعجزات الباهرة والحجج القاهرة وآمن به جمعٌ من الناس، والتحريف الذي وقع للإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام إنَّما هو بعد رفع عيسى عليه السلام والفشل والإخفاق إنَّما يُنسب إلى من وقع منه من الأتباع الذين لعبت بهم الأهواء.

وفي هذا يقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ✍ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(١) .

س١٢) إذا كانت رسالة الله هي نفسها رسالة واحدة ، فلماذا تجزأ إرسالها إلى البشرية بدلاً من أن ترسل جملة واحدة؟

ج١٢) إن رسالة الأنبياء جميعًا واحدة وهي تتضمن الدعوة إلى توحيد الله تعالى واجتناب الطاغوت (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(٢)، وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(٣) .

أمَّا تعدد الرسل فلأسباب منها:

---

(1) سورة المائدة الآيتان ١١٦،١١٧

(2) سورة النحل الآية ٣٦

(3) سورة الأنبياء الآية ٢٥

١– إقامة الحجة على الناس في كل عصر (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(١) .

٢– تخصيص كل أمة بتشريع يتناسب مع طبعها وظروفها (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) (٢).

٣– تنوع اللغات وتعددها اقتضت أن يرسل الله تعالى الرسول أو النبي بلسان قومه، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)(٣).

س١٣) هل يحق للمسلم أن يمزج إيمانه بعقائد أو مبادئ أخرى؟

ج١٣) لا يجوز للمسلم أن يمزج إيمانه بعقائد أو مبادئ أخرى تنافي الأصول التي قامت عليها العقيدة الإسلاميَّة فلا يجتمع التوحيد مع الشرك أو اتباع السنة مع البدعة أو حب الله وحب غيره معه وهكذا ... .

س١٤) لم بُعِثَ الرسل الأوائل إلى مناطق جغرافية محددة بعينها؟ وما حكم المناطق التي لم يرسل إليها رسول ؟ لماذا لم يبلغها رسل؟

ج١٤) ثبت في الأحاديث أن عدد الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى في الأمم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ، وأمَّا الرسل فعددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رسولاً(٤) .

وهذا العدد الكبير من الأنبياء والرسل يؤكد انتفاء خلو أمة من الأمم أو منطقة ما من نبي أو رسول، قال الله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)(١)، وقال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)(٢).

---

(1) سورة النساء الآية ١٦٥

(2) سورة المائدة الآية ٤٨

(3) سورة إبراهيم الآية ٤

(4) رواه أحمد ١٧٨/٥ رقم: ٢٥١٨٦، والحاكم ٢٨٨/٢ رقم: ٣٠٣٩، وأبو داود الطيالسي ص٦٥ رقم: ٤٧٨

س١٥) لماذا يعد محمد ﷺ آخر الأنبياء في حين أن عيسى عليه السلام سوف يعود للظهور مرة أخرى ؟

ج١٥) إن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء فلا نبي بعده، كما قال عليه الصلاة والسلام، ونزول عيسى عليه السلام من السماء ليست بعثة جديدة، وإنَّما هو عود إلى الأرض مرة أخرى ليقرر دين الإسلام وشريعته التي جاء بها نبينا محمد ﷺ والتي هي آخر الشرائع السماوية، كما أخبر بذلك نبينا محمد ﷺ بقوله: "يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد "(٣) .

وفي حديث طويل: "ويدعو الناس إلى الإسلام فيُهلِك الله الملل كلها إلاَّ الإسلام"(٤)

فمجموع هذه الأدلة تدل دلالة واضحة على أن ما يأتي به عيسى عليه السلام هو دين الإسلام وشريعة محمد ﷺ ولا يخرج عن ذلك، بل إنه يصلي خلف رجل من المسلمين، كما قال ﷺ: " كيف بكم إذا نزل فيكم عيسى ابن مريم وإمامكم منكم"(٥) .

ومن الحكم التي ذكرها العلماء في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان :

١ – تقرير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ.

---

(1) سورة فاطر الآية ٢٤

(2) سورة النحل الآية ٣٦

(3) رواه البخاري ١٤٣/٤ كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى، ومسلم ١٣٥/١ كتاب الإيمان، باب نزول عيسى

(4) رواه البخاري في كتاب الأنبياء رقم: ٣٤٤٢، ومسلم ١٨٣٧/٤ رقم: ٢٣٦٥، وأحمد ٥٧٦/٢

(5) رواه البخاري ١٤٣/٤ كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى، ومسلم ١٣٥/١ كتاب الإيمان، باب نزول عيسى

٢ – الرد على اليهود والنصارى في زعمهم أن عيسى قُتِلَ وصُلِبَ .

٣ – أن نزوله عليه السلام لدنوِّ أجله ليدفن في الأرض .

٤ – أن إخبار نبينا عليه الصلاة والسلام بنزول عيسى هو دليل على صدقه ﷺ إذ إنه أخبر بنزوله و لم يخفه، وهو الذي أخبرنا أنه خاتم الأنبياء ولا نبي بعده ، ولا يُمكن أن يتناقض فيما أخبر به لصدقه وتبليغه من ربه .

س١٦) كيف يمكن القول بأن عيسى لم يمت في الوقت الذي يؤكد فيه القرآن وفاته في سورة آل عمران؟

ج١٦) لم يرد في القرآن الكريم نص يدل على موت عيسى عليه السلام الموتة النهائية ، وإنَّما الذي ورد لفظ الوفاة والتوفي ، وهذه ألفاظ لا ينحصر معناها في الموت ، بل تحتمل معاني أخرى منها : استيفاء المدة وعيسى عليه السلام قد استوفى مدة مكثه الأول في الأرض ، ومنه قوله تعالى: (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)(١) أي : آخذك وافيًا بروحك وبدنك كما يراد بلفظ التوفي أيضًا النوم، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) (٢)٠

وقد جزم القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل كما زعم النصارى ، بل رفعه الله تعالى إليه ، قال تعالى : (... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ✍ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ ...)(٣)٠

---

(1) سورة آل عمران الآية ٥٥

(2) سورة الأنعام الآية ٦٠

(3) سورة النساء الآيتان ١٥٧– ١٥٨

وأمَّا الآية التي في سورة مريم فهي قوله تعالى: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)(١) لا تدل على وفاته، بل الآية ذكرت ثلاثة أيام يوم ولادته ويوم وفاته ، ويوم يبعث يوم القيامة .

فمر منها يوم وبقي يومان ، هما يوم وفاته بعد نزوله إلى الأرض ، ويوم يبعث بعد الوفاة، والقول الصحيح أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حيّاً وسينزل حياً إلى الأرض.

س١٧) كيف يُمكن إثبات أن المسيح عليه السلام لم يصلب ؟

ج١٧) يجاب على هذا بعدة أوجه:

أولاً: إن كل ما يتعلق بالصلب محل اختلاف واضطراب بين الأناجيل المعتمدة عندهم مثل كيفية الصلب ومدته وتاريخه وحامل الصليب وعلة الصلب واللصان والمصلوب وصلاة المصلوب وصرخة اليأس على الصليب وشهود الصلب وما حدث في أعقاب الصلب ... فهي متناقضة في ذلك تناقضاً لا يقبل الجمع ، فدل هذا على بطلان عقيدة الصلب من أساسها .

ثانيًا: إن علة الصلب مبنية على عقيدة الخطيئة والتكفير التي تخالف العقل والنقل، فهي باطلة لتضمنها القدح في عدل الله وحكمته وإيقاع العقوبة على من لا يستحقها، وتحميل البريء ما لا ذنب له فيه ، إذ كيف تتحمل ذرية آدم خطيئة ذنب لم يقترفوه وقد تاب آدم منه وتاب الله عليه .

ثالثًا: أن القرآن الكريم الذي هو كلام الله حقيقة قد نفى وقوع الصلب نفيًا قاطعًا كما قال تعالى: (... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ

(1) سورة مريم الآية ٣٣

مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً)
.(١)

(1) سورة النساء الآية ١٥٧-١٥٨

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب الإلهية

س١٨) تقولون دائما:إن التوراة والإنجيل محرفتان، فلماذا إذًا تستشهدون بهما أحيانًا في بعض المواضع التي تناسبكم؟

ج١٨) أحب أن أوضح أن من عقائد المسلمين الثابتة والتي هي من أصول الإيمان عندهم الإيمان بإنزال الكتب من الله على أنبيائه، ومن ضمن هذه الكتب التوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ والزبورُ وصحفُ إبراهيم. فالمسلمون يؤمنون في الجملة بأن التوراة والإنجيل منزلة من عند الله ﷻ ولكن حرف أصحابها فيها كما أخبرنا الله ﷻ بذلك

وعليه فليس كل التوراة والإنجيل محرفة، وليس كل ما يزعم اليهود والنصارى أنه من التوراة والإنجيل كله من عند الله، وأمام هذا الواقع قرر علماء الأمة الإسلامية منهجًا عدلاً لا جور فيه ولا لبس فيه على أحد في موقفهم من هذه الكتب وهذا الموقف يتجلى ويتضح في الآتي:

أولاً: ما كان موافقًا للحق الذي بأيدينا آمنا به وصدقناه وقبلناه واستشهدنا به في إقامة الحجة على من يؤمن به.

ثانيًا: ما كان مخالفًا للحق الذي أتانا من الله رددناه وعلمنا أنه من تحريف البشر ولم نستشهد به ولم نقره.

ثالثًا: ما لم يكن موافقًا ولا مخالفًا للحق الذي جاءنا من الله ﷻ فهذا نسكت عنه لا نرده ولا نقبله خشية أن نرده وهو من عند الله أو نقبله وهو مما حرف وهذا

الموقف أرشدنا إليه الصادق الأمين ﷺ، حيث ورد ما معناه "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم".

وعلى هذا يتضح أننا عندما نستشهد بشيء من كتبهم نستشهد بشيء عندنا ما يؤيده أنه حق لا بمجرد الهوى أو اتباع الظن.

س١٩) لِمَ لَمْ تُحفظ الرسالات السماوية كما حُفظ القرآن الكريم ؟

ج١٩) لقد وكَلَ الله تعالى حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها ، قال تعالى: (...بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)(١)، ولكنهم ضيعوها بالتحريف والتبديل والإخفاء، ولا ضير فإن الله يعلم أنه سينزل كتابًا أخيرًا تكون تعاليمه وأحكامه صالحة للبشرية مهما تطورت إلى أن تقوم الساعة.

أمَّا القرآن الكريم فلم يكل الله حفظه إلى العباد ، بل تكفَّلَ بحفظه هو، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٢)، لعلمه سبحانه بأنه خاتم الكتب المنزلة إلى بني آدم، فالضرورة قائمة بأن يكون محفوظًا مصونًا، ولذلك بقي القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله له ، فلا يستطيع الناس أن يصنعوا به ما صنع بالكتب السابقة .

س٢٠) هل هناك بقية من الصدق في الأناجيل الحالية ؟

ج٢٠) إن الأناجيل الحالية كما يقرر محققو النصارى إنَّما سجلها مؤرخون عن سيرة المسيح وتبشيره في الأمصار ، فهي ليست وحيًا من الله تعالى ، وبناءً على هذا فقد حوت حقًا من الأخبار وباطلاً، والحق الذي فيها قليل إذا قورن بما فيها من

(1) سورة المائدة الآية ٤٤

(2) سورة الحجر الآية ٩

الباطل، ولاسيما فيما يتعلق بتأليه عيسى عليه السلام وجعله ابنًا لله تعالى ، وكثيرٍ من العقائد والشرائع والأخبار المنحولة على عيسى عليه السلام.

وموقف المسلم مِمَّا ورد في الأناجيل الحالية أنه إذا ورد في شرعنا ما يدل على صدقه فيجب تصديقه وما جاء في شرعنا ما يدل على تكذيبه يجب تكذيبه ، وما لم يعلم صدقه من كذبه فلا يصح الجزم بتصديقه أو بتكذيبه .

س٢١) ما المعايير التي بموجبها يُمكن للمرء أن يميز الدين الحق والدين المزيف ؟

ج٢١) الدين الذي أرسل الله به جميع أنبيائه حق كله، وما طرأ على الأديان السابقة من فساد إنَّما كان بسبب طارئ على الدين وهو تحريف من قبل البشر الذين استحفظوا ذلك الدين و لم يحفظوه، وأمَّا المعايير التي بموجبها التمييز بين الحق والباطل فمنها:

١– النظر في مضمون هذا الدين أمرًا وخبرًا، وذلك بعدم التناقض في الأخبار، بحيث يصدق بعضها بعضًا، وظهور المصلحة في الأوامر والنواهي .

٢– النظر في طرق وسائل نقل الدين، من حيث صدقها واتصالها، وتواتر بعضها .

٣– النظر في حياة وسيرة من جاء بهذا الدين وهو النبي عليه الصلاة والسلام، حيث تجده في غاية الصدق والأمانة والنصح والإصلاح .

٤– النظر في حياة وسيرة حملة هذا الدين بعد النبي ﷺ، إذ تجدهم أفضل الناس وأحسنهم سيرة، وأكثرهم صلاحاً .

٥– النظر في تضمن هذا المعتنق للتوحيد الخالص وبعده عن الشرك .

٦– عدم التناقض بين الدين وما ثبت من الحقائق العلمية .

س٢٢) ماذا كان موقف النبي ﷺ عندما رأى عمر بن الخطاب يقرأ في التوراة ؟ وهل يجوز للمسلم القراءة في كتب الديانات الأخرى ؟

ج٢٢) أنكر الرسول ﷺ حين أتاه عمر رضي الله عنه فقال : إنَّما نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: "أمتهوكون أنتم (أي متحيرون في الإسلام) كما تهوكت اليهود والنصارى ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلاَّ اتباعي"(١).

لقد أنكر الرسول ﷺ على أصحابه أن يقرؤوا في التوراة في بداية نزول الوحي، وذلك حتى لا يختلط الحق بالباطل ، فلما استقر التنزيل و لم يخش من ذلك أخبرهم النبي أن حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، وفي الصحيح : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل..)(٢)" (٣)

ويجوز للمسلم المتثبت من عقيدته وثقافته القراءة في كتب الديانات الأخرى بقصد أن يعرف ما فيها من حق وباطل، فما كان فيها من حق فقد جاءت شريعتنا بتصديقه وإثباته فهي تغني عنه، وما كان باطلاً أثبتنا تحريف هذه الشرائع وبطلانها وبينا وجوه الفساد فيها.

---

(1) حديث حسن أخرجه أحمد في المسند ٣٣٨/٣

(2) سورة البقرة الآية ١٣٦

(3) رواه البخاري في تفسير سورة البقرة، باب قوله: (آمنا بالله)، وفي باب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

س٢٣) في أي موضع من الإنجيل ورد ذكر سيدنا محمد ﷺ؟

ج٢٣) جاء في إنجيل يوحنا الباب الرابع عشر الفقرتان ١٥ ، ١٦ قوله : "إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من (الأب) فيعطيكم معزياً (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد".

فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد، وبقاؤه معهم إلى الأبد بقاء دينه وكتابه وسنته، إذ هي محفوظة بحفظ الله، وباقية ببقاء هذه الحياة، وهذا معنى إلى الأبد في قوله: "يبقى معكم إلى الأبد "

س٢٤) لماذا أنزل القرآن الكريم باللغة العربيَّة ولم يترل بلغة أخرى ؟ وما الحكمة من ذلك ؟ .

ج٢٤) اقتضت مشيئة الله تعالى أن يترل القرآن بالعربيَّة كما اقتضت مشيئته أن يترل الكتب السابقة بلغات أخرى ، والله يفعل ما يشاء ويختار ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

والنصوص دلت على هذا القول كقوله ﷺ في الحديث الصحيح : "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(١)٠

والحكمة من ذلك بإيجاز:

١. أن النبي الذي نزل عليه القرآن عربي اللغة، فمن العبث أن يترل عليه كتاب بغير لغته٠

٢. أن القوم الذين بعث فيهم النبي ليكونوا حملة الرسالة ومبلغي الدعوة لغتهم

(1) رواه مسلم ١٧٨٢/٤ رقم: ٢٢٧٦ في الفضل، باب: فضل نسب النبي ﷺ ، والترمذي في المناقب٠

العربية، ولو نزل بغير لغتهم لكان ذلك أعظم حجة لهم يدفعون بها دعوة النبي إياهم إلى الإيمان بأنهم لا يعرفون لغة هذا القرآن، ولا يفهمون مراميه، فكيف يؤمنون به ويصدقونه؟

٣. أن العربية أوسع اللغات استيعابًا لوجوه الإعجاز، وقد أريد لهذا القرآن المنزل أن يبقي المعجزة الأبدية الناطقة بصدق هذا الدين وبصدق رسوله، والله أعلم.

الفصل الرابع

مسائل في الملل والمذاهب

س٢٥) إذا كان لا يدخل الجَنَّة إلاَّ من كان مسلماً مؤمناً بمحمد ﷺ فما الأمر بالنسبة لأولئك الذين عاشوا قبله ؟

ج٢٥) من عاش قبل النبي ﷺ صنفان:

الأول: قوم عبدوا الله وحده واتبعوا شريعته التي جاء بها نبي من أنبيائه فهم مؤمنون يثابون أو يعاقبون بحسب أعمالهم، ولكن مآلهم في الآخرة إلى الجَنَّة .

الثاني: قوم لم تبلغهم رسالة و لم يصلهم دين فهؤلاء هم أهل الفترة الذين يختبرهم الله تعالى يوم القيامة بتكليف خاص بهم، فمن أطاعه دخل الجَنَّة ومن عصاه دخل النَّار.

س٢٦) ما أوجه الشبه والاختلاف – إن وجدت – بين السنة والشيعة ، وهل هناك فِرَقٌ أو مِللٌ أخرى مقبولة في نظر الإسلام ؟

ج٢٦) أمَّا أوجه الشبه فهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وكذلك في أركان الإسلام في الجملة .

أمَّا أوجه الاختلاف فمنها:

١– اعتقاد الشيعة العصمة في أئمة آل البيت ، والطعن في أصحاب رسول الله ﷺ

٢– اعتقادهم أن الإمامة امتداد للنبوة والإيمان بها ركن من أركان الإيمان .

٣– قولهم بالتقية وهي إظهارهم خلاف ما يبطنون في كل أحوالهم مع مخالفيهم .

٤– قولهم بجواز نكاح المتعة، وهو لا يعدو أن يكون زنا بصورة نكاح شرعي وقد ثبت تحريمه بأحاديث صحيحة بعضها مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه وهو إمام الأئمة عندهم.

ولاشك أن هناك فِرَقًا كثيرة تنتسب إلى الإسلام، والمعيار في قبولها إنَّما يرجع إلى قربها إلى الحق والهدى ، فبقدر قربها من الحق تكون أكثر قبولاً من غيرها .

أمَّا الملل الأخرى كاليهودية والنصرانية وغيرهما فليست مقبولة في نظر الإسلام بعد البعثة المحمدية لأن الرسالة المحمدية ناسخة لكل الملل قبلها ولا يقبل الله دينًا بعد بعثة محمد ﷺ إلاَّ الإسلام : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(١).

س٢٧) إذا كان يسمح للمسلمين ببناء المساجد في روما، فلماذا لا يسمح للنصارى ببناء الكنائس في شبه الجزيرة العربيَّة؟ ولماذا لا يسمح لغير المسلمين بدخول مكة والمدينة بينما يسمح للمسلمين بدخول الفاتيكان مثلاً ؟

ج٢٧) إن روما أرض كغيرها من بقاع الأرض لا تختص بحرمة ولا شرف، فحكم بناء المساجد فيها كغيرها من البقاع، أمَّا شبه الجزيرة العربيَّة فلا يجوز بناء الكنائس فيها؛ لأن الرسول ﷺ أمر أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان فليس في شبه الجزيرة العربيَّة إلاَّ الإسلام؛ لأنها قاعدة الإسلام، ونبع رسالته وموضع مقدساته .

أمَّا قياس مكة المكرمة على الفاتيكان فهو قياس مع الفارق، فإن مكة جعل الله لها من الحرمة والخصائص ما ليس لغيرها، وأمَّا الفاتيكان فلم يرد في دين من الأديان في

(1) سورة آل عمران الآية ٨٥

شأنه حرمة مخصوصة، بل إن سائر الطوائف النصرانية غير الكاثوليك لا تعترف بأي قداسة للفاتيكان .

أضف إلى ذلك أن كل دولة تشترط لدخولها والهجرة إليها شروطاً معينة ، وما لم تتوفر تلك الشروط فإنه يمنع من الدخول إليها ، والشرط الوحيد لدخول الإنسان إلى مكة هو أن يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله .

س٢٨) إذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان فكيف أصبح المسلمون من أكثر شعوب العالم تخلفاً في هذا العصر ؟ .

ج٢٨) مِمَّا لاشك فيه أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وقد ازدهرت الحضارة الإسلاميَّة مئات القرون في الوقت الذي كان العالم يعيش عصور الظلمات والجهل والتخلف.

وقد تتلمذ الغربيون على الحضارة الإسلاميَّة وأفادوا منها كثيراً وأضافوا إليها وشادوا حضارتهم المادية في حين فرط المسلمون في الجانب المادي واشتغلوا بما لا ينفعهم ، فتخلفوا وتقدم غيرهم .

وهذا اللوم لا يوجه للإسلام وإنَّما يوجه للمسلمين حينما قصّروا في الأخذ بتعاليمه، ومع ذلك فإن المسلمين يملكون عناصر القوة والتقدم والحضارة العظيمة، وذلك بما أكرمهم الله به من أصولهم الدينية الثابتة النقية في القرآن والسنة، وما يملكون من المصادر الطبيعية والموقع الجغرافي الهام والكثرة العددية، مِمَّا يجعلهم أهلاً لتسنم بعث حضاري جديد شريطة أن يرجعوا إلى دينهم ويأخذوا بالأسباب التي أودعها الله في هذا الكون ، والعاقبة للتقوى، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله .

ومن المعلوم أن أي نظام مهما كان حظه من التميُّز والنجاح لا يُمكن أن يكون في الواقع كذلك إذا لم يقم به من هو أهل لذلك .

س٢٩) يدعي المسلمون بأنهم يحبون عيسى المسيح ويحترمونه ويؤمنون برسالته، إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يفضلون عليه محمداً ﷺ، خاصة وأن عيسى ليس مجرد رسول – إنه ابن الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ؟

ج٢٩) يجاب على هذا من وجهين :

الأول: الحق أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ابن الطاهرة الصديقة مريم عليها السلام والمسلمون يحترمونه ويجلونه ويؤمنون برسالته وأنه من أولي العزم من الرسل عبدٌ خلقه الله وليس كما زعم أنه ابن لله .

الثاني: أن التفضيل حق لله تعالى، وهو فضل منه يهبه لمن يشاء وفق علمه وحكمته، وقد فضل النبي ﷺ بأمور عديدة؛ منها أنه خاتم الأنبياء، وبه ختمت الرسالات ونسخت جميع الشرائع، وأنه خليل الله عزّ وجل، وأرسل إلى الخلق كافة.

س٣٠) يدعي بعض المنصرين أن الإسلام ليس ديناً متزلاً من عند الله، إنَّما هو نسخة مشوهة عن اليهودية والنصرانية نرجو الإفادة حول هذا الموضوع .

ج٣٠) إن ما يدعيه المنصرون من أن الإسلام نسخة مشوهة عن اليهودية والنصرانية إنَّما هو محض افتراء ، وذلك أن الرسول ﷺ قد بعث واليهود والنصارى على أصول عقدية يؤمنون بها فخالفهم فيها مخالفة صريحة، مثل تمثيل اليهود الرب تعالى بالبشر، وقولهم : بأن عزيراً ابن الله، وزعمهم أن عيسى عليه السلام ابن زنا، وأنهم قتلوه، ونسبة الكبائر للأنبياء، وادعاؤهم أنهم شعب الله المختار؛ لأنهم كما زعموا أبناء الله وأحباؤه .

وادعاء النصارى أن المسيح ابن الله، وادعاؤهم بأن الله ثالث ثلاثة، واعتقادهم بأن المسيح قتل وصلب، وقولهم بالخطيئة والتكفير، وغير ذلك من اعتقاداتهم الضالة التي جاء النبي ﷺ بما يناقضها ويبطلها، وأول ذلك التوحيد وتنزيه الرب عن مماثلة الخلق، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وتنزيه الأنبياء عن الكبائر جميعًا، وتبرئة مريم من الزنا ، وأن ابنها عيسى عبد الله ورسوله، وأنه لم يقتل ولم يصلب، وأنه لا حقيقة للخطيئة والتكفير كما زعم النصارى، ولا صحة لدعوى اليهود أنهم أبناء الله وشعبه المختار بل الخلق جميعًا خلق الله، ولا فضل إلاَّ بالإيمان والتقوى .

كما أنه أتى بأحكام كثيرة تخالف ما استقر عند اليهود والنصارى في كتبهم فكيف يقال بعد هذا أن الإسلام نسخة مشوهة عن اليهودية والنصرانية ؟ ! .

س٣١) إن النصارى قوم متحضرون وعقلانيون، ولذا فهم يمارسون النقد المتواصل لكتبهم المقدسة بينما تجد المسلمين يجبنون عن مثل هذا النقد، ألا تعتقد أن عدم النقد هذا يمثل ضعفاً في تفكير المسلمين وتحجراً من جانبهم ؟

ج٣١) يجاب عن هذه الدعوى من وجوه عدة:

أولاً: الزعم بأن النصارى متحضرون وعقلانيون دعوى منافية للواقع، إذ كيف يكون متحضرًا وعقلانيًا من يؤمن بالخرافات والشركيات وغيرها مِمَّا يناقض العقل، إضافة إلى الانحطاط الخلقي الذي يعيشه هؤلاء.

ثانيًا: إن ممارسة النقد لما ثبت صحة نسبته إلى الله لا يعد تحضراً ولا عقلانيةً تحمد، بل هذا مِمَّا يعد نقيصة لما فيه من الافتئات والجرأة على الله وعلى الحق المنزل من عنده

ثالثًا: أمَّا نقدهم لكتبهم فلأن هذه الكتب قد دَاخَلَهَا التحريف والتبديل والزيادة والنقصان وفيها من التناقض ومخالفة العقل، والحقائق العلمية الثابتة، ما يقتضي أن

تكون محلاً للنقد، ورغم ذلك فقد أفضى بهم نقدهم لهذه الكتب إلى مزيد من الضلالات والمفاسد، التي أوصلت كثيراً منهم إلى الإلحاد .

رابعًا: أمَّا القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فهي وحي من الله ثابت النسبة إليه سليم مِمَّا اعترى غيره من التناقض والتحريف ومناقضة العقل والحقائق العلمية الثابتة، ولذلك فهو ليس محلاً لنقد، والإنسان مهما بلغ من العلم والعقل، فهو مخلوق من مخلوقات الله تعالى وأنه علمه ما لم يكن يعلم، وبالتالي فهو ليس أهلاً لنقد وحي الله تعالى المعصوم.

وحسب الإنسان في هذا المقام أن يتلقى الوحي الإلهي بالقبول والتسليم ثُمَّ يُعمل عقله في فهمه وتدبره والعمل بمقتضاه، وليس هذا حجراً على العقل، بل هو إطلاق للعقل في مجاله.

س٣٢) ما حكم اليهود والنصارى في هذا العصر من حيث الكفر والإيمان؟

ج٣٢) الجواب على هذا من وجهين :

أولاً: ما عليه اليهود والنصارى اليوم من دين يتضمن عقائد منها التنقص والسب لله تعالى وذلك بالشرك، ونسبة البنوة لله تعالى، وادعاء التعب والنسيان والبكاء والندم والحزن، وكذلك التنقص والسب للأنبياء ونسبة الكبائر إليهم، وهذا وغيره مِمَّا في كتبهم من أباطيل يقتضي الجزم بأن من يعتقد هذا كافر بالله جل وعلا.

ثانيًا: أنه منذ بعثه محمد ﷺ والبشرية كلها مخاطبة برسالته ومدعوة للإيمان به وبما جاء به فمن سمع بالنبي ﷺ من اليهود والنصارى وغيرهم، وبلغته الدعوة بلوغًا تقوم به الحجة ثُمَّ لم يؤمن به فهو كافر من أهل النَّار .

س٣٣) هل الإسلام على استعداد لمنح المسيحيين في البلاد الإسلاميَّة تلك الحريات التي يتمتع بها المسلمون في البلاد المسيحية بما في ذلك دخول المساجد والتعبير الحر عن دينهم ودعوة الجماهير لاعتناق المسيحية؟

ج٣٣) إن الإسلام قد منح النصارى في البلاد الإسلاميَّة حقوقاً تفوق الحقوق التي منحها النصارى للمسلمين في البلاد النصرانية، ومن هذه الحقوق والحريات:

١– إبقاء النصارى على دينهم مع أداء الجزية مقابل حمايتهم.

٢– إعطاؤهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ... إلخ .

٣– الإسلام حرم الخمر وأقام الحد على شاربها من المسلمين، ومع ذلك أباح لغيرهم أن يشربوها، وكذلك لحم الخنزير .

٤– من مظاهر الحرية الدينية ما حض عليه الإسلام حين رسم أدب المناقشة مع أهل الكتاب بأن تكون مجادلة أساسها العقل والمنطق وعمادها الإقناع بالطريقة التي هي أحسن كما قال تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(١).

٥– تسميتهم بأهل الذمة؛ فإن لفظ الذمة معناه: ذمة الله وعهده ورعايته ، وقد ورد النهي عن إيذاء أهل الذمة ، والوصية بهم خيرًا(٢)، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قوله في التوصية بهم : "من قذف ذمياً حُد له يوم القيامة بسياط من نار"(٣) .

---

(1) سورة العنكبوت الآية ٤٦

(2) كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك ص١٥٨ رقم: ٢٠٤

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٥٧/٢٢ رقم: ١٣٥

فهل يلقى المسلمون من الحرية والتكريم في بلاد النصارى ما يلقاه النصارى في بلاد المسلمين ؟!! إن بلداً ديموقراطيًا كفرنسا مثلاً لا يسمح للفتيات المسلمات أن يرتدين اللباس الإسلامي الذي يوجبه إسلامهن، والأمثلة كثيرة على هذا في بلاد نصرانية كثيرة .

أمَّا دخولهم المساجد فسيأتي الجواب عليه في سؤال رقم(١٢١)، أمَّا دعوتهم إلى اعتناق النصرانية فقد بينا آنفًا ما ينطوي عليه دينهم من أباطيل وضلالات وانحرافات لا يسوغ معها السماح لهم بإضلال الناس من خلال الدعوة إلى هذا الدين الباطل .

س٣٤) لماذا يقال بأن الله خلق البشر سواسية في الحقوق والواجبات بينما تقبلون عدم المساواة بين المسلمين وغيرهم لأسباب دينية؟

ج٣٤) يقال أولاً: إن القول بالمساواة المطلقة بين البشر في الحقوق والواجبات هو افتراض لا سند له من العقل ولا من الواقع، فالناس ليسو على حد سواء، حتى في الحقوق والواجبات، بل هم متمايزون ومختلفون، والمبدأ الذي يدعوا إليه الإسلام هو العدل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)(١)٠

ثانيًا: مِمَّا لاشك فيه أن المسلم لا يسوى بغير المسلم ، باعتبار أنه قد اعتنق الدين الصحيح الذي رضيه الله تعالى للعالمين دينًا، رغم ما أقر عليه أصل الديانات الأخرى على دياناتهم ، و لم يرغمهم على الدخول في الإسلام .

(1) سورة النحل الآية ٩٠

نعم إن الله تعالى قد جعل الأخوة في الدين هي الرابطة بين المسلم والمسلم: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(١)، ولا تثبت هذه الأخوة لمن رضي لنفسه أن يكابر ويعاند الحق والهدى .

وإذا كان الله تعالى قد فرق بين المسلمين وغيرهم فقال: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(٢)، وقال: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)(٣)، فكيف لنا أن نسوي بين المسلمين وغيرهم؟

س٣٥) إذا أسلم أحد الزوجين دون الآخر، فهل يجوز لمن لم يسلم منهما أن يصطحب الأولاد إلى الكنيسة؟ وهل يحق لمن أسلم منهما أن يمنعهم من الذهاب إليها؟

ج٣٥) إذا هدى الله تعالى الزوج إلى الإسلام فعليه واجب دعوة أولاده إلى الإسلام، وبالتالي لا يحق له إرسالهم إلى الكنيسة بعد أن هداه الله إلى الحق، وعرف طريق الهدى؛ لأن في ذلك إعانة لهم على الباطل، أمَّا الزوجة التي أسلمت حديثًا فعليها أن تحاول إقناع زوجها بالإسلام، وإن كان لها أولاد فعليها أن تعمل على إقناع أولادها بالإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي حال إصرار الزوج على كفره وعدم قبوله الدخول في الإسلام فعليها أن تفارقه، ولا يصح أن تبقى زوجة له، لأن القوامة في الأسرة للرجل، ولا ولاية لكافر على مسلم، والله أعلم .

---

(1) سورة الحجرات الآية ١٠

(2) سورة الملك الآية ٢٢

(3) سورة القلم الآيتان ٣٥-٣٦

س٣٦) لماذا لا يسمح لغير المسلمين أن يدفنوا في مقابر المسلمين ؟

ج٣٦) إن الموت في المفهوم الإسلامي مرحلة انتقالية من حياة إلى حياة أخرى، وإن المؤمنين بعد وفاتهم يدفنون في مقابر خاصة بهم إكرامًا واحترامًا لهم، خصوصًا وهم في حالة لا يملكون أن يدفعوا عن أنفسهم ما قد يتأذون منه.

ثم المطلوب شرعًا زيارة قبور المسلمين والدعاء لهم والاستغفار لهم، فعندما تختلط قبورهم بالمشركين يخشى من الوقوع في الدعاء لأهل هذه القبور والإسلام نهانا عن الدعاء لمن مات على الشرك.

س٣٧) كيف يتفق قتل المرتد عن الإسلام مع ما يزعم من حرية الاعتقاد التي يكفلها الإسلام لجميع البشر (لا إكراه في الدين)؟

ج٣٧) لا يكره أحد من غير المسلمين على الدخول في الإسلام، قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ)(١)، فإذا تبين للإنسان الدين الحق ثُمَّ اختار الكفر فهو مسؤول عند الله يوم القيامة بما اختار ومعاقب على ذلك .

أمَّا إذا اختار الإسلام فعليه أن يعرف أنه سيكلف بتكاليف إذا خالفها فقد يعرض نفسه للعقاب الذي قد يصل إلى القتل، ألا ترى أن من يريد أن يطلب جنسية دولة من الدول، فإن عليه أن يعلم أنه مسؤول عن الالتزام بقوانين تلك الدولة وأنظمتها، ومن هذه الأنظمة معاقبته على الخيانة العظمى بأقصى عقوبة .

فمن دخل في الإسلام فعليه أن يلتزم بجميع أحكامه وأن يؤمن بجميع شرائعه التي منها قتل المرتد عن الإسلام، وليس في هذا إكراه له على الدخول في الدين، ولكن حمايةً للدين والأمة الإسلاميَّة من المتلاعبين والعابثين بنظام الدولة الإسلامية، إذ إنه

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٥٦

يصبح بذلك عنصر إفساد في المجتمع ، فمن حق هذا المجتمع أن يعاقبه بالقتل إذا لم يتب وَيَعُد إلى حوزة عقيدة الأمة .

س٣٨) هل هناك مثوبة من عند الله لمن كان يؤمن بالله دون أن يؤمن بدينٍ من الأديان؟ إن كانت هناك مثوبة فما أهمية الإيمان برسول معين؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فهل معنى هذا أنه يتعين على المرء أن يؤمن بدين واحد مثل إيمانه بإله واحد ؟

ج٣٨) لا يُمكن للإنسان أن يؤمن بالله ويعبده على الوجه الذي يحبه تعالى إلاَّ إذا اتبع أنبياءه، وعلى هذا فلا مثوبة لمن لم يؤمن بالدين الذي ارتضاه الله تعالى لخلقه عن طريق الرسل؛ لأن الإيمان الحق بالله تعالى وحده إنَّما يثاب عليه المرء إذا كان إيماناً بالله وحده لا شريك، ثُمَّ متابعًا لرسول من الرسل أو نبي من الأنبياء في زمن رسالته أو نبوته .

وجميع الأنبياء جاؤوا بدين الإسلام، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة والطاعة وتصديق الأخبار التي أوحى الله بها إليهم، أمَّا بعد بعثة محمد ﷺ فإنه يتعين على كل من بلغه رسالة الرسول ﷺ أن يؤمن به ويطيع أمره ويصدق خبره، ولا يصح أن يكون مؤمنًا بالله إلاَّ باتباع رسوله ﷺ والإيمان الخالص بالدين الذي جاء به .

س٣٩) يقول: إنه مسيحي ولكنه يؤمن بالاستسلام الكامل لله، فهل هذا ينجيه من عذاب الله ؟

ج٣٩) إن الاستسلام لله تعالى يستلزم طاعة الله تعالى فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، والله تعالى بعث محمدًا لجميع البشر، وسدّ كل الطرق الموصلة إليه إلاَّ طريقاً واحدًا هو طريق نبيه محمد ﷺ ، واستسلام السائل

ليس استسلامًا صحيحًا، فضلاً عن أن يكون كاملاً، لأنه لو كان كما يقول لكان مسلمًا من أتباع النبي ﷺ، وكان ذلك سببًا لنجاته من النَّار، أمَّا بقاؤه على نصرانيته وعدم إيمانه برسالة محمد ﷺ فلا ينجيه من النَّار، والله أعلم.

س٤٠) يقول: لدينا في النصرانية ملل مختلفة، ولديكم في الإسلام مثل ذلك كالسنة والشيعة والدروز والإسماعيلية، لماذا كل هذه الفِرَق؟ وما الفَرْق بينها؟

ج٤٠) إن الافتراق في هذه الأمة واقع كما وقع في الأمم السابقة وقد أخبرنا بذلك نبينا ﷺ بأن هذه الأمة ستفترق، غير أن الحق مع طائفة واحدة هم أهل السنة والجماعة الذين هم على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، أمَّا غيرهم من الطوائف التي نشأت في الأمة الإسلاميَّة، فهم في الجملة قد انحرفوا عن الحق الذي هو منهج هذه الطائفة الناجية لأسباب منها:

- الجهل بالدين والهوى والتعصب .
- أو الكيد لهذا الدين وأهله .

وما أشار إليه السائل من الطوائف فهي تختلف في الحكم عليها بحسب قربها وبعدها من الحق، وفيها من يحكم بكفره وخروجه من الملة كالإسماعيلية والدروز .

س٤١) لماذا تعتقدون أنكم أنتم أهل الصواب في المعتقدات وغيركم كافر خاطئ لا يعرف إلى الحقيقة طريقًا ولا إلى الحق سبيلاً؟

ج٤١) القضية ليست دعوى مجردة، بل هي الفطرة السليمة والبراهين والحجج والأدلة القاطعة، التي تقرر صحة الاعتقاد في الإسلام خالصًا من كل شوائب الشرك لغير الله سبحانه وتعالى.

فإن اليهود مثلاً يؤمنون بإله "يهوه" ينسبون إليه ما لا يليق بجلال الله وعظمته من أن له ابنًا "عزير" (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ)(١)، فكيف يكون لله ولد وهو ﷻ لا يشبهه شئ من خلقه، ونسبوا له ﷻ البخل فقالوا (يد الله مغلولة)(٢)، ونسبوا له كثيراً من الأوصاف التي لا تليق بكماله وعظيم سلطانه.

وجاء النصارى بعدهم وادعوا مثل ما ادعاه اليهود فقالوا المسيح ابن الله، وادَّعوا ألوهية المسيح وأمِّه قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)(٣) ٠

وجاء الإسلام بصفاء ونقاء العقيدة وبتوحيد الله ﷻ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)(٤)، وقال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(٥)٠

ولقد قامت الحروب في أوربا والتي سميت بـــ"الحروب المقدسة" وكان الدافع لها اختلاف القوم حول طبيعة السيد المسيح فمن قائل: هو الله، قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)(٦)، ومن قائل: هو ابن الله، قال تعالى: (وَقَالَتِ

(1) سورة التوبة الآية ٣٠
(2) سورة المائدة الآية ٦٤
(3) سورة المائدة الآية ١١٦
(4) سورة الإخلاص
(5) سورة الشورى الآية ١١
(6) سورة المائدة الآية ١٧

النَّصَارَى المَسِيحُ ابن اللهِ)(١)، ومن قائل: هو ثالث ثلاثة، قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ)(٢)٠

و لم يحدث في الإسلام اختلاف حول الإله سبحانه وأسمائه وصفاته٠ ومن هنا يتبين لنا أن الفرق شاسع كالبعد بين الثرى والثريا، لا تعصبًا ولا حميةً على باطل (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبنَاءَنا وأبناءَكم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ)(٣)٠

فلا نخطِّئ إلا من حكم الإسلام بخطئه وانحرافه لا حسب الهوى والتشهي، فقد جاءنا في كتاب الله ﷻ أن من أشرك بالله فهو كافر به ﷻ، ومن حاد عن الدين الحق فقد جانب الصواب و لم يهتد إلى الطريق الصحيح قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(٤)٠

س٤٢) ما موقع الوطنية "القومية" في الإسلام ؟

ج٤٢) إن حب القوم والوطن شيء حض عليه الإسلام ورغب فيه ولكن لا يعني ذلك أن يكون ولاؤه وبراؤه للوطن والقوم فحسب، فهو مفهوم جاهل أبطله الإسلام

إن مفهوم الوطنية والقومية عند دعاتهما المعاصرين تعني أن رابطة الإنسانية لأبناء القوم والوطن الواحد هي مجرد الانتماء إلى القوم أو الوطن بقطع النظر عن رابطة الدين والصلاح والتقوى ، ولاشك أن هذا مفهوم جاهلي، فقد كان للقبلية والقومية والإقليمية قبل مجيء الإسلام أثر كبير في حياة البشر، ولما جاء الإسلام هذب هذه

---

(1) سورة التوبة ٣٠

(2) سورة المائدة الآية ٧٣

(3) سورة آل عمران الآية ٦١

(4) سورة الأنعام الآية ١٥٣

المعاني ووضع لها ضوابط وأحكامًا منها: أنه لا تعصب لقبيلة أو لجنس أو لوطن أو للون، ولا براء ولا ولاء بناء على ذلك، إذ الولاء كل الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺوللمؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، ثُمَّ إن حب الوطن والقوم تَبَعٌ لهذا الدين العظيم وليس العكس .

س٤٣) هل من مات دفاعاً عن وطنه شهيد ؟

ج٤٣) للنية دور كبير في الدفاع عن الوطن، فمن قتل في سبيل وطنه بنية إعلاء كلمة الله فهو شهيد، ومن قتل دفاعًا عن وطنه بنية الدفاع عن الحرمات والأموال فهو إن شاء الله شهيد، أمَّا من قتل دفاعًا عن وطنه بقصد كسب مال أو شهرة أو ما شابه ذلك، فلا يعتبر ذلك استشهادًا، والشهادة هنا لا ينالها إلاَّ من قُتل مسلمًا ، دون غيره . والضابط في ما تقدم قول النبي ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .

الباب الثاني

في رحاب الفقه الإسلامي

حكم ومقاصد

الفصل الأول

التشريع الإسلامي حِكَمٌ ومقاصد

س٤٤) ما معنى الإسلام ؟

ج٤٤) الإسلام هو الاستسلام لأمر الله تعالى والانقياد له بالطاعة في جميع شرائعه وأحكامه التي أساسها الأركان الخمسة المشهورة وهي:

الشهادتان – والصلاة – والزكاة – والصوم – والحج.

وتمام الإسلام أن تنصبغ حياة المسلم في جميع أحواله بصبغة الإسلام، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(١)، وقال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

س٤٥) ما معنى الإيمان ؟

ج٤٥) الإيمان هو اليقين والتصديق الكامل –الذي محله القلب– مقترن بقول اللسان وعمل الأركان –أي الجوارح –، وأساس هذا الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

فلا بد من اليقين بهذه الأسس والأركان، والذي يدل على هذا اليقين قول اللسان، وكمال الأمر إنما يصدقه العمل بالإسلام في ميادين الحياة الخاصة والعامة.

---

(1) سورة البقرة الآية ١٣٨

(2) سورة الأنعام الآية ١٦٢

س٤٦) ما معنى الإحسان ؟

ج٤٦) الإحسان هو كما قال الرسول ﷺ:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(١).

إنها درجة عالية عندما يكون شعور المسلم حيًا يقظًا يتعامل مع ربه وكأنه يراه أمام عينيه بقدرته وعظمته وسلطانه وسطوته ورحمته وبره وعونه وكرمه.... إن من يستشعر هذه الصفات الربانية وغيرها في كل أحواله، فسيكون صادقًا خيرًا في جميع أعماله وسلوكه وأخلاقه، صدقًا ينبع من القلب، ولا يتأثر بالناس في مصالحهم ومنافعهم المادية والشخصية، صدقًا يمثله قول النبي ﷺ لعقبة بن عامر حين سأله عن فواضل الأخلاق: "يا عقبة صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك"(٢)، صدقًا يجعل نفس المؤمن طاهرة نقية في السر والعلن، في الخلوة والجلوة، في المنع والعطاء، في الولاء والبراء، في دِقِّ الأمور وجلِّها، إنها نفس آمنت بالله وتعلقت به وهي تنظر إليه في كل حين، وإن غفلت فهي على يقين بأن عين الله لا تغفل عنه بحال.. ذلكم هو الإحسان.

س٤٧) متى عرف الإنسان الإيمان لأول مرة؟ وهل كان الناس قديمًا يؤمنون بالله تعالى أم كانوا كفارًا كما يزعم علماء الإنسان "الانثربولوجيا"؟

ج٤٧) إن الإيمان بالله تعالى عميق الجذور وأصيل في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يقول ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يُهَوِّدَانه أو يُنَصِّرَانه أو

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان رقم ٤٨ ومسلم في كتاب الإيمان رقم ٩

(2) رواه أحمد حديث رقم ١٦٦٩٦

يُمَجِّسَانه"(١)، أي كل مولود يولد على الإيمان بالله تعالى والإسلام له سبحانه، هذا وللإسلام تصوره الخاص عن بداية الخلق والنشأة الإنسانية، وخلاصة ذلك: أن الله تعالى خلق آدم – أبا البشر– من تراب ثم ألقى فيه الروح، ثم خلق منه زوجه حواء، ثم حصل التناسل بعد ذلك، حتى كثر الناس وعمروا الحياة.

وقد كان آدم عليه السلام أول المؤمنين بالله المعترفين بعظمته وقدرته، ولذلك لما نسي أمر الله وخالف تعاليمه تاب وأناب واستغفر ربه وسجد له طالبًا رضاه ومغفرته، قال تعالى: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(٢)، وقال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)(٣).

واضح من الآيات الكريمات أن آدم عليه السلام كان مؤمنًا بالله ويسكن الجنة هو وزوجته، ثم طرأ الزلل والخطأ من وسوسة الشيطان، ثم حصلت التوبة من آدم عليه السلام وتم القبول من الله تعالى.

فالإيمان هو الأصل، والمعصية والكفر والشرك طارئ من البشر بعد ذلك، ويؤكد هذا قول الرسول ﷺ عن الله: "خلق الخلق حنفاء فاجتالتهم الشياطين"(٤)، أي أضلت وزينت لهم الشرك والكفر والانحراف عن منهج الله تعالى.

---

(1) رواه لطبري في المستند والبيهقي في السنن ورمز السيوطي لصحته ورقمه في الجامع ٦٣٥٦ ج٢ص٢٨٧

(2) سورة الأعراف الآية ٢٣

(3) سورة البقرة الآيات ٢٥-٢٧

(4) رواه الإمام مسلم وأحمد، انظر صحيح الجامع رقم ٢٦٣٧

س٤٨) كيف يمكن للمرء أن يؤمن بدين من الأديان ولم يحدث قط أن بعث أي من الأموات ليخبر عما حدث له؟ كما لم يسبق لأي من الأحياء أن رأى الله ﷻ ؟

ج٤٨) إن هذا السؤال مبني على أن عالم المادة والحس هو المرجع في تقرير حقائق الكون، وهذا الأساس باطلٌ أصلاً، وذلك لأننا في هذه الحياة نؤمن بأشياء كثيرة دون أن نراها أو نلمسها لمسًا أو نحس بها إحساسًا ماديًا، كالروح مثلاً، ما حقيقتها؟ ماسرها؟ أين تكمن في أجسادنا؟ كل ذلك مجهول للعلماء وللمختبرات العلمية وللأشعة الدقيقة وللمجاهر التي ينظر علماء الأحياء والطب وغيرهم من خلالها، ونحن -مع ذلك- نؤمن جازمين بوجودها.

وكذلك المغناطيس والأثير والتيار الكهربائي وغيرها كثير لا نحس بها إحساسًا ماديًا ولكنها موجودة، ونؤمن بها من خلال آثارها الظاهرة لنا.

ثم إن الدين - أيَّ دين صحيح- يقوم أصلاً على المعجزات وهي الأمور التي يجريها الله تعالى على أيدي رسله مما يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وذلك تصديق من الله لرسله وإثبات منه لدعواهم أنهم يحملون رسالة ربانية إلى الناس، فما من نبي إلا آتاه الله من المعجزات ما آمن البشر على مثله ، وهذه قضية مسلَّمة وحقيقة تاريخية بدهية.

فالنبي موسى عليه السلام من معجزاته عصاه التي انقلبت حيةً، ومنها انفلاق البحر بضربة عصاه، وانفجار الماء من الحجر لما ضربه بالعصا فجرى في الأرض اثنتا عشرة عينًا يشرب منها قومه، والنبي عيسى عليه السلام من معجزاته أنه كان يشفي الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

وأما خاتم الأنبياء محمد ﷺ فمعجزاته كثيرة منها انشقاق القمر، ونبع الماء من بين يديه الشريفتين، والإسراء والمعراج، وأعظم معجزاته الخالدة المستمرة إلى قيام الساعة القرآن الكريم الذي ما زال يتحدى العالم أن يأتوا بمثله، سواء في ذلك بيانه وبلاغته أو تشريعه وتنظيمه أو أخباره الغيبية أو إشاراته العلمية الكونية.

وهكذا تشعر أن الإيمان بالله تعالى والإيمان بالغيب أمر بدهي فطري لا تستقيم الحياة بدونه ولا تستقر النفس بعيداً عنه، وحياة الناس اليوم وقبل اليوم تؤكد ذلك لو صدق الناس في الحديث عما بداخلهم وعما يجول في خواطرهم ومشاعرهم وأحاسيسهم.

س٤٩) هل يتوارث الناس الإسلام عن آبائهم ؟

ج٤٩) لقد تقدم معنا أن كل مولود يولد على الفطرة – أي الإسلام– وعليه فالولد قبل بلوغه سن الرشد في نظر الإسلام تابع لوالديه في الدين والمعتقد، فإذا بلغ سن الرشد قد يكون تأهل لحمل المسؤولية والتكليف، وهنا لا بد له من تبني الإسلام عن فكر وقناعة واختيار، فإن لم يفعل فلا يعد في عداد المسلمين، ولو مات الطفل قبل بلوغ سن الرشد – خمسة عشر عامًا – فهو عند الله من الناجين ومن أهل الجنة حتى ولو كان أبواه كافرين، وهذا مقتضى عدل الله ﷻ وهو القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١).

س٥٠) هل يفرض الإسلام على المرء فرضًا أم هو بمحض إرادته ؟

ج٥٠) الإسلام دين لله، والله تعالى هو الأعلم بنفوس البشر وسبل إصلاحها وإفسادها، وقد علم الله أن الصلاح الحقيقي للبشر إنما ينشأ عن الاقتناع والاختيار

(1) سورة الأنعام الآية ١٦٤

والمحبة والرغبة الصادقة في اتباع المنهج الذي أنزله الله للناس ليكون لهم هادياً ومخلصًا ومنقذًا، وقد بين الله تعالى ذلك واضحًا جليًا في قوله ﷻ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

ولم يحدث في تاريخ الإسلام أن أكره المسلمون أحدًا على الدخول في دينهم حتى وهم في أعلى مراكز القوة والاقتدار، ولا يمكن لأحد أن يثبت غير ذلك.

س٥١) هل يمكن لنظام هذا الكون أن يكون مَرَدُّه للمصادفة ؟

ج٥١) لا يمكن ذلك بحال من الأحوال بل لا يستطيع عاقل أن يتصور أن هذا الكون وجد بالصدفة – أي بدون صانع حكيم عليم قادر– وبأدنى تأمل يدرك العاقل بطلان الصدفة. فعندما ينظر الإنسان إلى بناء جميل منظم بشكل هندسي بديع ومحكم فإنه بداهة يوقن أن وراء هذا البناء مَن نَظَمه وخطط أصوله وصمم أساساته وردهاته وشرفاته، وعندما ينظر الإنسان إلى الساعة في يده فلا يمكنه أن يصدق أن صانعها الأول وجدها تلقائيًا بهذا الشكل الذي هو عليه، فكيف بخلق الإنسان الذي حارت فيه العقول، كيف يمكن أن يكون صدفة؟ وكيف لهذا الكون الذي يسير على نظام محكم ودقيق جدًا، في ليله ونهاره ونجومه وأجرامه ومجراته وفق سنن لا تتخلف، كيف يمكن أن يكون وُجِد صدفة؟!!

إن القول بالصدفة قد عفا عليه الزمن، وأصبح خارج نطاق المعقول في عالم العلم والمعرفة، وعالم الأسباب والمسببات.

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٥٦

س٥٢) هل يقبل إسلام شخص أراد أن يسلم لغرض شخصي كالزواج من مسلمة ؟

ج٥٢) الإسلام دين الله تعالى وهذا الدين يجب أن يكون خالصًا لله تعالى، قال الله ﷻ: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)(١)٠

فمن أظهر الإسلام لمصلحة معينة وهو يبطن الكفر فإسلامه غير مقبول عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه" (٢)٠

هذا هو الأساس والأصل، ولكن قد يظهر شخص الإسلام لغرض خاص بنفسه، ثم بعد الدخول في الإسلام تتحسن نيته وتخلص لله تعالى ويحسن إسلامه، وهنا يكون إسلامه صحيحا ومقبولاً عند الله ﷻ٠

ثم إن أظهر أحد الإسلام ظاهرًا فقط فالمسلمون في هذه الحياة الدنيا يعاملونه بحسب ما أظهر ولا يكلفون بالشق على قلبه لمعرفة ما فيه، ومن الآثار الشائعة بين علمائنا (لنا الظاهر والله يتولى السرائر)، ولكنه إن استمر على هذا الحال فهو غاشٌّ للمسلمين وهو منافق أيضًا، ولن يقبل الله منه إلا ما كان صادرًا عن قلب واعتقادٍ سليم٠

---

(1) سورة الزمر الآية ٣

(2) متفق عليه

أما إن أعلن أمام الناس أنه إنما يتظاهر بالإسلام من أجل الزواج أو غيره وهو على دينه وكفره فهنا يؤخذ بجريرته ويحاسب على إعلانه الكفر بعد الإسلام وتطبق عليه أحكام الردة .

س٥٣) هل النية تكفي في إسلام الشخص أم لابد من النطق بالشهادتين ؟

ج٥٣) لا تكفي النية ولابد من النطق بالشهادتين لأن إعلانهما هو الذي يميز المسلم من الكافر، وهو دليل الصدق والقناعة بالإسلام، ثم كيف لنا أن نعرف أن هذا الشخص مسلم إذا لم يعلن الشهادة؟ وكيف يؤدي المسلم حقوق إخوانه عليه إذا لم يعرفهم ولم يعرفوه؟ وكيف له أن يقوم بواجباته نحو الإسلام والمسلمين إذا لم يعلن إسلامه؟ اللهم إلا إذا كان إنسان يخاف على نفسه من القتل لو أعلن إسلامه لوجوده في بيئة كافرة متعصبة فيكفيه أن يسلم سرًا وينطق بالشهادتين بلسانه ويقوم بشعائر الإسلام سرًا ريثما يتمكن من الجهر بدينه، وفي مثل هذا الحال يجب عليه أن يسعى لتغيير هذه البيئة إلى بيئة أخرى يستطيع أن يمارس فيها دينه وشعائره بحرية وأمان.

س٥٤) هل يصح النطق بالشهادتين بغير اللغة العربية لمن لا يعرف العربية ويريد الدخول في الإسلام ؟

ج٥٤) نعم يصح النطق بالشهادتين بأي لغة ولا تشترط العربية لذلك، ولكن حتى يشهد إسلامه ويتعرف عليه إخوانه من العرب لابد من إعلان هذا الإسلام باللغة العربية عند الحاجة لذلك وعندما يكون مستطيعًا وإن عجز فلا حرج عليه إن شاء الله تعالى.

س٥٥) هل تلقن المرأة أختها التي تريد أن تدخل الإسلام الشهادة أم لابد أن يقوم بذلك رجل؟ وهل يلزم لذلك شاهدان أم يكفي أن ينطق المهتدي أو المهتدية بالشهادتين بنفسه دون حضور أحد ؟

ج٥٥) الإسلام دين الله تعالى وهو دعوة للعالمين الرجال والنساء، وكل من نطق بالشهادتين وهو يقصد معناهما ويعلم أنهما بمثابة الباب الذي يدخل منه لهذا الدين كل من فعل ذلك فهو مسلم ولا يحتاج أن يلقن الإسلام من أحد، ولو حصل ولقن مسلم من يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فهو من باب التعليم ليس أكثر.

ولا يحتاج الأمر إلى شهود لصحة الدخول في الإسلام، لأن الدخول في الإسلام يبدأ بالشهادتين ثم يتبع ذلك سلوك وأعمال هي أركان وشعائر لهذا الدين كالصلاة والصوم وسائر العبادات والمعاملات الإسلامية وهي كفيلة بتمييز المسلم عن الكافر وإلحاقه بإخوانه في الإسلام، أما إن ترتب على الإسلام حقوق تتعلق بالقضاء والمحاكم الشرعية واحتاج الأمر إلى إثبات إسلام المدعي منذ زمن معين فلابد من شهود يعتمد عليهم في ذلك.

س٥٦) ما مفهوم الشرك؟ وما الحكمة من رفض الإسلام له ؟

ج٥٦) معنى الشرك هو عبادة غير الله مع الله، سواء كان هذا الغير نبيًا أو رسولاً أو أحدًا من الناس كالحكام والأغنياء والوجهاء أو كان حجرًا أو كوكبًا أو غير ذلك

وقد رفض الإسلام الشرك بل وجعله نقيض الإيمان بحيث لا يجتمعان معًا بحال وذلك لأمور كثيرة أهمها:

أ) أن من عرف الله حقًا بأسمائه وصفاته وأفعاله وأفضاله فإنه يحتقر أن يجعل له ندًا من الكائنات الضعيفة العاجزة.

ب) أن الشرك بالله لا يستقيم مع الفطرة السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فالنفس المؤمنة بالله تعالى وحده تشعر بالراحة والطمأنينة والاستقرار، أما المشرك فإنه يعيش حياته ممزق النفس مضطرب المشاعر مهتزَّ الضمير مشتت التفكير لا يعرف الراحة والاستقرار.

وإن أدنى دراسة اجتماعية للمجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغير إسلامية لتوضح لنا الفوارق الجمة بين هذه وتلك، والنتيجة إنما هي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعقائد هذه المجتمعات التي توجهها في مسيرة حياتها الخاصة والعامة.

جـــ) أن الشرك يناقض التفكير السليم والعقل السليم، فإن العقل لا يمكن أن يساوي بين الخالق والمخلوق وبين العالم والجاهل وبين القادر والعاجز، وعند التأمل في الكون من حولنا ندرك بيقين أنه لابد له من خالق عظيم عليم قادر على كل شيء يكون هو الذي أبدع هذا الكون وخلق كل ما فيه من حياة وأحياء وفق نظام دقيق لا يتخلف، ويجزم العقل أيضًا بأن هذا الخالق لابد أن يكون واحدًا، لأنه لو تعددت الآلهة لوُجِدَ الاختلاف والتنازع، ولو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا، ولعلا بعضهم على بعض.

س٥٧) ما هي صفات الروح ؟

ج٥٧) الروح هي سر الحياة الغامض الخفي الذي استأثر الله بعلمه ومعرفة حقيقته وكنهه الأزلي، قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً) (١).

---

(1) سورة الإسراء الآية ٨٥

ولقد بحث العلماء المعاصرون عن حقيقة هذا السر، وعقدوا المؤتمرات لذلك، ولكن كان قرارهم أن الروح سر مجهول لم يدرك البشر حقيقته بعد.

من ذلك، المؤتمر الذي عقد في نيويورك عام ١٩٥٩م حيث التقى فيه ستة من علماء الشرق والغرب على مائدة مستديرة للتعاون في سبيل فهم شيء عن أصل الحياة ونشأتها على ظهر هذه الأرض، وكان فيهم العالم الروسي ألكسندر أوبارين أستاذ الكيمياء الحيوية بأكاديمية العلوم السوفييتية، وأخطر المهتمين بأمر نشأة الحياة، وقد انتهى المؤتمر كما بدأ، دون أن يصل المؤتمرون إلا إلى مزيد من التأكد بأن أول الحياة لا يزال مجهولاً، ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يومًا ما (١).

وإنما نؤمن بالروح ووجودها من آثارها البارزة في عالمنا المحسوس الذي يعج بالحياة والأحياء.

والفرق بين حياة البشر وحياة الحيوان، أن حياة الحيوان غريزية قاصرة على عالم المادة المحسوسة من طعام وشراب وشهوة.

أما حياة الإنسان فهي تمتاز فوق ذلك بعالم القيم والأخلاق والمثل والفضائل والمشاعر النبيلة، وحياة العلم والتفكير والبحث عن أسرار الكون والاستفادة منها، فإن تخلى الناس عن تلك القيم العليا فإنهم يرتكسون إلى عالم الحيوان والبهائم، ويصور القرآن الكريم هذا المعنى تصويرًا بليغًا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (٢)، وبقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ

---

(1) انظر تفاصيل هذا المؤتمر في كتاب "قصة التطور" للدكتور أنور عبد العليم ص ١١-٢٣.

(2) سورة محمد الآية ١٢

وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ) (١).

س٥٨) ما العلاقة بين الحياة والموت والآخرة ؟

ج٥٨) إن الله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

هذا هو محور الدائرة وقطب الرحى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)(٢)، فقد خلق الله الكون وأظهر فيه عجائب قدرته ليعرفه خلقه حق معرفته ويقدروه حق قدره، ويلتزموا المنهج الذي رسمه لهم، ويقيموا الحياة وفق شرعه ﷻ، فيدين حينها الكون كله -إنسه وجنه وأرضه وسماؤه وفضاؤه- يدين لله بالعبودية الحقة الصادقة، والحياة الدنيا هي مسرح الحدث، أراد الله أن يظهر فيها الطائع من العاصي والمستقيم من المنحرف والعادل من الظالم والضال من المهتدي والمؤمن من الكافر، فوهب الله للإنسان عقلاً وإدراكًا، ومنحه حريةً واختيارًا، وأعطاه قدرة وسلطانًا، ووضع بين يديه الخيارات المتعددة من خير وشر وهداية وضلال واستقامة وانحراف، وأرسل له الرسل المؤيَّدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ليبلغوه أنه الخليفة عن الله في أرضه والمسؤول عن إقامة الحق والعدل فيها.

وقد زود الله الإنسان - بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام- بالمنهج الكامل للحياة تصورًا وسلوكًا بما يتفق مع العقل والفطرة المستيقمة.

وقد أعلن الله تعالى للخلق جميعًا أن الحياة الدنيا كلها هي ميدان العمل وحلبة الصراع، وأن الجزاء والحساب والقصاص العادل إنما هو في الدار الآخرة التي سيفضي إليها الخلق جميعًا، وهناك يكون الثواب والعقاب لأن الحياة الدنيا بقصرها وحدودها

---

(1) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(2) سورة الملك الآية ٢

الضيقة لا تتسع للجزاء واستيفاء الحقوق في ميزان الله تعالى، ولذلك كانت هذه الحياة دارًا للعمل والبناء وكان الموت جسرًا يعبر عليه الأحياء إلى دار الخلود ليأخذ كل ذي حق حقه وفق موازين القسط التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، قال الله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(١) ٠

وقال أحد الشعراء راسمًا هذا المشهد:

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المترل الفاني إلى المترل الباقي

س٥٩) هل تبعث الكائنات الأخرى ؟

ج٥٩) نعم إن الله تعالى يبعث يوم القيامة جميع الكائنات الحية، وبعد أن يقضي سبحانه بين خلقه وينصف المظلوم ممن ظلمه، ويعطي كل ذي حق حقه –حتى البهائم– بعد ذلك يكرم الله عباده المؤمنين الصادقين بدخول الجنة، ويكتب لهم الخلود الأبدي فيها، وكذلك يجازي الكفرة والمشركين بدخول النار، ويكتب لهم الخلود الأبدي فيها٠

ومما يدل على حشر الحيوانات يوم القيامة قول رسولنا محمد ﷺ: "لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى ليقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" (٢)٠

س٦٠) هل الإنسان بفطرته يحمل الخطيئة ؟

ج٦٠) لقد خلق الله الإنسان وفطره على الإسلام الدين الحق، وجعل الله لهذا الإنسان استعدادًا وميولاً للخير والشر والصواب والخطأ والعدل والظلم، ورزقه الله من المواهب والقدرات ما يكون قادرًا بها على فعل جميع ذلك بحريته واختياره٠

---

(1) سورة الزلزلة الآيتان ٧–٨

(2) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والبخاري في الأدب٠ والجلجاء: التي لا قرون لها٠

ثم أرسل الله الرسل إلى الخلق فوضحوا لهم سبل الهداية والرشاد من الغواية والضلال، وحذروهم من المصير إن هم اتبعوا الباطل وفعلوا الآثام وضلوا عن الطريق المستقيم.

وبهذا التصور يستقيم الاختبار والامتحان، ويمكن للإنسان أن ينجح أو يرسب في النهاية، ويستحق بعد ذلك الثواب أو العقاب، أما لو فُطِرَ الإنسان على الخير وحده وحيل بيته وبين الشر؛ فكيف يستحق ثوابًا؟ وكذلك لو فُطِرَ على الشر وحده، وحيل بينه وبين الخير، فكيف يستحق عقابًا على شيء لا يملك سواه؟!!

س٦١) لو مات الإنسان على غير الإسلام هل يكون مثواه الجنة أم النار ؟

ج٦١) الدين الحق عند الله هو الإسلام والإسلام وحده، وأما الرسالات السماوية السابقة فهي إرهاصات ومبشرات بالدين الخالد -الإسلام- وقد كانت تلك الرسالات محدودة الزمان والمكان، وهي تهيئ الناس لقبول الحق الرباني النهائي في رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

قال الله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)(١).

س٦٢) ما الذي يدخل الإنسان الجنة ؟

ج٦٢) الجنة في مفهوم الإسلام هي دار نعيم أعدها الله للمؤمنين به يدخلونها في الدار الآخرة بعد البعث من القبور، ويدخل هذه الجنة كل مسلم مات على الإسلام وهو لا يشرك بالله شيئًا.

---

(1) سورة آل عمران الآية ٨٥

ومعنى هذا أن المسلم الذي يقع بفعل بعض المعاصي في حياته فهو إن تاب منها توبة صادقة فقد وعد الله تعالى بقبول توبة التائبين الصادقين وأنه تعالى يغفر لعم ذنبهم الذي اقترفوه، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)(١).

أما إن مات العاصي المذنب دون توبة فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه وعاقبه، وقد بين لنا الرسول ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وهذا يعني أن العصاة والفسقة ممن مات على الإيمان وعدم الشرك قد يعذبون في النار فترة يعلمها الله ثم يخرجون منها إلى الجنة لتكون مقرهم الدائم بإذن الله تعالى.

هذا ومن عقائد المسلمين أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله ورحمته وأن العمل الصالح وحده لا يؤهل صاحبه لدخول الجنة، مالم ينتج عن هذا العمل رضى الله تعالى ورحمته بالعبد.

قال رسول الله ﷺ: "لن يُدخِل أحدَكم عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته"(٢).ومع هذا فقد أخبرنا الله أنه لا يضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى .

كل هذا ليكون المسلم دائم الاتصال بالله والالتجاء إليه والتضرع له، وفي هذا ما يساعد على تحسن السلوك لدى المسلم في حياته الخاصة والعامة.

---

(1) سورة الشورى الآية ٢٥

(2) رواه الإمام البخاري

س٦٣) هل تلاوة القرآن الكريم وحدها دون تدبر لمعانيه تعتبر عبادة ؟

ج٦٣) نعم تعتبر عبادة ، ولكن ليس من يقرأ القرآن الكريم وهو غافل لاهٍ كمن يقرأه وهو يقظٌ مفكر، وللجميع أجر ولكن فرق بين من يصيد عصفورًا وبين من يصيد غزالاً والكل صياد فمن شاء أن يقل ومن شاء أن يكثر.

وإنما الحياة السعيدة في ظلال القرآن الكريم لن تكون إلا لمن يتدبرونه ويخشعون عند سماعه ويؤثر في حياتهم ويغير مجرى تاريخهم، كما سبق أن حدث مثل ذلك في حياة الصحابة الكرام ﷺ الذين عاصروا نزول القرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ .

س٦٤) ما الحكمة من كل ركن من أركان الإسلام ؟

ج٦٤) أركان الإسلام خمسة وهي:

١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

٢) وإقام الصلاة ٣) وإيتاء الزكاة

٤) وصوم رمضان ٥) وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً

وهذه الأركان مبني عليها الإسلام كله، والسؤال هنا عن الحكمة منها سؤال كبير وواسع، وتحتاج الإجابة عليه إلى معرفة كاملة بهذا الدين أصوله وفروعه، ولكن هذا لا يمنع من أن نذكِّر بطرف من حكمة تلك الأسس و الأركان حسب ما يوفق الله إليه ويعين عليه.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

إنها شهادة الحق وأساس الإيمان والإسلام، فلا إله يعبد ويستسلم له ويلجأ إليه عند الشدائد إلا الله، إنه التوحيد الذي يضمن استقرار النفس وسلامة الفكر ويتسق مع

الفطرة والعقل، ولو كان فيهما – السماوات والأرض – آلهة إلا الله لفسدتا، ولعلا بعضهم على بعض.

محمد رسول الله فهو الهادي إلى الله، والمبلغ عنه نظم الحياة وسننها التي يسيرها الله عليها، وهو الذي هدى الناس إلى ربهم وعرفهم مناهج الحياة الفاضلة السعيدة.

وبهذه الشهادة يتوحد مصدر العبودية ومصدر التلقي عن الله، فلا يعيش الإنسان بعد ذلك هائمًا مضطربًا لا يعرف أين يتوجه ولمن يستسلم، ولا يحتار الإنسان في الطريق الذي يسلكه في حياته، فإنه مرسوم واضح قد بينه الرسول عن ربه نظامًا شاملاً متكاملاً، سمحًا ميسرًا، تصورًا وسلوكًا، ومنهاجًا للحياة العامة والخاصة.

وأما إقامة الصلاة:

فإنها الصلة بين العبد وربه، فيها الخضوع والخشوع لله، وفيها المناجاة والدعاء وطلب الهداية من الله، وهي عنوان الاستسلام لله في أمره ونهيه، وهي غذاء الروح والعاطفة، وهي التي تغرس في النفس حب الطهارة والنظام، وهي تحفز المشاعر بين الحين والآخر فلا تدعها خاملة، ولا تترك لها الفرصة للتبلد والموت، كيف لا والمسلم يستعد لهذه لفريضة خمس مرات في اليوم، فلا تكاد الحياة تشغله وتحيط بعقله وتفكيره ويستسلم لها حتى ينادى بالصلاة فيهب المسلم ليتوضأ ويتطهر ويتحرك إلى المسجد، ليقف في صفٍ مَهيب يناجي ربه في مكان طاهر ويردد دعوات وابتهالات وآيات قرآنية كريمة، فلا بد أن يشده جميع ذلك ويحيي قلبه ويوقظ ضميره، مما ينعكس آثاره على سجاياه وأخلاقه ومعاملاته للمجتمع من حوله، ابتداءً من أسرته وأهل بيته وانتهاءً بأبعد الناس عنه.

ولنتصور الفرق بين حياة رجل مسلم يصلي الصلاة الخاشعة المطمئنة ويحافظ على أوقاتها وآدابها، وبين رجل لا يعرف الصلاة ولا الطهارة ولا يلزمه دين ولا عقيدة

بشيء من ذلك، لنتصور الفرق على مستوى حياة كلا الرجلين النفسية والشخصية والاجتماعية والخاصة والعامة، إن نحن فعلنا ذلك؛ فسنجد الفرق كبيرًا والبون شاسعًا، اللهم إن كان عندنا قلب يميز بين الأحياء والأموات.

وأما إيتاء الزكاة:

إن الزكاة في الإسلام هي أساس التكافل الاجتماعي في الأمة وهي الضمان لحقوق الفقراء فَرضها الله لهم على الأغنياء، لتوجد التواصل والتراحم بين طبقات المجتمع، ولتشيع فيه روح المحبة والتعاون، ولتقضي على بواعث الحقد والاستكبار بين المؤمنين المسلمين، والزكاة أيضًا عنوان البناء الاقتصادي المتكامل في هذا الدين، وإشارة واضحة إلى أن الإسلام ليس مجرد عواطف يحس بها الضمير وتعيش داخل النفس، بل هو نظام حياة شاملة، مع كونه عقيدة حية قوية في النفس.

إنه دين يعيش مع هموم الناس ويحل لهم ما قد يعترضهم من إشكالات، وييسر لهم سبل الحياة الكريمة الفاضلة بما يسعد الجميع ويحقق الأمن والاستقرار في جنبات الحياة كلها، ولعل الإجابات على الأسئلة المتعلقة بالزكاة تزيد الأمر إيضاحًا إن شاء الله.

وأما صوم رمضان :

فالصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة، ابتغاء رضوان الله ﷻ، وفي الصيام قوة للنفس والإرادة لتعلو عن أَسْرِ الضرورات والشهوات، وتسمو إلى آفاق ما وراء المادة والحس، وفيه الانضباط والنظام الذي يجب أن يألفه المسلم في حياته، فلا يبقى مسترسلاً في شؤونه دون مبالاة.

فالصوم يعوده على أن هناك وقت دقيق للإمساك عن الطعام والشراب، ووقت آخر يجب أن يسرع فيه المسلم للإفطار وتناول الغذاء، فإذا انتهى شهر الصوم؛ فالمسلم

في ضيافة الله يوم العيد، ويحرم عليه صوم ذلك اليوم بعد أن كان الصوم واجبًا بالأمس، إنه النظام والطاعة والتربية العظيمة للنفوس الكبيرة.

كما أن الصوم في الإسلام يذكِّر الأغنياء والأصحاء بهموم الفقراء والمرضى والضعفاء، فعندما يجوع الغني الصائم؛ سيتذكر الفقراء الذين قد يدركهم الجوع دائمًا، فيُحسِن إليهم ويهتم بشؤونهم، وهكذا يخرج الصائم من صومه بدروس روحية ونفسية واجتماعية عظيمة.

وأما حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً:

فهو أيضًا عبادة عظيمة تعود الفرد المسلم على التضحية بالمال والراحة في سبيل الله، ومن أجل التعالي على المادة، والارتقاء إلى عالم القيم والمثل العليا.

ثم إن الحج حلقة قوية في سلسلة الأنظمة الإسلامية التي يتربى عليها المجتمع المسلم كالتعارف والتعاون التشاور، ولننظر إلى المنظومة التربوية في هذا السياق:

لقد شرع الإسلام صلاة الجماعة التي تتيح للمسلمين على مستوى الحي أن يلتقوا خمس مرات يوميًا، يتعرف بعضهم هموم وأشجان وأحوال البعض الآخر.

ثم شرع الإسلام لقاءً على مستوى كل بلدة أو قرية كل أسبوع وذلك يوم الجمعة في صلاة الجمعة، ليقوم بالمسلمين أحد علمائهم فيذكرهم وينصحهم ويوجههم إلى أفضل ما ينبغي أن يكونوا عليه، ويعالج خطيب الجمعة المشكلات التي قد تقع خلال الأسبوع من منظور إسلامي تربوي واعٍ، ليخرج الناس من صلاة الجمعة وقد فقهوا وأخذوا جرعة من التوجيه والتوعية يشقون بها الطريق إلى المستقبل الأفضل.

ثم شرع الإسلام للمسلمين لقاءً أوسع وعلى مستوى العالم الإسلامي كل عام مرة وذلك هو الحج إلى بيت الله الحرام، ذلك التجمع المبارك الذي يتخلى الناس فيه عن عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم ولغاتهم المحلية، ليقوموا بأداء شعائر موحدة من الإحرام

والوقوف بعرفة والطواف والسعي والتلبية ونحو ذلك، ملتفين حول رمز عظيم يجمع قلوبهم ووجوههم وهو الكعبة المشرفة، والالتفاف حولها بشكل دائري في صلاتهم يرى بعضهم بعضًا، ويهتفون جميعًا معظم وقتهم: "لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك".

يلتقي العالم الإسلامي في الحج ليشهدوا منافع لهم، فيظهر المسلمون عزة الإسلام وعظمته بوحدة هدفهم وقوة وحدتهم، ثم يتبادلون الرأي والمشورة حول همومهم ومشكلاتهم الملحة عالميًا ومحليًا ليخرجوا بالدروس النافعة والعبر والعظات التي تنير لهم الطريق في حياتهم، وتعينهم على أداء رسالتهم ومهامهم الكبرى، وهكذا يكون الحج، تضحيةٌ وتعاونٌ وتشاورٌ وتعارفٌ ونظامٌ وتربيةٌ ورمزُ وحدةٍ وقوةٍ، ومنافع كثيرة يأخذ كل مسلم منها بنصيب مقدر.

تلك هي إجابة سريعة وإلماحة معبرة عن حِكَمِ وأسرار أركان الإسلام العظيم، وأهم من جميع ذلك هو تذوق حلاوة العبودية لله تعالى من خلال التطبيق العملي لتلك الأركان مع ملاحظة الإخلاص والصدق مع الله تعالى ومع النفس، والحرص الشديد على اتباع السنة والتأسي بالرسول الهادي المعلم عليه الصلاة والسلام في جميع الشرائع والأحوال.

فمن محراب العبودية تتعالى أنوار الهداية فتبدد ظلمات الحياة الداكنة، قال الله ﷻ: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)(١).

(1) سورة الأنعام الآية ١٢٢

س٦٥) هل للمسلم أن يعتبر أن عدم التوفيق في حياته نوع من ابتلاء الله تعالى له ؟

ج٦٥) إن عدم التوفيق في الحياة قد يكون له أسباب منها:

أ) العجز عن فهم سنن الحياة وعدم إدراك قانون الأسباب وآثارها على النتائج، وقد أمر الإسلام بالحركة والسير في الأرض بحثًا عن السنن وطلبًا للرزق وابتغاء فضل الله ﷻ، فالذي يقعد عن الحركة والكسب ويستسلم لليأس والكآبة منتظرًا فضل الله وتوفيقه أن يأتيه دون جهد، إن مثل هذا يكون مخالفًا لأمر الله تعالى ولتعاليم الإسلام، وقد قال الله ﷻ: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)(١)٠

ب) وقد يكون عدم التوفيق جزاءً من الله على أعمال ونوايا غير طيبة قد يقع فيها الإنسان، فالتوفيق في الحياة نعمة من الله قد يحرمها بعض الناس، فمثلاً من لا يتعاون مع الناس ولا ييسر على معسرهم ولا يحمل ضعيفهم ولا يعينه، ولا يفرج كربة مضطر ولا يسد حاجة محتاج، مثل هذا إذا وقع هو في ضيق وكرب وحاجة ثم لم يدركه توفيق الله لينقذه من همه وغمه فعليه أن يعرف أن الجزاء من جنس العمل، والرسول محمد ﷺ يقول: "من يسَّر على مُعسِر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة"(٢)، وقال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ✎ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ✎ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ✎ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ✎ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ✎ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)(٣)، وقال تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)(٤)٠

---

(1) سورة الملك الآية ١٥

(2) رواه ابن ماجة ورمز السيوطي في الجامع إلى أنه حديث حسن٠

(3) سورة الليل الآيات ٥-١٠

(4) سورة فاطر الآية ٤٣

جـــ) وقد يكون الابتلاء من الله لعباده ليظهر مدى صبرهم وإيمانهم به، نعم قد لا يوجد عند المسلم عجز عن فهم السنن الربانية التي تحكم الحياة، وقد لا يكون مقصرًا في عمل من الأعمال، وقد لا يكون عنده نية سيئة تجاه الآخرين، ومع ذلك يجد بعض العقبات في طريق حياته، وهنا يكون هذا الابتلاء من الله ليظهر مدى إيمان هذا المبتلى ومدى يقينه وثباته على هذا الإيمان، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(١)٠

والمؤمن الحق يكون عند الابتلاء صابرًا محتسبًا راضيًا مطمئنًا لا تذهب نفسه حسرات على بعض ما يفوته من متع الحياة، والرسول ﷺ يقول: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير له؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"(٢)٠

س٦٦) إذا لم يكن في الإسلام رهبنة فلِمَ وجدت الفرق الصوفية ؟

ج٦٦) حقًا ليس في الإسلام رهبنة بمعنى اعتزال النساء وإبعاد النفس عن الشهوات والملذات المباحة، بل إن الإسلام قد غير هذا المصطلح وأبدله بما يتفق مع عموم شرائعه، حيث قال رسول الله ﷺ : "الجهاد رهبانيَّة الإسلام"(٣)، فلئن فهم بعض الناس أن الرهبانية اعتزال الحياة والزهد فيها والسلبية تجاهها، فقد اعتبر الإسلام أن الجهاد في سبيل الله لنشر دين الله والدفاع عن الحق الذي أنزله الله هو رهبانية المسلم، إنها الإيجابية الإسلامية مقابل السلبية عند الآخرين٠

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٣٥

(2) رواه الإمام مسلم وأحمد عن صهيب، انظر صحيح الجامع رقم ٣٩٨٠

(3) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد، وهو حديث حسن، انظر صحيح الجامع رقم ٢٥٤٣

وأما قضية وجود الفرق الصوفية فإن أصلها – على تقدير حسن الظن بها– أنها كانت ردة فعلٍ على الترف والانغماس في اللهو في بعض المجتمعات الإسلامية، مما حدا بهؤلاء الذين أطلق عليهم المتصوفة أن يتبنوا الدعوة إلى الزهد والتخفف من التعلق بالحياة الدنيا على حساب الآخرة، وضرورة البعد عن كل ما يشغل عن الله ﷻ.

ولم يدعُ أحد منهم إلى الرهبنة أبدًا، ولو فرض أن تبنى ذلك أحد من الناس – من أهل التصوف أو غيرهم– فيكون عملهم ذلك خطأ وانحراف عن شرائع الإسلام الذي أحل الطيبات وحرم الخبائث ودعا إلى الزواج ورغب فيه وفي تكثير النسل حتى تكثر الأمة ويكثر الخير فيها، وتلك أمور بدهية في الإسلام لا يجهلها أحد ولا تحتاج إلى برهان ودليل.

هكذا بدأت قصة التصوف، ثم بمرور الزمن ونتيجة للجهل في الدين والبعد عن أهل العلم، بدأ الانحراف والشطط عند الكثيرين من المتصوفة، حتى صاروا في عموم أحوالهم بعيدين كل البعد عن هدي الإسلام وتعاليمه وشرائعه ألا من رحم ربك وقليلٌ ما هم، والخير كل الخير في الالتزام بهدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيهما ما يغني عن كل أفكار البشر وأفهامهم.

س٦٧) كيف يمكن أن نفسر التناقض بين ما يقوم به المسلمون من العبادات المفروضة كالصلاة والصيام والحج وبين سلوكهم ومعاملاتهم التي لا تتفق مع الإسلام وشرائعه ؟

ج٦٧) الأصل في المسلم أن يكون دينه موجِّهًا لحياته الخاصة والعامة، والأصل أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ)(١)، هذا هو الأصل ولكن في كثير من الأحيان لا تجد أثر الصلاة والعبادة في حياة المسلمين، هذا واقعٌ وتفسيره: أن هؤلاء الناس المتناقضين لا يقومون بالعبادة بشكل صحيح ولا تكون صلاتهم خاشعة ولا يكونون مخلصين في عبادتهم، وهم بحاجة إلى تعليم وتربية وتوجيه حتى يؤدوا شعائرهم تامة، وعندها يكون لها أثر في حياتهم وينتهي التناقض الذي يظهر في واقعهم.

(1) سورة العنكبوت الآية ٤٥

الفصل الثاني

مسائل في الطهارات الحسية والمعنوية

س٦٨) متى يعد المرء طاهرًا في نظر الإسلام ؟

ج٦٨) الطهارة في الإسلام لها معنيان: طهارة معنوية، وطهارة حسية.

فالطهارة المعنوية إنما تكون بالإيمان بالله تعالى وحده وعدم الإشراك معه، والتصديق برسله وكتبه واليوم الآخر وجميع مقتضيات الإيمان، ويتبع ذلك سلامة القلب من الحقد والكبر والرياء والعجب والحسد، وتحلي النفس بجميع المكارم وتنزهها عن سفاسف الأخلاق والعادات.

أما **الطهارة الحسية** فتكون قائمة بالإنسان على وجهين:

الأول: الطهارة من الحدث الأكبر بالاغتسال وذلك عند اتصال الرجل بزوجته جنسيًا، والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء وذلك بعد النوم أو خروج شيء من فضلات الإنسان الطبيعية، ولجميع ذلك تفاصيل ليس هنا محل تفصيلها.

الثاني: الطهارة من الخبث، وذلك بأن يبتعد الإنسان في جسمه وثوبه عن النجاسات والقاذورات المختلفة، ويسرع إلى غسل آثار تلك النجاسات فور إصابته بشيء منها في ثوبه أو بدنه، وذلك كالدم والبول والغائط والخمر ونحو ذلك.

فإذا تطهر قلب الإنسان من الشرك وتحلى بالمكارم الخلقية وأقلع عن الأخلاق السيئة، وتطهر جسمه من الحدث والخبث، فعند ذلك يكون طاهرًا الطهارة الكاملة في نظر الإسلام.

س٦٩) ما هي العلاقة بين طهارة الروح وطهارة البدن ؟

ج٦٩) إن الإسلام يحب الطهارة بل ويجعلها شطر الدين كله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)، وقال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان...الحديث"(٢)، وقال ﷺ: "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة...الحديث"(٣).

فالطهارة في الإسلام قيم وجمال، وعند ترتيب الأولويات فلا شك أن طهارة الروح والقلب من الخبائث المعنوية أهم من طهارة البدن من الأوساخ والأدران المادية.

غير أن الإسلام قد حث على الطهارة عمومًا، وبما أن مصدر السلطات والإرادة في الإنسان قلبه؛ فمن هنا كان الارتباط وثيقًا بين الباطن متمثلاً بالروح والقلب وبين الظاهر متمثلاً بالجسد، فمن صلح قلبه صلح ظاهره كله، ومن فسد قلبه فسد ظاهره كله، هذا هو الأصل والمبدأ الأساس في القيم الإسلامية، وعند غياب هذا المبدأ عن حياة الناس فإنهم لن يعرفوا الطهارة لا روحًا ولا جسدًا، وكل ما يتذوق به غير المسلمين من مظاهر النظافة الجسدية ليست إلا خيالاً خادعًا عن بعد، ولو اقتربت من أحدهم لشممت منه الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف، هذا في طهارة الجسد، أما طهارة الروح والقلب فلا مكان لها عند غير المؤمن بالله حقًا، وإن أدنى تأمل في واقع المجتمعات الجاهلية لتعطينا الكثير الكثير من الأدلة على ذلك.

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(2) رواه مسلم في كتاب الطهارة (حديث رقم ٣٢٨)

(3) رواه الترمذي في كتاب الأدب (حديث رقم ٢٧٢٣)

س٧٠) عندما يدخل الشخص الإسلام فهل الغسل واجب عليه ؟

ج٧٠) الاغتسال بالنسبة لمن دخل الإسلام مطلوب شرعاً ومن أهل العلم من يرى أنه مسنون ومندوب حسًا ومعنى، وما أجمل أن تكون البداية لمن يدخل في هذا الدين بعد الشهادتين الطهارة بنية بداية عهد جديد في الحياة يقوم على طهارة الإنسان ظاهراً وباطناً، ثم قد يكون هذا الذي أسلم قد تحمل الجنابة قبل إسلامه كما لو اتصل بزوجته مثلا اتصالاً جنسياً فهنا يتأكد عليه الاغتسال ويكون واجباً عند جمهور أهل العلم. والحكمة من هذا الاغتسال التأكيد على أهمية الطهارة.

س٧١) عندما يدخل الشخص الإسلام فهل يغني الوضوء عن الغسل أم أنه يلزمه الغسل ؟

ج٧١) لا يغني الوضوء في هذا الحال بل المشروع هو الاغتسال كما سبق في السؤال الآنف الذكر.

س٧٢) إذا أراد الرجل أن يسلم ولم يجد الماء للغسل فماذا يفعل ؟

ج٧٢) إن عدم وجود الماء لا يمنع من الدخول في الإسلام بل يسلم ويشهد الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ويغتسل بعد ذلك عند وجود الماء.

س٧٣) هل إزالة الشعر واجبة على من أراد الدخول في الإسلام، وهل يعد ذلك جزءًا من الطهارة ؟

ج٧٣) لابد من تحديد المقصود بالشعر في هذا السؤال، فإن كان شعر الرأس فلا تجب إزالته ولا يعد هذا من باب الطهارة بل جاء عن النبي ﷺ قوله: "من كان له شعر

فليكرمه"(١) وإكرامه بتسريحه وتنظيفه حيناً بعد حين، وأما شعر الشارب أو اللحية فتوجيه الإسلام فيهما هو كما جاء في قول الرسول ﷺ: "حفوا الشوارب واعفوا اللحى"(٢)، ومعنى حف الشوارب قصها بحيث تبدو حمرة الشفة العليا، وإعفاء اللحية ترك شعرها و عدم حلقها لأنها شعار الإسلام وعلامة الرجولة.

وأما شعر الإبط وشعر العانة – ما حول الفرج – فهذا تسن إزالته كلما طال ويستحب أن يزال كل أسبوع ولا ينبغي أن يبقى أربعين يومًا وإلا فقد يقع المسلم في مخالفة السنة حينئذٍ، وإزالة هذا الشعر من سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها و مثله تقليم الأظافر.

س٧٤) ما حكم الشرع في الملابس التي كان يرتديها الشخص قبل إسلامه علماً بأن هذه الملابس قد علق بها عرق الشخص نفسه ؟

ج٧٤) الملابس التي كان يرتديها الشخص قبل إسلامه لا حرج في لبسها بعد الإسلام وإن كان قد تعرَّق بها فالعرق ليس نجسًا، وإن كان يعرف أن فيها نجاسة من آثار البول مثلاً ونحوه فيكفي أن يغسلها ويلبسها ولا حرج عليه في ذلك.

س٧٥) أليس هناك تناقض في دين الإسلام حيث يحث أتباعه على النظافة والتطهر بالماء عند الصلاة، ومن جهة أخرى يجعلهم يعفرون وجوههم بالتراب فيما يعرف بالتيمم ؟

ج٧٦) ليس في الإسلام أي تناقض في تشريعاته وأحكامه والطهارة مطلب هام وخلق أصيل في الإسلام كما سبقت الإشارة إليه والتيمم في الإسلام لا يعارض

---

(1) رواه أبو داود في سننه وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع حديث رقم ٧٧٠

(2) رواه الإمام مسلم والترمذي والنسائي وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع رقم: ٢٠٧

الطهارة وليس هو تعفير للوجه بالتراب، وإنما حقيقة التيمم أن يضرب الإنسان بيديه على الأرض ويمسح بهما وجهه وكفيه دون أن يحمل فيهما شيئًا من التراب، وهذا التيمم معنى رمزي للطهارة المعنوية التي يجب أن تسبق الصلاة عند فقد الماء الذي يتوضأ به المسلم، أو عند العجز عن استعمال الماء لمرض ونحوه. فاستحضار أوامر الله تعالى والشعور بالطاعة له في كل شأن هو المقصد البعيد للتيمم الذي لا يعد مطهرًا حقيقيًا وإنما يحمل معنى التعبد والامتثال لله تعالى في إقامة الصلاة والاستعداد لها.

س٧٦) في قضية الغسل لماذا يهدر المسلمون كميات كبيرة من الماء، وكان يمكن غسل العضو فقط دون سائر الجسد كحبة تفاح وقعت من الكيس فتغسل وحدها دون الحاجة لغسل كل ما في الكيس ؟

ج٧٦) هذا سؤال ساذج وبعيد عن الحقيقة بعداً شديداً إذ هل من العقل أن يقاس الإنسان بما يحمل من خصائص ومشاعر وعواطف وأنسجة وخلايا وأعصاب تتفاعل كلها ويتأثر بعضها ببعض هل يقاس هذا الكائن الراقي العجيب على كيس من التفاح!

وهل تقاس العملية الجنسية التي يتفاعل معها سائر الجسم ويخرج من آثارها خلاصة دم الإنسان وجيناته، وقد تحدث هذه العملية الجنسية تغيراً نفسياً وتنشئ خلقاً آخر له مضاعفاته وعالمه الحي المعقد ، هل تقاس هذه العملية وآثارها الضخمة على تفاحة سقطت من كيس؟!! فنغسلها وحدها! إن الإسلام الذي أوجب الاغتسال هنا هو شرعة الله العليم الخبير فتبارك الله أحسن الخالقين.

س٧٧) ما حكم الإسلام في ختان المرأة؟ ألا يعد ذلك عملية وحشية، وفيه ضياع لكرامة المرأة وإهدار لحقوقها الجنسية ؟

ج٧٧) ختان المرأة جائز وقد يكون مستحباً في الإسلام وذلك بحسب حال المرأة وبيئتها، ففي بعض البلاد ذات المناخ الحار قد يكون ختانها ضرورة لتمام حياتها مستقبلاً مع زوجها بالشكل الطيب الكريم، وأي غضاضة وأي وحشية هذه التي تنال المرأة عندما تختتن؟ وما الفرق بين ختانها وختان الرجل؟ إنها قطعة لحم زائدة في جسد طفل صغير تزال بعناية وتترك وراءها طهارة وجمالاً وتخلق خصائص الرجولة في الغلام وخصائص الأنوثة في الفتاة فما العيب هنا؟ وأين الكرامة المهدرة؟

إن مثل هذه التساؤلات ليست إلا من مخلفات إرث حانق على الإسلام من مجتمعات متشبعة بالدعايات والشائعات المغرضة وعند وضع الأمور للحوار الهادئ والجاد تتبخر كلها وتصير عدمًا.

س٧٨) ما حكم الشرع في ذبائح أهل الكتاب ؟

ج٧٨) ذبائح أهل الكتاب حلال للمسلم قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾(١)، وهذا من يسر الإسلام وسماحته في التعامل مع الآخرين الذين يخالفون المسلمين في الدين والمعتقد ويعد هذا نوعًا من إبداء حسن النية تجاه أهل الكتاب ليقتربوا من المسلمين ويتعايشوا معهم عن قرب وهذا بداية الطريق لفهم الإسلام عن قرب من خلال العمل والسلوك لا مجرد الكلام والادعاء.

---

(1) سورة المائدة الآية ٥

الفصل الثالث

مسائل في الصلاة

س٧٩) هل تصح الصلاة بلغات أخرى (أي بقراءة معاني الفاتحة وبعض السور القصيرة والتحيات)؟ وهل يصح الدعاء والتسبيح في الركوع والسجود والقيام بلغات غير العربية ؟

ج٧٩) لا تصح الصلاة إلا بقراءة الفاتحة باللغة العربية، وعلى من يسلم من غير العرب أن يتعلم من العربية ما يقيم به شعائر دينه وهذا واجب عليه، فاللغة العربية هي لغة القرآن والإسلام ويعذر بقراءة معاني الفاتحة بغير العربية ريثما يتعلم، مع التأكيد على أن تعلم القراءة بالعربية ميسور وخاصة للقرآن الكريم والله تعالى يقول: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(١)، أما الدعاء والتسبيح بغير العربية فلا حرج فيه وإن كان الأفضل أن يكون باللغة العربية لغة القرآن والإسلام.

س٨٠) ما حكم تارك الصلاة إهمالاً وليس جحوداً، هل يكفر بذلك ؟

ج٨٠) الصلاة ركن من أركان الدين بل هي أهم الأركان بعد الشهادتين وهي أهم الفوارق التي تميز المسلم عن الكافر، وهي آخر ما يحافظ عليه المسلم من الإسلام عادة، فمن تركها فهو إن لم يكفر فقد اقترب من الكفر كثيرًا، ويوم يترك المسلم الصلاة كسلاً لا جحودًا فيرى بعض فقهاء الإسلام أنه يكفر بتركها، ويرى أكثر

(1) سورة القمر الآية ١٧

الفقهاء أنه يفسق ويقترب من الكفر ولا يكفر بمجرد تركها كسلاً و إهمالاً إن كان مقرًا بفرضيتها ووجوبها.

أما أن يفهم الإسلام على أنه مجرد تمتمات لفظية وطقوس ظاهرية ودعاوى يدعيها أناس دون عمل ولا التزام ولا أخلاق، أما هذا فهو دين مشوه وصاحبه مخادع يحتاج إلى فهم سليم لدينه ودوره في الحياة.

س٨١) هل تبطل الصلاة التي تؤدى مع انصراف العقل والانشغال بأمور دنيوية ؟

ج٨١) لا تبطل الصلاة عند انصراف العقل فيها وانشغاله بأمور الدنيا ولكن لن ينال المصلي ثواب صلاة هو غافل فيها ومشغول عنها، إنما يكون قد سقط عنه الفرض بأدائها، أما الثواب والآثار الطيبة في الحياة فلا يتم ذلك إلا بالصلاة الخاشعة المطمئنة.

س٨٢) لماذا يصلي المسلمون بهذه الكيفية من قيام وركوع وسجود، ولماذا لا تكون بالكلام فقط ؟

ج٨٢) الصلاة عبادة الله وهي بهيئة مخصوصة علمنا إياها رسول الله ﷺ وتعلمها هو من أمين الوحي جبريل عليه السلام. وقال لنا رسول الله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(١).

والاقتداء بالرسول ﷺ واجب سواء علمنا الحكمة من بعض الأعمال أم لم نعلمها، وعندما لا نعلم الحكمة ونستسلم لأمر الله فهذا نوع من الإيمان بالغيب ونجاح في الاختبار والابتلاء ليظهر صدق الإيمان بالله – وهو سبحانه وتعالى غيب عنا – من عدم الصدق في ذلك.

---

(1) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي، انظر صحيح الجامع للألباني رق ٨٩٣

س٨٣) هل يجوز للمسلم الصلاة في الكنيسة إذا أدركه الوقت ولم يجد مكاناً آخر للصلاة ؟

ج٨٣) تكره الصلاة في الكنيسة لأنها مكان عبادة غير المسلمين. والأرض كلها مسجد للمسلم وبإمكان المسلم الذي أدركته الصلاة وهو في الكنيسة لأمر ما أن يخرج ويصلي في الشارع فهو له مسجد وطهور ويبقى متميزًا عن غير المسلمين في عقيدته وعبادته فإن صلى في الكنيسة وهي طاهرة فصلاته صحيحة مع الكراهة.

س٨٤) ما حكم الشرع في الفرائض التي فاتت الشخص المسلم قبل إسلامه هل يلزم بقضائها أم لا ؟

ج٨٤) "الإسلام يَجُبُّ ما قبله"(١). هكذا قال رسول الله ﷺ، وبالتالي فلا يطلب ممن أسلم حديثًا أن يقضي شيئًا من الفرائض التي تركها قبل إسلامه وهذا من سماحة الإسلام.

س٨٥) من شروط الصلاة الطهارة، فهل صلاة من دخل في الإسلام ولم يختتن صحيحة ؟

ج٨٥) صلاة من دخل في الإسلام و لم يختتن بعد صحيحة إذا تعهد مكان الختان بالطهارة الصحيحة بحيث يتأكد من غسل داخل الجلدة التي يجب قطعها عند الختان. وعليه أن يبادر بالختان لأنه من واجبات الإسلام.

---

(1) رواه ابن سعد عن الزبير وحيد بن مطعم، وهو حديث صحيح، انظر صحيح الجامع للألباني٣٧٧٧ .

الفصل الرابع

مسائل في الزكاة

س٨٦) لماذا يكدح المسلم ويتعب وفي النهاية يعطى نسبة من ماله فيما يسمى بالزكاة؟ أليس هذا المال يخصه نتيجة تعب؟ أما من هم في حاجة فإن الله قد يرزقهم مثله ؟

ج٨٦) إن الإسلام له منهجه التربوي الشامل الذي يلاحظ الفرد والجماعة بآن واحد ويحفظ التوازن في الحقوق والواجبات، ويزكي النفوس ويطهرها من الشح والبخل، ويجعل الإنسان يشعر أنه ضمن مجتمع هو جزء منه فلا سعادة له إلا إذا سعد الجميع كما قال الشاعر المسلم في أكرم بيت شعر قالته العرب:

فلا نزلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

والمسلم يشقى ضميره ويُعَذَّب إن كان من حوله في ضيق ومعاناة، ثم إن الإسلام نظم المجتمع الإسلامي تنظيمًا قائمًا على التعاون والتكافل والترابط والتراحم بل والحب والإيثار.

فهذا الذي أنعم الله عليه بالمال وأعطاه الصحة والقوة لجمعه فشكر الله عليه أن يعطي المحرومين والفقراء مما أكرمه الله به من فضل ماله، وبهذا العطاء توصل حبال المحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء فينعم المجتمع وتسوده روح التعاون عن رغبة صادقة وعن طواعية واختيار، ثم إن الآخذ اليوم يكون معطيًا غدًا، كما أن المعطي اليوم قد يكون آخذًا في يوم آخر. وكل حق يقابله واجب والعكس صحيح.

وننظر إلى المجتمعات المتحضرة الحديثة فنجدها تفرض أنظمة التكافل الاجتماعي فرضاً وتسن قوانين الضرائب وتحميها بقوة الدولة، بينما الإسلام شرع نظام الزكاة ليحقق التكافل عن حب ورغبة واختبار ابتداء. إلا إن تمرد بعض الناس على هذا النظام فإن الزكاة تؤخذ منهم قهرًا بواسطة الدولة المسلمة ليبقى حق المجتمع مقدماً على حقوق الأفراد ولتعم السعادة الجميع. قال الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(١)، وقال رسول الله ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائع بجنبه وهو يعلم به"(٢).

هكذا ربى الإسلام الناس فكان مجتمعًا حضاريًا لم يشهد التاريخ له مثالاً على وجه الأرض. وما زال هذا الدين قادراً على صناعة مثل هذا المجتمع وعلى تلك القيم والمثل العليا إذا توفر له قيادات واعية ومخلصة ونعم الناس بجو من الحرية والكرامة.

س٨٧) هل يجوز إعطاء الزكاة للأقارب لتأليف قلوبهم للدخول في الإسلام ؟

ج٨٧) نعم يجوز إعطاء الزكاة للأقارب لتأليف قلوبهم للدخول في الإسلام، وقد ذكر الله ذلك في جملة من تعطى لهم الزكاة فقال تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ...)(٣)، إن مثل هؤلاء يعطون من الزكاة ولو كانوا كفارًا طمعًا في دخولهم في الإسلام، فكم من أناسٍ دخلوا في هذا الدين طامعين ثم صاروا بعد ذلك راغبين ومحبين.

---

(1) سورة المائدة الآية ٢

(2) رواه البزار عن أنس ورمز السيوطي لصحته، انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٥٥٠٥

(3) سورة التوبة الآية ٦٠

س٨٨) من الفئات الثمانية لمصارف الزكاة (وفي سبيل الله) هل يدخل في هذا كفالة الدعاة وشراء الكتب لتوزيعها ؟

ج٨٨) الزكاة يجب أن تصرف في مصارفها التي حددها الله تعالى ومصرف "في سبيل الله" هو عند جمهور العلماء يعني الجهاد في سبيل الله والقتال ضد أعداء الله، أما من تفرغ للدعوة الإسلامية وقضى وقته في هذا الميدان وليس له كسب آخر يدر عليه كفايته فيعطى من الزكاة كفايته، وأما شراء الكتب وتوزيعها، فإن كانت هذه الكتب نافعة لمن توزع إليهم ويمكنهم الاستفادة منها وخاصة في أمر دينهم وكانوا هم ممن يستحقون الزكاة فلا بأس في ذلك، أما نشر الكتاب بشكل عام وعلى غير الفقراء والمحتاجين فهو من أنفع القربات وأهم أنواع نشر الدعوة الإسلامية ولكن يجب أن يكون من غير الزكاة بأن يخصص أهل الخير مبالغ معينة صدقات ونحوها لهذا النوع من الدعوة.

الفصل الخامس

مسائل في الصوم

س٨٩) أليس من قبيل التجويع وتعذيب النفس والجسد ما يفعله المسلمون في صيامهم من تحريم للمطعم والمشرب وذلك لساعات طويلة؟ ولم لا يصومون كما يصوم غيرهم وذلك بعدم تناول بعض الأطعمة فقط مع جواز تناول باقي الأطعمة طوال اليوم ؟

ج٨٩) إن فريضة الصيام في الإسلام- كغيرها من الفرائض - لتبعث على الإعجاب بهذا الدين ونهجه التربوي في الحياة، فالإسلام ليس دينًا يقوم على إشباع العواطف ولا تخدير المشاعر ولا هو دين يركض وراء أهواء الناس ويستجديهم ليجتمعوا حوله كالغثاء، إنه دين رباني جاء ليبني الإنسان الصالح ويؤهله للخلافة في الأرض وإعمارها وإقامة الحق والعدل فيها ومثل هذه المهمات الكبار تحتاج إلى الإرادة القوية و الصبر على أعباء الحياة ومفاجآتها، ولا شيء كالصوم يربي الإرادة تربية حرة عن طواعية واختيار حيث يجوع الإنسان ولا حائل بينه وبين الطعام ويختار هو الامتناع عنه إلى حين ويصبر على ذلك ويتحمل بمحض إرادته لتكون إرادته بعد ذلك مطواعًا لعقله وتفكيره فيحجم في مواقع الإحجام ويتقدم في مواقع التقدم ويفعل ما يفعل ويذر ما يذر بعد تأمل وتروٍّ بعيدًا عن العواطف والانفعالات السريعة والاستجابة للخواطر والهواجس المختلفة، ثم إن الصوم فيه أيضًا تربية للأغنياء والميسورين على تذوق طعم الحاجة ولذعة الجوع التي يعيش عليها الفقراء دائمًا، فعندها يشعر أولئك

بشعور هؤلاء ويتم التعاون والتكافل والتراحم بين أفراد المجتمع كله، أما أن يكون الصوم شكليًا كما يفعل بعض أتباع الديانات المحرفة فهذا لا يتفق مع شمولية الإسلام وتميزه، فشأن هذا الدين الاستقلال بتشريعاته والتميز عن الأفكار والشرائع الأخرى، ليميز الخبيث من الطيب، وأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

س٩٠) رغم أن الإسلام دين يسر إلا أننا نجد فيه بعض التكاليف التي قد تكون شاقة مثل الصيام في المناطق الحارة، لماذا ؟

ج٩٠) ليس في الإسلام مشقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأي فريضة في الإسلام يصعب على الإنسان القيام بها وتكلفه حرجًا وعنتًا فإنها تسقط عنه وتستبدل بما يستطيعه ويتناسب مع إمكانياته، فمن عجز عن الصوم أفطر وقضى عند استطاعته، ومن لا يستطيع القضاء يطعم عن كل يوم مسكينًا، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالإسلام دين رباني ورسالة سماوية عظيمة يراد منه بناء أمة، وإنشاء حضارة، ورعاية مجتمع، والدفاع عن حقوق، وتحقيق إنجازات على مستوى عالمي ضخم، فمثل هذا الدين يجب أن يهيئ أتباعه لتحمل الصعوبات والمشقات لكي يكونوا مؤهلين لبناء الأمم والنهوض بالحضارات ورحم الله القائل:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت من مرادها الأجسام

أما التطلع إلى الراحة والدعة والخمول والكسل فهذا شأن من لا خلاق لهم وشأن قوم لا ينتظر منهم خير لأنفسهم ولا لغيرهم. وهل قامت الحضارات وهل نهض شعب في التاريخ وكان له شأن وهو قاعد خامل لا يجاهد ولا يتعب ولا ينصب؟ وهل يتذوق طعم الراحة الحقيقية إلا من أنهكه التعب؟ وهل يحس بلذة الشفاء إلا من أعياه المرض؟ وهل يحس بطعم الحرية إلا من عانى من صروف الكبت؟

من خلال التأمل بهذه المعاني الكبيرة ندرك أن فريضة الصيام فريضة مربية ربانية والمشقة فيها قد تكون مقصودة ومرادة وإلا لما أدت الدور المراد منها في إعداد الأمة وتهيئتها للمهام الكبار.

س٩١) كيف يصوم من يقطن من المسلمين في دولة لا تغرب عنها الشمس معظم ساعات اليوم مثل الدول الاسكندنافية ؟

ج٩١) الصوم عبادة و هو تعويد على الصبر وبناء الإرادة الجادة وعلى المسلم أن يكون قويًّا في دينه وإرادته وجسمه ما أمكن ذلك.

ومثل تلك البلاد التي لا تغرب الشمس عنها معظم ساعات اليوم فإنه يجب على أهلها الصوم والصبر حتى تغرب الشمس وإن طال النهار على الليل كثيرًا، هذا إن كان هذا الصيام مستطاعًا وإن عجز بعض أهل تلك البلاد عن الصوم وقال لهم طبيب مسلم ثقة أن الصوم ضار بهم في تلك الأحوال فلهم رخصة الإفطار بحسب حال كل إنسان فيفطر العاجز ثم يقضي هذا الصوم بعد قدرته وصحته وإن كان عجزه دائمًا فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا غَداءً أو عشاءً من أوسط ما يطعم أهله.

الفصل السادس

مسائل في الحج

س٩٢) كيف يأمر الإسلام ورسوله بتقبيل حجر ويعتبر ذلك تقرباً، ويفرض الطواف حول بناء حجري، أو الوقوف على جبل من الحجارة والصخر والتراب وذلك في الوقت الذي يأمر أتباعه بالابتعاد عن ذلك ويكفِّر من يعبد الأصنام والأوثان وهي أحجار، ألا يعد ذلك تناقضاً ؟

ج٩٢) إن أفعال الحج من طواف وتقبيل للحجر ووقوف على جبل وما أشبه ذلك لا يشبه بحال عبادة الأصنام التي حرمها الإسلام.

فعبادة الأصنام فيها قصد وتوجه قلبي لتلك الحجارة الجامدة مع الاعتقاد في أنها تضر وتنفع وأن لها تأثيرًا على الإنسان ومثل هذا ليس أكثر من تخلف عقلي فيمن يفعله وهل يمكن للجماد أن يعقل أو يفكر أو يكون له أثر على الحياة والأحياء؟!!

أما أفعال الحج فهي ترمز إلى طاعة الله التي أمر بها وتعني الاستسلام لله في حالتي إدراك أسرار أوامره أو عدم إدراك ذلك إيماناً بأنه تعالى حكيم عليم لا يأمر عباده إلا بما ينفعهم ويصلحهم .

ثم إن في أفعال الحج حكمًا تربوية كبيرة لها أثرها في حياة الأمة الإسلامية، إنها المعالم التي يجتمع عليها الناس ويتحركون خلالها الحركة الواحدة ويقفون الموقف الواحد ويتجهون الاتجاه الواحد ويدورون الدوران الواحد وهم جميعًا بلباس واحد، وشرعت لهم تلبية واحدة .

وكل هذا يذكر المسلمين بوحدتهم الشعورية والفكرية والعقدية وبوحدة اتجاههم نحو القضايا الكبرى في الحياة ووحدة دربهم ومصيرهم.

كما يذكر بالمساواة في الحقوق والواجبات، فلا صغير ولا كبير، ولاحاكم ولا محكوم، ولا أمير ولا سوقيّ، ولا أحد يتميز عن الآخر في لباسه أو طوافه أو وقوفه أو أي شعيرة يؤديها في الحج بل الجميع يسيرون وفق خطة موحدة ومنهج موحد ولسان حالهم يقرأ قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)(١).

وكم للحج من آثار في نفوس الأغنياء والوجهاء عندما يجعلهم سواء مع الفقراء والمساكين فيخفف من كبريائهم ويجعلهم يشعرون بحياة البساطة والحرمان والتعب من أجل أن يعيدوا النظر بعد الحج في طبيعة العلاقات الاجتماعية في الحياة العامة.

وكم للحج من آثار تربوية عندما تتوجه فيه لغات العالم الإسلامي وألوانه وأقطاره وتعيش أيامًا في العام أمام وحدة المشاعر واللغة والسلوك والتوجه.

فهل بعد هذا يظن عاقل أن مشاعر الحج وأفعاله تشبه التذلل أمام صنم من حجارة لا يملك لنفسه أو لغيره ضرًا ولا نفعًا؟!! اللهم لا.

س٩٣) ما الحكمة من الطواف حول الكعبة ؟ وهل يعبد المسلمون الكعبة؟

ج٩٣) المسلمون يعبدون الله وحده ولا يشركون معه أحدًا أبدًا.

وأما الطواف حول الكعبة المشرفة فهو ليس عبادة لها، وإنما هي رمز جعله الله للمسلمين تجتمع عليه كلمتهم واتجاههم، وتتوحد عليه رؤاهم ويلتفون حوله على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم مما يشعرهم بعظمتهم وقوتهم ووحدتهم كما سبقت الإشارة لذلك.

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٩٢

ومن جهة أخرى، هناك كثير من العبادات التي يتقرب بها المسلمون إلى الله تعالى لا تدرك الحكمة الحسية منها على وجه اليقين وإنما هي عنوان الاستسلام لله ذلك الرب العظيم الذي عرفه المسلمون بقدرته وعظمته ورحمته وكماله فأحبوه وآمنوا به، ومن آثار هذا الحب لله المسارعة إلى تنفيذ أمره دون نظر إلى معرفة آثاره ثقة بالله ورغبة بما يدخره من ثواب للمؤمن الطائع لأمره الواقف عند نهيه ﷻ.

ثم إن قضية العبادات التي يجهل المسلم أبعاد حكمتها على وجه التحديد، إنها نوع من الغذاء الروحي للإنسان حتى تتوازن نفسه وتستقر فطرته، حيث الإنسان مخلوق من جسم وعقل وروح، ولكل هذه العناصر غذاؤها، دون أن يطغى جانب على جانب آخر، فالجسم مادي له غذاؤه المادي المحسوس، والعقل وعاء العلم والمعرفة وله غذاؤه في الإسلام حيث فتح الله أمامه آفاق الكون والحياة وحثه على البحث والسبر لأغوار الكون والاستفادة منه، كما مدح الله العقل وأثنى عليه كثيرًا ليمنحه شهادة ثقة وتقدير تعينه على مهامه في الحياة، وأما الروح ذلك الكيان الشفاف المجهول الذي لم يدرك العالم حتى الآن شيئًا عن كنهه وحقيقة أمره، أما هذه الروح فقد جعل الله غذاءها في العبادات والأذكار الخاصة مما يؤمن لهذا العنصر الأساسي في الإنسان نموه واتزانه واتساقه مع الجسم والعقل حتى يكون الإنسان سويًا صالحًا مستقيمًا.

الفصل السابع

شؤون الأسرة والمرأة

س٩٤) لِم قيد الإسلام عدد الزوجات بأربع؟ ولم تضيقون على الرجل في قضية الاستمتاع بالنساء دون الالتزام بزواج وبيت وتكاليف؟

ج٩٤) لقد حدد الإسلام الجمع بين أربع زوجات كحد أعلى وذلك لحِكم بالغة ومتنوعة وقد أثبت الواقع صواب هذا التشريع وخاصة لعلاج ازدياد نسبة النساء على الرجال هذا من جهة ومن جهة أخرى فالرجال أكثر عرضة للأخطار – مثل الحروب والأعمال الخطرة – من النساء فإذا اقتصر على الزواج من واحدة فيبقى عدد من النساء يُحرَمن من نعمة الزواج الذي يؤمن السكن والمودة وحياة الزوجين وإنجاب الأطفال وهذا مطلب فطري عند الناس جميعًا، ثم إن الإسلام عندما أباح التزوج بأكثر من واحدة ليس على سبيل الوجوب وإنما على سبيل الإباحة والجواز بل ورغب في الإبقاء على زوجة واحدة لمن لا يجد في نفسه القدرة على العدل بين زوجاته ونهاه أن يتزوج بأكثر من واحدة إن كان لا يستطيع القيام على الحقوق الزوجية قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مَثْنَى وثُلاثَ وَرُبَاعَ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ...)(١)

هذا وإن نسبة من يعدد (يتزوج أكثر من واحدة) نسبة ضئيلة جدًا إلى من يقتصر على واحدة وتتضاءل النسبة إلى درجة كبيرة فيمن يتزوج ثلاثًا أو أربعًا من النساء وإن الإسلام عندما حرم الاستمتاع الجنسي بين الرجل والمرأة من غير زواج فذلك لما له

(1) سورة النساء الآية ٣

من ضرر على الفرد والمجتمع كالأمراض المعاصرة، وضياع الأنساب ودمار الأسرة التي هي الحلقة الأولى في المجتمع .

هذا وقلما نجد رجلاً أو امرأة في الغرب أو في المجتمعات الأخرى إلا وله ذرية أو أكثر ولها كذلك مثله وهذا كله على حساب الأسرة والبناء، فأي متطور يبيح التعدد في العشيقات ويستنكره في الأزواج ؟

س٩٥) لماذا يسمح الإسلام بتعدد الزوجات ولا يسمح في الاتجاه المقابل بتعدد الأزواج؟ أين المساواة ؟

ج٩٥) إن الذين ينظرون إلى الزواج نظرة شهوانية فقط يفسرون الزواج من خلال هذه النظرة كما يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع يقولون: لم لا يكون للمرأة مثل هذا الحق؟ ويتلخص الجواب في التالي :

لأن في إباحة أكثر من زوج للمرأة ضياع للأنساب فهي موضع الحرث والحمل .

فإذا كانت الأرض لا تصلح لزرع أكثر من نوع واحد فيها في وقت واحد فكيف تصلح المرأة لغرس أكثر من نطفة فيها في آن واحد وقد جاء العلم فيصلاً في هذا الموضوع وهو أن حيوانًا منويًا واحدًا من ملايين الحيوانات المنوية هو الذي يقوم بالتلقيح فإذا كانت العلاقة مع زوج واحد علمنا يقينًا أن هذا التلقيح منه لا من غيره حتى لو كانت الحيوانات المنوية بالملايين أما إذا كان للمرأة أكثر من زوج فكيف نعرف من كان منه ذلك الحيوان المنوي الذي لقح المرأة وبالتالي لمن ينسب الولد ؟

فإذا حصل الحمل والولادة والنفاس وما إلى ذلك مَنْ المكلف بالإنفاق والقوامة على هذه الزوجة، من الأزواج؟

فهل من أجل ادعاء المساواة مع الرجل في تعدد الأزواج يضيع نسب الأولاد .

وكذلك فإن كثيرًا من النساء يبلغن سن اليأس في وقت مبكر جدًا ويتراوح ذلك بين (٤٠-٥٠) عاماً ، أما الرجال فتستمر قدرتهم إلى سن متأخرة جدًا هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن قسمًا من النساء لا يرغبن الأزواج بما يسمى بالبرود الجنسي لديهن ، وهذا ظاهر في النساء أكثر منه في الرجال .

وكذلك فإن المرأة معرضة شهريًا للحيض "العادة الشهرية" وبعضهن يستمر معها الحيض فترة طويلة إلى نصف الشهر تقريبًا مما يفوت حق استمتاع الرجل بها، وكذلك في حالات النفاس وما إلى ذلك .

س٩٦) لماذا لا يجوز للرجل أن يقرب زوجته مدة الحيض ؟

ج٩٦) المحرم في الحيض "العادة الشهرية" هو الجماع فحسب، دون بقية أشكال الاستمتاع والحكمة من ذلك منصوص عليها بقوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(١)، فالله ﷻ يأمر باعتزال النساء في المحيض أي مكان الحيض دون سواه لأنه أذى وقد ثبت طبيًا ذلك وهو شامل لكل أذى ولأن الطباع السوية تكره مخالطة النجاسات، وقد كانت اليهودية تحرم مساكنة الحائض ومؤاكلتها ومعايشتها ومجامعتها .

أما الإسلام وهو دين الوسطية والاعتدال قد أباح كل ذلك غير الجماع وذلك بأن تلبس ما يحول بين الرجل ومجامعتها ولهما الاستمتاع فيما دونه .

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٢٢

س ٩٧) هل يشجع الإسلام عقد زواج بترتيب من الوالدين دون موافقة مسبقة من الابن أو البنت ؟

ج٩٧) لا يشجع الإسلام عقد الزواج دون موافقة الابن والبنت حتى لو كان الولي أبًا وهذا واضح من قوله ﷺ: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت"(١)، وهناك رواية أخرى "الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر وإذنها سكوتها"(٢).

وعن خنساء بنت حزام أن أباها زوجها وهي ثيب فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها (٣).

وروي: "أن جارية بِكرًا أتت رسول الله ﷺ فذكرت له أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي ﷺ "(٤) .

وروي أيضًا: "أن فتاة جاءت إلى الرسول ﷺ فقالت إن أبى زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلِّم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء"(٥)، فمن هذه الأحاديث وكثير غيرها يتبين أن الإسلام لا يجيز تزويج الولي لموليته "ابنته أو أخته" إلا برضاها ولو حدث تزويجه لها بغير رضاها فلها بعد ذلك أن ترفع قضيتها إلى القضاء أو ولي الأمر، فله حق فسخ هذا الزواج .

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه أبو داود والنسائي

(3) رواه الجماعة

(4) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني

(5) رواه ابن ماجة ورجاله رجال الصحيح

س٩٨) لماذا لا يسمح الإسلام للمسلمة بالزواج من يهودي أو نصراني في الوقت الذي يسمح للرجل بالزواج من المسيحية أو اليهودية؟ ولماذا لا يسمح بزواجه من غير الكتابية ؟

ج٩٨) إن الإسلام عندما أباح للمسلم التزوج من اليهودية أو النصرانية إنما أراد الإسلام أن يبين مدى التسامح والتكريم مع الأديان السماوية وأنه يتعامل معهما معاملة خاصة لا يعاملها غيرهما من المعتقدات الأخرى من ذلك الأكل من طعامهم والتزوج من نساءهم ولولا أن القوامة بيد الرجل وربما يتعسف في استعمال حقه في إرغام الزوجة المسلمة على ترك دينها وهذا يعرضها للخطر في دينها وأولادها لكان للإسلام أن يشرع المعاملة بالمثل في الزواج مثل المعاملة بالمثل في الطعام: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حِلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)(١)، ويكفى أن تعامل المحصنات من الذين أوتوا الكتاب معاملة المسلمات من حيث الأجور وتحريم المسافحة (إتيانهن بالحرام) ولا باتخاذهن خدينات مع إبقائهن على دينهن وهن زوجات للمسلم . وفيما يتعلق بزواج غير المسلم من المسلمة فذلك لحكم منها :

١. أن للرجل سلطة وقوامة على الزوجة يخشى من خلالها التأثير عليها في سلوكها وتصرفاتها وفي فكرها ومعتقداتها .

٢. وهي من باب المعاملة بالمثل حيث لا تجيز الديانة النصرانية ولا اليهودية الزواج للمرأة اليهودية أو النصرانية من المسلم .

---

(1) سورة المائدة الآية ٥

٣. ولئلا يجعل الله لغير المسلمين ولاية على المسلمين قال الله تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)(١)٠

س٩٩) لماذا يطلق الرجل زوجته متى شاء، وأما المرأة فلا يسمح لها إلا بعد إجراءات قانونية طويلة ومزعجة ؟

ج٩٩) إن الإسلام لا يبيح للرجل تطليق زوجته تعسفًا وظلمًا فهو إن فعل ذلك يكون قد فرط بالأمانة التي في عنقه، وقد شرع الإسلام عدة تدابير قبل أن يقدم الزوج على تطليق زوجته من ذلك :

١. الوعظ والإرشاد ٠ ٢. الهجر في المضجع ٠
٣. الضرب غير المبرح ٠ ٤. التحكيم ٠
٥. الطلقة الأولى البينونة الصغرى ٠ ٦. الطلقة الثانية البينونة الصغرى ٠
٧. الطلقة الثالثة البينونة الكبرى .

قال الله تعالى: (واللاتي تخافون نشوزهن فَعِظُوهُنَّ واهجروهن في المضاجع واضربوهن)(٢)٠

فبعد هذه المراحل يكون الطلاق البائن، وقبله عدة مراحل على الزوج اتباعها وإلا كان طلاقه تعسفًا وفيه ظلم للمرأة، هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك عدة أمور منها :

١. أن الرجل في الغالب أقل تسرعًا وانفعالاً وأشد ضبطًا لأعصابه وعواطفه من المرأة .

---

(1) سورة النساء الآية ١٤١

(2) سورة النساء الآية ٣٤

٢. إنه صاحب الولاية والقوامة في البيت بما يجب عليه من النفقة على الزوجة .

٣. لأنه المكلف بدفع المهر على العكس من المرأة التي تأخذه .

س١٠٠) لماذا إذا غاب الرجل عن زوجته مدة طويلة يجب عليها الانتظار حتى يحكم لها القاضي بطلاقها، لماذا هذه الإجراءات الطويلة ؟

ج١٠٠) ليس هناك إجراءات طويلة بل لا بد من التثبت والتأكد من انقطاع خبره، والذي يجب معرفته هو أن الزواج عقد يستتبع المودة والرحمة والسكينة والطمأنينة كما أخبر بذلك الله ﷻ: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(١)٠

ومن المعلوم أنه كلما كان العقد ذا آثار عظيمة كلما تشدد المشرِّع في انحلاله ويتوقف الأمر على العاقدين فإذا كانت غيبة الزوج مما أجاز الإسلام انحلال العقد على أساسها فلابد من التريث والتثبت كما أسلفنا في حل هذا العقد، لئلا يصاب أحد العاقدين بالضرر نتيجة الإسراع فيه، وهذا يتقرر بحسب سبب الغياب ومبرراته، والقاضي يقدر مثل هذه الأمور ويدفع الضرر بقدر الإمكان .

س١٠١) لماذا يلزم عند الزواج وجود ولي وشاهدي عدل، ولماذا لا يسمح للمرأة بأن يكون أمرها في يدها، ولا تنتظر أحدًا يذلها في الاختيار ويأذن لها بالزواج، أليس من حق الرجل أن يتزوج متى يشاء فلم تقيدون حريتها حتى في الزواج وانتظار من يمن عليها بالموافقة من الأولياء والشهود ؟

ج١٠١) لقد ورد شيء من الإجابة في البند"٩٧"، ونتابع الإجابة هنا بما يناسب المقام :

---

(1) سورة الروم الآية ٢١

يجب عند الزواج من وجود ولي للمرأة وشاهدي عدل لتنضبط الأمور، ويتميز الزواج الحلال عن السفاح المحرم، ولا يسمح للمرأة أن تزوج نفسها دون أخذ إذن وليها، ولا يسمح له بتزويجها دون أخذ إذنها، فالمسئولية هنا تبادلية لا تتم إلا بموافقة الطرفين الولي والبنت مثلاً وفي هذا تكريم لها وصيانة لحقها وحفاظٌ عليها وليس ذلك إساءة لها أو إذلالاً، فلو اختارت رجلاً وكان كفؤًا لها ومنعها وليها أو لم يكن لها ولي؛ تولى القاضي تزويجها على الرغم من معارضة وليها، وقد جاء في الأثر أن السلطان وليٌّ من لا وليَّ له، أي أن القاضي يقوم بتزويج المرأة إذا لم يكن لها أولياء.

ثم إنه إذا كانت المرأة ترغب في رجلٍ زوجًا لها وكان في الزواج منه خير لها فإن موافقة الولي والشهود تكون شكلية ولا تقييد فيها لحرية المرأة، أما إذا كان الزوج الذي اختارته ليس كفؤًا لها فإن تدخل ولي الأمر ومنعها من الزواج منه فيه خير وفائدة للمرأة فليست كل حرية فيها نفع لصاحبها وليس كل تقييد فيه ضرر للآخرين (وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)(١)٠

س١٠٢) هل يجوز للمرأة أن تطلق زوجها إذا كان لا ينجب أو كان مريضًا مرضًا مزمنًا؟ وهل يجوز العكس بأن يطلق الرجل زوجته في هذين الموضعين ؟

ج١٠٢) لقد مر معنا أن الطلاق إنما يكون بيد الرجل لا بيد المرأة لأسباب على رأسها أن القوامة حق الرجل لا حق المرأة، والرجل أقدر على ذلك من المرأة .

(1) سورة البقرة الآية ٢١٦

وقد أجاز الإسلام للمرأة أن تطلب الفسخ أو ما يسمى في الفقه الإسلامي بـــ "المخالعة" ويكون ذلك بطلب من المرأة إلى جهات القضاء، وسواء أكان هذا بسبب عدم الإنجاب أو عند لحاق ضرر بها من قبل الزوج كأن يكون مريضًا مرضًا مزمنًا، والأمر يختلف في حال علم المرأة بذلك قبل الزواج أو بعده .

س١٠٣) لماذا لا يسمح في بعض بلاد المسلمين للفتاة باختيار من شاءت عند الزواج ؟

ج١٠٣) لا يحكم على الإسلام من خلال تطبيق بعض أهله له، إنما يحكم على الأشخاص من خلال تطبيقهم للإسلام، والإسلام يحترم إرادة الفتاة، وقد مر معنا أنه لابد من موافقة المرأة على من تختاره زوجًا لها ولا يصح العقد بدونه .

والصحيح أن للمرأة أن تختار من تشاء وأن ترفض من تشاء عندما يكون الاختيار صحيحًا .

أما الاختيار المبني على الاختلاط والعشرة غير المشروعة فهو اختيار لاشك فاشل، وفي هذه الحالة لابد من تدخل ولي الأمر المرشد وأعني بالمرشد الذي ينظر في مصلحة ابنته أو موليته لقوله ﷺ: "أيما امرأة أنكحها ولي مسخوط فنكاحها باطل"، قال في منار السبيل: "ولأنها ولاية نظرية فلا يستعيد بها الفاسق كولاية المال".

وعندما يكون الولي عدلاً مرشدًا لابد من تدخله ، لأن الاختيار لا يعود على المرأة بمفردها بل يتجاوزها إلى أهلها وعشيرتها، والإسلام يحترم هذه الروابط الأسرية والاجتماعية.

أما إن الإسلام دين المساواة فهو حق وصدق، لأنه يسوي بين المتماثلات والمتشابهات، ويفرق بين المتناقضات والمتضادات والمختلفات، ولو سوى بين هذه المختلفات لكان ذلك جورًا وظلمًا ولهذا فهو يسوي في وقت الحاجة إلى التسوية

ويفرق في الوقت الذي يحتاج إلى تفرقة، فالرجل والمرأة في الإنسانية سواء، وفي الثواب والعقاب سواء، وفي الحقوق سواء، وفي المسئولية سواء، وفي كثير من التكاليف سواء.

وفي بيت الزوجية سواء، قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)(١)، ولكن لما كان الرجل هو المكلف بالعمل والنفقة والكد أعطي زيادة درجة (وللرجال عليهن درجة)(٢) وهي القوامة، قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)(٣).

وكل هذه الشُّبه متولدة من الأخذ بمعايير فاسدة، فاختلاف العمل يؤدي إلى اختلاف المفاهيم، فحين تُطالَب المرأة الأوربية بالعمل والكسب والنفقة على نفسها كالرجل، لابد وأن يتولد لديها المطالبة بالمساواة، فالخطأ ناشئ من تكليف المرأة بما لا يجب عليها.

وهكذا ولأسباب لم يسوِّ الإسلام بين الرجل والمرأة في الشهادة والميراث والولاية والحضانة والعدة ومقدار العورة الواجب سترها، ووجوب الإنفاق، والطلاق وما إلى ذلك، وقد ثبت أن تكوينها العضوي والوظائفي تختلف فيه عن الرجل قال الطبيب العالم الفرنسي اليكس كاريل: " إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم، أو من طريقة التعليم، إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك، إنها تنشأ من تكون الأنسجة ذاتها، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض، ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليمًا واحدًا، وأن يمنح

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٢٨

(2) سورة البقرة الآية ٢٢٨

(3) سورة النساء الآية٣٤

سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافًا كبيرًا عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها"(١).

س١٠٤) لماذا جعل الإسلام للرجل ضعف ما للمرأة في الميراث؟ وتقولون: إن الإسلام دين المساواة ؟

ج١٠٤) فرض الإسلام للرجل ضعف ما للمرأة في الميراث لعدة أسباب منها :

١- احتياج الرجل للمال أكثر من حاجة المرأة، وذلك لتكليفه بأعباء مالية في الحياة أضعاف ما تكلف به المرأة، فهو إن بَلَغَ كُلِّف بالنفقة على نفسه، وتبقى الفتاة مُنْفَقٌ عليها من قِبَلِ وليها حتى تتزوج، فإذا تزوجت فالرجل مكلف بدفع المهر وهي آخذة له، فإن أقاما بيت الزوجية فهو المُنفِق وهي المُنفَق عليها .

٢- المال عصب الحياة وحسن التصرف فيه واجب فردي وجماعي ومن المسلَّمَات إن الرجل في الغالب أحسن تصرفًا وقدرة على إدارته وتنميته، والواقع يثبت هذا، ولهذا ليس بمستغرب أن يجعل الإسلام ثلثي ذلك المال المكتسب بلا جهد (الميراث) للرجل، ويجعل ثلثه فقط بيد المرأة .

٣- راعى الإسلام احتمال اشتراك الورثة من الرجال في ذلك المال الموروث، لمشاركة الرجال في العمل في حياة مورثهم دون النساء ، فأعطى الرجل أكثر من المرأة، فاشتراك الابن مع أبيه في العمل وارد بخلاف البنت، وهكذا .

٤- ليس إعطاء الرجل ضعف المرأة في الميراث أمرًا مطردًا بل قد يتساويان في بعض الأحوال كالأخ لأم والأخت لأم، والأب والأم من ولدهما إذا كان له فرع وارث، وغيرها.

---

(1) كتاب الإنسان ذلك المجهول لألكسيس كاريل ص١١٤

٥- الوراثة شكل من أشكال النصرة ، والرجال أقدر على النصرة من النساء .

س١٠٥) لماذا لا يرث الأخ الكافر أخاه المسلم، ولا المسلم أخاه الكافر ؟

ج١٠٥) التوارث شكلٌ معبر عن الولاية والصلة والقرابة، فإذا اختلف الوارث عن المورث دِينًا فلا ولاية ولا صلة، وأبلغ صلة وقرابة هي الإسلام قال ﷺ: "لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر"(١)، كما أن في منع التوارث قطعًا لأسباب المواساة والصلة التي قد تفسد على المسلم دينه، وعندما يمنع الإسلام التوارث بين المسلم والكافر إنما يؤكد قاعدة (الغرم بالغنم) والعكس فلا إجحاف بذلك، وهذا أيضًا من المعاملة بالمثل.

س١٠٦) لماذا يُحرم قاتل مورِّثه من الميراث، وما ذنب أبنائه الذين لم يقتلوا ؟

ج١٠٦) حرمان القاتل من الميراث من باب سد الذرائع وإغلاق باب الشر، لكي لا تسول لأحد نفسه في أن يتعجل الإرث بقتل مورثه .

وهو أيضًا من معاملة الإنسان بنقيض مقصوده ومعاقبته من جنس عمله، والقاعدة الفقهية لذلك: "من تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه"، وحرمان القاتل من الميراث لا يحرم بنيه من الميراث ما لم يكونوا محجوبين بورثة آخرين من أسباب الحجب الأخرى غير القتل.

---

(1) متفق عليه.

س١٠٧) لِمَ لا تسافر المرأة وحدها كما يسافر الرجال، ولا بد من وجود ما تسمونه بالمحرم، أو يتطلب الأمر أن يأذن لها هذا المحرم ؟

ج١٠٧) يمكن للمرأة أن تسافر سفرًا قصيرًا دون يوم وليلة بدون محرم، أما إذا زاد فلابد من محرم أو رفقة مأمونة لقوله ﷺ: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها"(١)، فتحريم سفر المرأة من غير محرم لها هذه المسافة الطويلة صيانة وحفظًا لها وإغلاقًا لباب الشر والفتنة فلا يطمع بها دنيء، أو يسيء إليها فاسق لا خلاق له، فإذا أمن سفرها مع رفقة مأمونة بحيث لا تتعرض إلى مثل هذه الأخطار؛ فالإسلام لا يمنع ذلك وقد أجاز حجها وهي من عبادات الإسلام العظيمة مع مثل هذه الرفقة الصالحة .

وهذه من باب سد الذرائع التي هي من قواعد الإسلام وتشريعاته.

س١٠٨) لماذا إذا أرادت المرأة الحج وقضاء الفريضة توقف ذلك الأمر على إذن زوجها أو مرافقة أحد المحارم مع أنها عبادة مفروضة عليها كما هي للرجال الذين يسمح الإسلام لهم بالسفر دون إذن زوجاتهم ؟

ج١٠٨) سبق شيء من الإجابة على بعض هذا السؤال في البند السابق وتمام الإجابة على هذا السؤال التالي:

إذا أراد الله ﷻ أن يخفف عن بعض عباده فما الحرج في ذلك؟

لقد ذكر أهل العلم أن من شروط وجوب الحج على المرأة وجود محرم مرافق لها، وإذا لم يكن شرط وجوب فهو شرط للأداء ليس شرطًا للصحة، فلو حجت دون

---

(1) رواه مسلم في كتاب الحج، رقم ٢٣٨٨

محرم لصح حجها وسقط الفرض عنها، لكن الشارع لا يكلفها بذلك وهي لا تأثم لو ماتت دون أن تحج مادامت لم تجد المحرم أو الرفقة المأمونة.

وإذن الزوج لسفرها مع محرم لأداء فريضة الحج فيه خلاف بين أهل العلم فلو خرجت للحج المفروض عليها مع محرم لها دون إذن زوجها فقد أجازه بعض الفقهاء.

س١٠٩) هل يمكنكم التعليق على الحديث القائل: "ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" ؟

ج١٠٩) الحديث له سبب وقصة وهي أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"(١).

فمن أهل العلم من يحمل هذا القول على سببه فحسب فكأنه ﷺ أخبر عن سقوط عرش كسرى وتمزق دولته، وهو ما حدث فيما بعد، ومنهم من ذهب إلى عموم الخبر، فقال لا تجوز ولاية المرأة ولاية عامة لتعرض المرأة إلى أمور تجعل انصرافها كليًا إلى أمر الولاية فيه مشقة عليها.

س١١٠) لماذا لا يسمح الإسلام للمرأة بتولي إمرة القضاء ؟

ج١١٠) ذهب الجمهور إلى عدم جواز تولى المرأة القضاء، لحديث:"لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"(٢)، ولعدم التوافق بين طبيعتها والعمل في القضاء الذي تقوم به .

وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى جواز توليتها للقضاء فيما تقبل شهادتها به .

وذهب ابن جرير الطبري وكذا المشهور عند المالكية إلى جواز ذلك مطلقًا .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، حديث رقم ٤٠٣٧

(2) سبق تخريجه.

س١١١) ما معنى أن النساء ناقصات عقل ودين ؟

ج١١١) قال رسول الله ﷺ: "يا معشر النساء تصدقن فإني أُريتُكن أكثر أهل النار، فقلن و لم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها؟ أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها"(١)، وواضح من إجابة الرسول ﷺ أنه يعني بنقصان عقل المرأة في مسألة الشهادة، التي تحتاج إلى ضبط وتثبت فالرجل أكثر تثبتًا وضبطًا في هذا الجانب من المرأة، ولأنه يتحمل مواقف الشهادة على الجريمة مثلاً أكثر من تحمل المرأة، وذلك لطبيعة المرأة التي لا تستطيع تحمل ذلك مثل الرجل، فتحتاج إلى شهادة امرأة ثانية لتقوى شهادتهما، ولانشغال المرأة في كثير من الأحيان بأولادها وبيتها يشغلها ذلك عن الحفظ والضبط، وصدر الحديث مشعر بدهاء النساء في بعض الجوانب حتى إنهن ليأخذن بلب الرجل الحازم، واللب أخص من العقل، وهو الخالص منه، والحازم هو الضابط للأمر وهذا أبلغ وصف لهن لأن الرجل الضابط لأمره ينقاد لهن، فغير الضابط أولى بالانقياد .

ومن جهة نقصان الدين فكما أشار الرسول ﷺ إلى نقصان دين المرأة من حيث إنها إذا حاضت لم تصل و لم تصم فتكون عرضة إلى وساوس الشيطان ونزغه، فإذا حصنت نفسها بالذكر والصدقة تكون في مأمن من ذلك إن شاء الله .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه .

وقد ثبت طبيًا أن المرأة عند الحيض والنفاس تكون في وضع نفسي وعضوي غير مريح كما لو كانت في غيرها مثلاً وهذا من الإعجاز النبوي أن يبين لنا الرسول ﷺ أن المرأة عرضة إلى مثل هذا النقص الطارئ وليس هو نقص متأصل في طبيعة المرأة والله أعلم .

س١١٢) نود أن تشرحوا لنا ما ورد على لسان نبيكم من أن "المرأة خلقت من ضلع أعوج" ولماذا لا يقال ذلك في حق الرجال أيضًا ؟

ج١١٢) ورد هذا الحديث للتوصية بالنساء وليس للانتقاص منهن كما يظن السائل ونص الحديث: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وان أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجًا، فاستوصوا بالنساء"(١)، والمعنى اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن، وذلك لضعفهن واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن .

والحديث يبين أن حواء خلقت من ضلع آدم أي أخرجت منه كما تخرج النخلة من النواة، وهذا ما جاء خبره في الأديان السماوية كلها .

ومعنى (وإن أعوج ما في الضلع أعلاه) إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها وفي الحديث إشارة إلى أن للمرأة طبيعة جبلت عليها ومن الصعب تغيير الطبائع، وعلى الرجال التحمل وقبول ذلك منها، ولأن من أراد تقويم الضلع كسره، والكسر يكون بالطلاق والفراق .

(1) رواه البخاري .

وأي إشكال فيما سبق، إلا أن يكون ذلك – والعياذ بالله– من الاعتراض على الخالق سبحانه، الذي خلق آدم من تراب وماء (طين) وخلق المرأة من ضلع، وخلق الجان من مارج من نار .

س١١٣) هل يجوز للمرأة أن تدخل مجال الحياة السياسية والنيابية، وتدلي برأيها في الانتخابات واختيار الحاكم ؟

ج١١٣) لا حرج من دخول المرأة الحياة النيابية والسياسية واختيار الحاكم ضمن أطر شرعية .

فقد استشار عبد الرحمن بن عوف النساء في خدورهن عندما أوكل إليه اختيار الخليفة الثالث عثمان أم علي.

س١١٤) لماذا تعدون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل أليست نفسًا مخلوقة مثله من تراب ؟

ج١١٤) لا علاقة لعدد الشهود في تكريم الشاهد أو امتهانه، إنما يرجع الأمر إلى موضع الشهادة وحاجتها إلى التعدد .

فهناك مواضع لا تقبل فيها إلا شهادة النساء لأن موضع الشهادة خاص بالنساء فلا تقبل فيه شهادة الرجال، وليس في هذا إساءة للرجال، وهناك مواضع تقبل فيها شهادة الرجال والنساء على حد سواء لاستوائهما في الشيء المشهود به كإثبات رؤية هلال رمضان وهناك مواضع تقبل فيه شهادة الرجال والنساء، ولكن لقلة اهتمام النساء بذلك الأمر، واحتمال نسيانهن، جعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، حفاظًا على الحق، وقد علل هذا بنص القرآن الكريم: (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما

الأخرى)(١) وهذا في القضايا المالية، إذ من شأن الرجال الضرب في الأسواق، وحضور عقود المعاوضات المالية، على العكس من النساء، فلا يسترعي انتباههن العقود المالية

س١١٥) لماذا ترجمون الزاني المحصن بالحجارة، وتجلدون الزاني غير المحصن ؟ أليس ذلك وحشية من الإسلام ؟

ج١١٥) ليس في رجم الزاني المحصن أو جلد الأعزب وحشية، بل فعلته هي الحيوانية والوحشية، حيث اعتدى على حق الله وحق الناس، والزنا جريمة بشعة باتفاق الأديان والأعراف ولذا لم تُجزِْهُ القوانين الوضعية، ولهذا كان عقاب الزاني بما يردع ويمنع من الوقوع في هذه الجريمة .

هذا ورجم الزاني المحصن موجود في شريعة اليهود قبل الإسلام، وفي كتب العهد القديم حيث كانت شريعة اليهود والنصارى لكنهم غيروا وبدلوا في هذه الشريعة وبقيت نصوص ذلك إلى زمن الرسول ﷺ عندما جاؤوا له بزانيين من اليهود وبين لهم الرسول ﷺ أن حكمهما موجود عندهم في التوراة ولكنهم أخفوا ذلك عنه ﷺ، وفضح أمرهم بواسطة الوحي قال تعالى: (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين)(٢)، وكان حكم الزاني غير المحصن عندهم أن يلطخ وجهه بالسواد ويركب على دابة منكوسًا ويطاف به في الطرقات .

إن إيقاع عقوبة قاسية على الزاني أو الزانية ليس فيه وجه من وجوه الوحشية، وخاصة بعدما اكتشف الطب الآثار المدمرة له والتي تتهدد المجتمعات بالفناء وما خبر الإيدز والزهري والسيلان وغيرها عن الناس ببعيد.

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٦٢

(2) سورة المائدة الآية ٤٣

س١١٦) لماذا يقيد الإسلام المرأة بالنقاب والحجاب؟ أليس ذلك من قبيل النظرة المهينة للمرأة في كل مناحي الحياة؟ أليس الإيمان في القلب؟ ما الداعي لهذه النظرة السوداء التي نراها في مجتمعات المسلمين فقط؟ أليس من حق المرأة أن تستمتع بنعمة العين والنظر الكريم ؟

ج١١٦) أمر الإسلام المرأة بالحجاب حفاظًا عليها وصيانة لها من السوء والاعتداء كالجوهرة يلفها صاحبها بأنعم القماش ويضعها في مكان آمن صونًا لها من أيدي العابثين، وهذا التعليل منصوص عليه بقوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا)(١) ويتجلى ذلك في أمور:

أولاً: الإسلام في تشريعه يحيط المرأة بهالة من الحشمة يتناسب مع ما جبلت عليه المرأة من الحياء الفطري، وهكذا في كل دين سماوي تراعى هذا الحال، لنأخذ مثالاً في النصرانية التي جعلت الراهبة تخرج بلباس محتشم يختلف عن غيرها من بنات دينها، أما الإسلام فقد جعل هذا الأمر في جميع النساء لأن الدين للجميع وليس خاصًا بفئة معينة، وذلك شأنه في كل تشريعاته.

ثانيًا: صحيح أن الإيمان في القلب، ولكن عمل الجوارح يصدق ذلك الإيمان أو يكذبه، فالالتزام بما أمر الله ﷻ دليل على وجود الإيمان، والخروج على أوامر الله تعالى دليل على عدم الإيمان وضعفه .

ثالثًا: الإسلام لا يحرم على المرأة أن تتمتع بنعمة النظر، والتمتع بالنظر المباح ليس مما حرمه الإسلام، والذي حرمه الإسلام التمتع بالحرام، مع أن ما يظنه السائل متعة

(1) سورة الأحزاب الآية ٥٩

هو في الحقيقة سهم قاتل، وحسرة في القلب لما قد ينجم عن النظر المحرم من آثار تفضي إلى الحرام، حيث يقوم منهج الإسلام على قاعدة سد الذرائع فكل ما أفضى إلى الحرام فهو حرام.

الفصل الثامن

المجتمع الإسلامي والعلاقات الإنسانية

س١١٧) لماذا تلزمون غير المسلمين بقضاء المسلمين إذا حدثت بعض المشاكل في المجتمع الإسلامي ؟

ج١١٧) إن الإسلام لا يلزم أهل الكتاب أن يتحاكموا إلى شريعتنا، ومنهج الإسلام في ذلك :

إن هم تحاكموا إلينا نحكم بينهم بأحكام شريعتنا قال الله تعالى: (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)(١)٠

وإن لم يتحاكموا إلينا كان عليهم أن يتحاكموا إلى شرائعهم مادامت شرائعهم تنتمي إلى أصل دين سماوي قال تعالى: (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين)(٢)، وقال تعالى: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ...)(٣)، وهذا الذي سبق في الأمور الخاصة بالعقائد والمعاملات الأسرية وفي حال مواطنتهم في بلاد المسلمين .

أما فيما يتعلق بالأحوال المدينة والمالية وغيرها، فلابد من الالتزام بما يتحاكم إليه المجتمع الإسلامي ومن يعش بين المسلمين يلتزم برأي الأغلبية، وهذا موجود في بلاد

---

(1) سورة المائدة الآية ٤٢

(2) سورة المائدة الآية ٤٣

(3) سورة المائدة الآية ٤٧

الغرب والشرق فمن يعيش من المسلمين في بلادهم يحتكم إلى قوانينهم المدنية في المعاملات والنظم المختلفة (المرور- الصحة- التعليم) وما إلى ذلك مما لا دخل له في أمور العقيدة وحرية الاعتقاد والعلاقات الأسرية من الزواج وغيره بحيث لا تصطدم مع دين المجتمع الإسلامي، وكما هو مقرر فإن العقد شريعة المتعاقدين، والداخل إلى ديارنا الإسلامية يوقع مسبقًا على الالتزام بالأحكام والآداب الشرعية، وهذا شكل من إثبات السيادة للدولة، ثم إن هذا غير مستنكر لدى جميع دول العالم وشعوبه، فالدساتير في كل دولة تنص على أن القانون يطبق على كل جريمة وقعت على أرض أو سماء أو مياه الدولة دون تفريق بين جنسيات المجرمين.

س١١٨) إذا كنتم تقولون إن الإسلام قد أخذ على عاتقه مسألة تحرير العبيد والإماء فلماذا عندما تقوم حرب بين المسلمين وغيرهم تأخذون الرجال عبيداً والنساء إماءً ؟ ألا يزيد ذلك من عدد الأرقاء والإماء ؟

ج١١٨) لاشك أن الإسلام أخذ على عاتقه تحرير الأرقاء ودعا وحض على ذلك والبراهين كثيرة منها :

١- مشروعية العتق كفارة عن بعض الذنوب، كالقتل الخطأ والظهار، والحنث في اليمين وإفساد الصوم في رمضان بالوطء .

٢- تشريعه الثواب العظيم على العتق تطوعًا.

٣- مشروعية المكاتبة والحث عليها وهي شراء العبد نفسه من سيده بمبلغ من المال يدفعه إليه على أقساط، بحيث يصبح حرًا بعد دفع الأقساط.

٤- تشريعه دفع جزء من الزكاة لهؤلاء المكاتبين (وفي الرقاب).

٥- تشريعه ما يسمى بالتدبير وهو إعتاق العبد عقب موت سيده، كما لو كان السيد لا تطيب نفسه في إعتاق عبده في الحياة فقد فتح له باب عتقه بعد موته كأن يقول له: أنت حر دبر حياتي، فيسمى هذا العبد بالمدبر، وفور موت السيد يصبح ذلك العبد حرًا .

٦- تشريعه أحكام أمهات الأولاد، فلو وطئ السيد أمته فحملت منه أصبحت الأمة أم ولد، لا تُباع ولا ترهن وتصبح حرة بعد موت سيدها.

أما عندما تقوم حرب بين المسلمين وغيرهم ويتم النصر للمسلمين فإن وقع اتفاق أو صلح بين المسلمين وعدوهم فالمسلمون أشد الناس وفاء بما عاهدوا وصالحوا عليه غيرهم وإذا لم يكن هناك صلح أو اتفاق فالأسرى من الأعداء نحن مخيرون أن نصنع بهم واحدة من أربعة أمور:

١- نفاديهم بأسرى لنا عند عدونا، أو نفاديهم بمال.

٢- نطلق سراحهم دون مقابل، منًا و إحسانًا .

٣-نقتلهم إراحة للبشرية من شرهم، والقتل للمقاتِلين منهم فقط.

٤- نضرب عليهم الرق كنوع من الإحسان إليهم ليطلعوا على الإسلام عن كثب علَّهم أن يسلموا، فالذين وقفوا في وجه الإسلام محاربين كان الأصل قتلهم ومن حقنا قتلهمْ ولكن كرمًا نستبقيهم ونضرب عليهم الرق إظهارًا لعزة الإسلام وذل خصومه والذي له حق ضرب الرق هو الخليفة فقط، وليس للأفراد الأخرين.

س١١٩) لماذا يعق عن الأنثى بشاة واحدة وعن الذكر بشاتين ؟ أليس في ذلك تفرقة ؟

ج١١٩) بما أن المفاضلة في العقيقة ثبتت عن الرسول ﷺ فالمسلم لا يسعه إلاَّ التسليم والتنفيذ .

ولعل من وجوه الحكمة والمعقولية في المفاضلة هي إظهار فضل الرجل على المرأة بما وهبه الله من القوة الجسمانية، وبما كلفه من حق القوامة والمسؤولية، ومن الوجوه أيضًا قوله عليه الصلاة والسلام: "الغلام مرتهنٌ بعقيقته"(١)، ولما كان الرجل يجاهد في سبيل الله ويحمل عبء الكد والعمل فيتعرض بذلك للأخطار وإصابات العمل أكثر من المرأة فكان أدعى أن يعق عنه بشاتين حماية لجسمه وتفاؤلاً بسلامته، والله أعلم .

س١٢٠) هل يسمح لغير المسلم أن يدخل المسجد الحرام ؟ ولِمَ ؟

ج١٢٠) لا يجوز لغير المسلمين أن يدخلوا المسجد الحرام في مكة المكرمة، لقوله تعالى: (إنَّما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)(٢) .

أمَّا بقية المساجد فينظر في سبب دخول الكافر فيها، فإن كان دخوله من أجل دعوته أو كان رسول قومه من الكفار أو أي ضرورة أخرى لحاجات المسلمين كدخول من يصلح المسجد إذا لم يكن في المسلمين من يقوم بذلك ونحوه، فيجوز عندئذٍ دخول غير المسلمين، أمَّا دخولها للسياحة والنظر في الآثار فلا ينبغي .

س١٢١) هل تدَّعون أن الإسلام لم ينتشر بالسيف؟ إذن كيف أنتم وقول كتابكم: (فإما تَثْقَفَنَّهُمْ في الحرب فشرِّد بهم مَن خلفهم) ؟

ج١٢١) الإسلام لم ينتشر بالسيف، ولو انتشر بالسيف والإكراه لارتد هؤلاء عند أول فرصة تسنح لهم، ولكن الأمر على النقيض من ذلك، فما إن يدخل الإسلام في القلب حتى يتحول هذا المسلم إلى داعية إلى الإسلام بلسانه وماله وسيفه، والجهاد في الإسلام لتذليل الصعاب أمام وصول الدعوة للناس، فإذا أمكن تبليغ الدعوة دون

---

(1)رواه الترمذي في كتاب الأضاحي رقم ١٤٤٢،وابن ماجة وأحمد.

(2) سورة التوبة الآية ٢٨ .

منع لها أوصدٍ عن سبيل الله أو الوقوف في وجهها بالقوة فلن يستخدم المسلم السلاح والقوة ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن كثيرًا من البلاد وخاصة جنوب شرق آسيا والقسم الأكبر في إفريقيا ومن يسلم في أوربا اليوم كان انتشار الإسلام فيها بالدعوة السلمية، والمعاملة الإسلامية الكريمة من التجار المسلمين، والبعثات الإسلامية إلى تلك البلاد، إن الغرب قد استخدم نفوذه الاستعماري لبلاد العالم وجمعياته وإرسالياته التبشيرية باسم الطب تارة ، وباسم المدارس والتعليم وغيرها تارة أخرى، مستغلاً المرض والفقر والجهل في البلاد الأخرى، وكان من خلال ذلك ينشر النصرانية، فلم يكن عمله هذا خالصًا أو بدافع إنساني بحت وإنما كان باستغلال حاجة هذه الشعوب، وبأعوانٍ له نفذ من خلالهم كل مخططاته الإرهابية والعدوانية، بل ورغب الغرب النصراني بإقامة حكومات علمانية لا تمت للأديان بصلة على أن لا تكون لهذه الحكومات أية صلة بالإسلام الذي يعتبر الغرب العدو اللدود له دون مبرر.

س١٢٢) لم يكن الدخان موجودًا في عهد الرسول ﷺ ومع ذلك يعتبره الكثير من العلماء اليوم حرامًا! فمن أين أتوا بذلك ؟

ج١٢٢) هناك محرمات جاء تحريمها بالنص كالخمر، وأكل الميتة، ولحم الخنزير، وهناك محرمات جاء تحريمها لدخولها تحت قاعدة شرعية كلية، أو مبدأ عام كتحريم الخبائث وكل ما فيه ضرر للجسم أو إتلاف للمال دون فائدة فكل هذه لها أدلتها الشرعية الصحيحة، قال الرسول ﷺ: "لا ضررَ ولا ضرار"(١) فهذا الحديث الصحيح يتناول جميع أنواع الضرر في النفس والمال، ضرر الإنسان لنفسه ولغيره، وقد ثبت أن

(1) رواه ابن ماجة "حديث رقم١٣٣٢"،وأحمد "حديث رقم٢٧١٩"،ومالك "حديث رقم١٢٣٤" .

الدخان ضار للجسم والمال، والإسلام جاءت تشريعاته تقرر حِل كل طيب وتحريم كل خبيث.

فلو نظرنا إلى كل المحرمات نجدها تفضي إلى ضرر في نفسها وفيما تؤول إليه، وقد جاءت الشريعة بالقواعد العامة التي يقاس عليها غيرها على مدى الأزمنة والأمكنة، والقياس عند المسلمين مصدر من مصادر التشريع بعد القرآن والسنة والإجماع وهو صورة من صور الاجتهاد المعترف به والمقرر لدى علماء الإسلام، وهذا هو سر بقاء الإسلام، فهو يلبي حاجات الناس المتجددة، ويحكم على تصرفاتهم المحدثة، ومن هذا المنطلق قال العلماء بتحريم الدخان، على أساس أن فيه ضرر وفيه إتلاف للمال بغير وجهه الصحيح، وهو أقرب إلى دائرة الخبائث منه إلى دائرة الطيبات، قال تعالى: (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ...)(١).

س١٢٣) إن جميع البنوك اليوم غير ملتزمة بتعاليم الدين وتتعامل بالربا، ونظراً لحاجة الناس إلى التعامل معها فقد وضعت نقودي في البنوك التجارية ولكن بدون أخذ فائدة فهل يوجد في ذلك أي مانع ؟

ج١٢٣) إيداع الأموال في البنوك الربوية جائز للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها وعلى هذا لا يصح الإيداع في البنوك الربوية إذا كان المسلم في بلد فيه مؤسسات مالية غير ربوية كالبنوك الإسلامية وتوابعها.

كما أنه لا يصح الإيداع أصلاً إذا كان لا يخشى على ماله السرقة أو الضياع أو التلف. أما إذا خشي عليه شيئًا من ذلك فلا مانع من إيداعه أمواله لدى هذه البنوك لأن القاعدة الفقهية في ذلك أن: "الضرورات تبيح المحظورات".

---

(1) سورة الأعراف الآية ٧

وإن من وضع نقوده مضطرًا إلى ذلك للحفاظ عليها فله ذلك، وله كذلك أخذ فائدة عليها وهذا خير من تركها للمصرف الربوي "البنك" ولكن لا يتصرف فيها تصرفه في ماله الحلال وإنما يعطيها الفقراء والمساكين، فهم المصرف الصحيح لمثل هذه الأموال ولكل مال لا يعرف له صاحب، وله أجر السعي في توصيل هذه الأموال إلى جهة الفقراء والمساكين وليس له أجر الصدقة لأن الصدقة إنما تكون من ماله الحلال الخالص.

أما إذا أودع أمواله في هذه البنوك الربوية مضطرًا إلى ذلك بدون فائدة فهذا جائز أيضا وبمجرد قدرته على الاستغناء عن التعامل مع هذه البنوك الربوية فعليه ذلك.

س١٢٤) هناك أثر يقول "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها"، فهل أستطيع أن آخذ بعض المبادئ الغربية الحسنة وأطبقها على نفسي وعلى عائلتي ؟

ج١٢٤) الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها أو أخذها وعمل بها، لا إشكال في ذلك، والإسلام لا يحجر على المسلمين الأخذ بالنافع لهم في حياتهم، هذا إذا لم يوجد مثله في الإسلام.

فمن حيث العقائد والعبادات والأخلاق وكثير من المعاملات فإن الإسلام أتى بكل خير ونهى عن كل شر قال الله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)(١). والإسلام يحث المسلمين على الأخذ بالعلوم النافعة والأنظمة المتقدمة في مجال التقنية والعلوم التجريبية وما إلى ذلك، وعليه فلا مانع من الأخذ بالنافع مما تقدم به الغرب وتخلف فيه غيرهم

(1) سورة النحل الآية ٩٠

إذا لم يصطدم بأصل من أصول الإسلام المقررة والثابتة والتي فيها كل الخير والنفع لبني الإنسان.

وهناك أمر يجب الانتباه إليه، وهو أن أمرًا من الأمور ربما يكون نفعه مؤقتًا وعارضًا فلا اعتداد بمثل ذلك أو أن يكون نافعًا من خلال وجهة نظر خاصة فهذا أيضًا خاضع لأعراف بعض الناس وعاداتهم وأذواقهم، وهذا كله لا يعتد به، إذ إنه لابد لمن أراد الأخذ بشيء من تلك المبادئ والأعراف والعادات أن يكون ما يؤخذ به أولاً متمشيًا مع الأصول الإسلامية وأن يكون مما لا يختلف الناس حول نفعه وصلاحه، قال تعالى: (ولا يأتونكَ بمثل إلا جئناكَ بالحق وأحسن تفسيرًا)(١).

س١٢٥) ما هي الحكمة من تحريم الربا مع العلم بأن كلا الفريقين (الرابي والمرابي) راضيان بالصفقة رضًا تامًا ؟

ج١٢٥) رضا المتعاقدين لا يحول الحرام حلالاً، كما لو تراضى الزانيان على الفاحشة، ورضا المتبايعين على المخدرات لا يجعل هذه الأمور حلالاً.

إن الذين ينظرون إلى هذه الأمور من خلال نظرهم القصير يبتغون منفعة عاجلة أو منفعة خاصة دون اكتراث بما تجره مثل هذه المعاملات على الأمة من ويلات التخريب والدمار لاقتصاد الأمة، والذي يلجأ إلى الاستدانة إما أن يكون شديد الحاجة إلى هذا القرض الربوي – سواء كان فردًا أو أمة – وهو الفقير المحتاج فأي إنسانية هذه التي تستغل حاجة هذا الإنسان وعوزه.

وإما أن يكون القرض الربوي للإنتاج، فلو حدثت الخسارة، من الطرف الذي يتحمل المسئولية فإن تحملها صاحب القرض فتكون الخسارة التي تلحق به وحده،

---

(1) سورة الفرقان الآية ٣٣

وهذا إجحاف بحقه، وإذا تحملها المقترض، كذلك تكون الكارثة إذ لم يكن ليمد يده إلى القرض لو أنه يستطيع تمويل مشروعه بنفسه، ولكن يجب أن يتعاملا منذ البداية على الربح والخسارة فإذا ربحا فالربح بينهما وإذا خسرا كانت الخسارة من المال وخسر العامل جهده وتعبه، وقد أعلن الله الحرب على المرابين، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ✍ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ✍ وإن كان ذو عسرة فنَظِرَةٌ إلى ميسرة ...)(١).

س١٢٦) هل يجوز لنا لعب الشطرنج أو الورق بدون رهان بوصفه نوعًا من أنواع الترفيه عن النفس حيث إن الرسول ﷺ أشار إلى إباحة الترفيه عن النفس ؟

ج١٢٦) اللعب بما يروح على النفس من وسائل الترفيه المختلفة تضبطه القواعد الشرعية الآتية:

١- ما ورد فيه نص بالنهي أو الإباحة يُعمل بما ثبت فيه من النصوص، فمثلاً من ثبت عنده - من العلماء - أحاديث النهي عن الشطرنج قال بحرمته.

٢- اللعب بما يقوي البدن أو العقل مما لا نص على تحريمه فهو جائز ومشروع.

٣- اللعب بالجائز والمشروع مشروط بأن لا يلهي عن واجب أو يؤدي إلى مفسدة.

وإليك بعض أقوال الفقهاء في ذلك:

---

(1) سورة البقرة الآيات ٧٩-٨١

أجمع المسلمون على أن اللعب بالشطرنج حرام إذا كان على عوض أو تضمن ترك واجب مثل تأخير الصلاة عن وقتها، وكذلك إذا تضمن كذبًا أو ضررًا أو غير ذلك من المحرمات، أما إذا لم يكن كذلك فاختلف العلماء فيه على أقوال:

بعضهم حرمه مطلقًا، وبعضهم قال بكراهته، وبعضهم قال بإباحته وقيدوا ذلك بألا يكثر فيه الحلف وألا يلعبه مع الأوباش في الطرقات وألا يكثر منه بحيث يلهيه عن ذكر الله وإقامة الصلاة، وأفضل للمسلم تركه لقول الرسول ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"(١)، وهو أقرب إلى الكراهة .

(1) رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد والدارمي.

الباب الثالث

في رحاب القرآن الكريم

والسنة والسيرة النبوية

الفصل الأول

مسائل حول القرآن الكريم

س١٢٧) هل القرآن الكريم كلام الله أم كلام محمد ﷺ ؟

ج١٢٧) القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، وقد جعله الله معجزة للرسول ﷺ يتحدى به الناس أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن التحدي، والإعجاز والتحدي مستمران إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة.

قال تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)(١).

فهذا التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة ولو قصرت من القرآن الكريم دليل على أنه ليس من كلام البشر، إذ لو تَقَوَّلَهُ محمد ﷺ وهو بشر لاستطاع أي بشر أن يأتي بمثله

ومما يفيد في هذا المقام ويدفع التلبيس أن تعرف الفرق ما بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث النبوي، ولا أدل على ذلك أن بين يدي التاريخ إلى يومنا هذا آلافًا مؤلفة من كتب السنة تملأ دور الكتب في الشرق والغرب وتنادي كل من له إلمام وذوق في البيان العربي أن هلم لتحس بحاستك البيانية هذا المدى البعيد بين أسلوبي القرآن والحديث، ولتؤمن عن اقتناع بأن أسلوب التنزيل أعلى وأجل من أسلوب الأحاديث النبوية علوًا خارقًا للعادة، خارجًا عن محيط الطاقة البشرية.

---

(1) سورة يونس الآية ٣٨

ولقد كان هؤلاء العرب يعرفون نبي الإسلام ويعرفون مقدرته الكلامية من قبل أن يوحى إليه، وخصوصًا أنهم أهل فصاحة وبيان، وكانوا يقيمون المعارض العامة للتفاخر والتفاضل بفصيح المنظوم وبليغ المنشور، ولم يخطر ببال منصف منهم أن يقول: إن هذا القرآن كلام محمد ﷺ وذلك لما يرى من المفارقات الواضحة بين لغة القرآن ولغة الرسول عليه الصلاة والسلام.

يضاف إلى هذا أنه لم يُعرف عليه الصلاة والسلام في نشأته بينهم بالخطابة ولا بالكتابة ولا بالشعر، ولم يؤثر أنه شاركهم في معارضهم وأسواقهم العامة التي كانوا يقيمونها للتسابق في البيان، وكيف يشاركهم وهو رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة وقد شهد بذلك العرب أنفسهم.

والناظر في هذا القرآن تتراءى له وجوه كثيرة في الإعجاز تبين أنه من عند الله وليس من عند محمد ﷺ.

الوجه الأول: لغته وأسلوبه: وقد بينا أن النبي ﷺ تحدى به العرب فعجزوا عن المعارضة، ولا يزال القرآن يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم، يقول الله تعالى: **(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)**(١).

الوجه الثاني: طريقة تأليفه: إن القرآن لم يترل جملةً واحدة، وإنما نزل مفرقًا على أكثر من عشرين عامًا، وكان الرسول ﷺ كلما نزل عليه بعض الآيات قال: ضعوه في مكان كذا من سورة كذا، واكتمل القرآن بما نراه عليه الآن بشكل منتظم ومؤتلف

(1) سورة الإسراء الآية ٨٨

ومنسجم، بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام ووحدة وترابط، حيث يظن القارئ أنه نزل دفعة واحدة.

الوجه الثالث: علومه ومعارفه: وبيان ذلك أن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق بلغت من نصاعة الحجة وحسن الأثر مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه، بل عجز أهل الأرض جميعًا أن يأتوا بمثله وهذا دليل على أنه من عند الله سبحانه.

الوجه الرابع: وفاؤه بحاجات البشر: ومعنى هذا أن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر وفاءً لا يظفر به أي تشريع آخر، فالقرآن أصلح العقائد والعبادات والأخلاق كما أصلح المجتمع عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم ومحو العصبيات وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد من نفس واحدة، أبوهم آدم وأمهم حواء، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنهم متساوون أمام الله ودينه وتشريعه، متساوون في الحقوق، وقرر العدل لإصلاح السياسة والحكم، وحرم الربا وأحل البيع.

الوجه الخامس: ما نزل منه بعد طول انتظار: ومعنى هذا أن في القرآن الكريم آيات كثيرة تناولت مهمات الأمور ومع ذلك لم تنزل إلا بعد طول انتظار، فدل هذا على أن هذا القرآن كلام الله لا كلام محمد ﷺ، لأنه لو كان كلامه لما كان هذا الانتظار، وذلك كما حصل في التعقيب على حديث الإفك مثلاً، وتأخر الجواب عن سؤال المشركين للنبي ﷺ عن الروح.

الوجه السادس: ومما يستدل به على كون القرآن الكريم من عند الله تعالى تصدُّر بعض السور بفعل الأمر "قل" ومجيء هذا الفعل في آيات كثيرة يصل إلى أكثر من

٣٣٢ آية، إشارةٌ إلى أن القرآن الكريم متلقى من عند الله تعالى وليس من عند رسوله ﷺ .

الوجه السابع: وكذلك توجد أدلة علمية في آيات كثيرة في القرآن الكريم تثبت أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وسأذكر هنا بعض الأدلة، ومن أراد التوسع فعليه مراجعة كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ✎ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ✎ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)(١) .

لقد اشتملت هذه الآيات الكريمات على وصف الجنين في بطن أمه بأنه يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يكون لحمًا فوق العظام إلى آخر أطوار الجنين إلى أن ينفخ فيه الروح، وما ذكره القرآن الكريم هو حقيقة أثبتها العلماء في هذا العصر، فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بتطور الجنين بهذا الشكل في بطن الأم؟

ولم يستطع العلماء معرفة ذلك إلا بعد اختراع الأدوات الحديثة التي تصور ما في البطن، ومعرفة مراحل النمو عند الجنين، ولهذا أيقن بعض العلماء ممن سمعوا بهذه الآيات الواردة في القرآن الكريم وأمثالها، بأن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند مخلوق وإنما هو من عند الخالق.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في وصف تكون الغيوم ونزول الأمطار ما لم يكن لأحد العهد بمعرفة شيء عنه من قبل، قال تعالى: (ألم تر أن الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم

(1) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٤

يجعله ركامًا فترى الوَدْقَ يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برْقه يذهب بالأبصار)(١).

إن الله ﷻ يوضح كيف تتجمع السحب الصغيرة في السماء حتى إذا غدت كبيرة أخرج الله منها المطر ... لم يكن أحد يعرف هذا التصوير في السابق، لم يعرفه العلماء إلا في هذا العصر، وهذا دليل على أن هذا الكلام من عند الله وليس من عند محمد ﷺ.

ومن ذلك ما جاء عن ضيق الصدر عند الصعود في السماء، قال تعالى: (فمن يرد الله أن يهديَه يشرحْ صدره للإسلام ومن يرد أن يضلَّه يجعلْ صدره ضيقًا حَرَجًا كأنما يصَّعَّدُ في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)(٢).

انظر إلى هذه الآية كيف تصف حالة الضال المنحرف بضيق الصدر وتشبه ضيقه بضيق الذي يصعد في السماء حيث يقل الأوكسجين كلما ارتفع فيشعر بالضيق.

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بذلك؟ لا شك أنه رب العالمين.

وهناك آيات أُخَر كثيرة تشهد على أن القرآن الكريم من عند الله من خلال بيان كثير من الحقائق العلمية فيما يتعلق بالإنسان والأرض والبحر والسماء والنجوم والكواكب وغيرها.

(1) سورة النور الآية ٤٣

(2) سورة الأنعام الآية ١٢٥

س١٢٨) كيف تثبت أن القرآن الذي يقرأه المسلمون اليوم هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ وأنه لم ينله تحريف كما حدث للكتب السابقة من قبل ؟

ج١٢٨) كان الرسول ﷺ تلقى الوحي عن الله بواسطة جبريل عليه السلام وكانت همته بادئ ذي بدء منصرفة إلى حفظه واستظهاره وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بجمعه في صدر النبي ﷺ وتمكينه من قراءته وترتيله، اقرأ قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)(١).

وبلَّغ الرسول ﷺ ما أنزل عليه لأصحابه وقرأه عليهم على مُكث أي على مهل ليحسنوا أخذه ويحفظوا لفظه ويفهموا سره، وكان الرسول ﷺ يحيي بهم الليل بالقرآن، ويزين به الصلاة وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة، وعارضه إياه في العام الأخير من حياته ﷺ مرتين.

وتضافرت جهود الصحابة رضي الله عنهم منذ نزول القرآن على حفظه في الصدور، فقد كان كتاب الله محل عنايتهم يتنافسون في استظهاره وحفظه، ويتفاضلون بينهم على مقدار ما يحفظونه منه، حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة رضي الله عنهم يسمع دويًّا كدوي النحل بالقرآن، ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ جمعًا غفيرًا، وإلى جانب الحفظ في الصدور فقد كان للرسول ﷺ كتاب للوحي إذا أنزل عليه شيء قال: ضعوه بعد قول الله تعالى كذا وقبل قول الله تعالى كذا، فما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد كتب القرآن الكريم وحفظ في الصدور، ثم جمع في مصحف

(1) سورة القيامة الآية ١٧

واحد في زمن أبي بكر الصديق ﷺ، ثم جمع القرآن الكريم مرة أخرى في زمن عثمان بن عفان ﷺ ووزع منه نسخ على الأمصار، وهكذا نقل القرآن الكريم من جيل إلى جيل عن طريق الحفظ في الصدور إلى جانب كتابته في المصاحف وهذه أشرف خصيصة لهذه الأمة.

وقد ملأ المسلمون قارات الدنيا وبأيديهم كتاب الله منذ أن جاء الإسلام إلى اليوم، وقبل أن تعرف الدنيا وسائل الاتصال السريع التي عرفتها اليوم، ومع ذلك لا نجد أي اختلاف في القرآن الذي يتلوه المسلمون في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا ولم نسمع أنهم اختلفوا قديمًا أو حديثًا حول القرآن فكلهم مجمعون على أن هذا القرآن الموجود بين أيديهم اليوم هو القرآن نفسه الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ.

إلى جانب ذلك فقد تكفل الله بحفظه حيث قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١).

س١٢٩) ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين القرآن والكتب السماوية السابقة ؟

ج١٢٩) إن الدين عند الله الإسلام، والأنبياء جميعًا دعوا إلى الإسلام أي الاستسلام لله بالطاعة والخلوص من الشرك، فجميع الشرائع متفقة على عقيدة التوحيد، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(٢).

---

(1) سورة الحجر الآية ٩

(2) سورة الأنبياء الآية ٢٥

وجميع الأديان متفقة في أصول العقائد والعبادات والدعوة إلى إقامة الدين وعدم الاختلاف فيه. قال الله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...)(١).

فالدعوة إلى التوحيد وأصول العبادة والإخبار عن الله واليوم الآخر والإيمان بالرسل والكتب السماوية كلها أمور اتفق عليها جميع الأنبياء.

وأما أوجه الاختلاف فهي في الأحكام التشريعية والتكليفية إذ إن التشريع مبني على أصل مراعاة أحوال المكلفين ومصالح العباد، وما يصلح لأمة قد لا يصلح لأخرى إذ إن أحوال البشر تختلف، وحاجاتهم تتغير من طور إلى طور حتى استقرت حالة البشر من النضج والكمال البشري فأنزل الله شريعته الخالدة والخاتمة شريعة الإسلام.

قال الله تعالى مشيرًا إلى اختلاف التشريع: (لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا)(٢).

س١٣٠) كيف حفظ القرآن إلى يومنا هذا ؟ وما هي المنهجية التي أتبعت في الحفاظ عليه ؟

ج١٣٠) لقد حظي كتاب الله تبارك وتعالى بعناية فائقة في حفظه لم يَحْظَ بها أي كتاب في الوجود.

فمنذ نزوله كان رسول الله ﷺ يجتهد غاية الاجتهاد في حفظه ومتابعة ملك الوحي جبريل عليه السلام في تلاوة ما يبلِّغه، حتى أن الله سبحانه وتعالى تعهد له بحفظه فقال تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به ✍ إن علينا جمعه وقرءانه ✍ فإذا قرأناه فاتبع قرءانه)(٣).

---

(1) سورة الشورى الآية ١٣

(2) سورة المائدة الآية ٤٨

(3) سورة القيامة الآيات ١٦-١٨

ثم كان ﷺ يبلغ أصحابه ويحفظونه عليه، وكان منهم كتَّاب فيأمرهم الرسول ﷺ بكتابة ما يترل عليه من القرآن الكريم أولاً بأول، فإذا نزل عليه شيء قال: ضعوا هذا بعد قول الله تعالى كذا وكذا ويسمي لهم الآيات التي قبلها في الترتيب.

وكان جيل الصحابة بل أمة العرب عمومًا أمةَ حفظٍ ومشافهةٍ فيحفظون ما يسمعونه بمجرد سماعه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: حفظت من فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة من القرآن الكريم، وإن زيداً (أي زيد بن ثابت) يلعب مع الصبيان.

وروي عنه أيضًا أنه قال: ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتها إليه.

لقد كانت همم القوم عالية، وحرصهم على حفظ كتاب الله لا يساويه شيء آخر فحفظ القرآن كاملاً جَمْعٌ من الصحابة رضي الله عنهم منهم: زيد بن ثابت، وابن مسعود، وأُبيّ ابن كعب وغيرهم.

وقد كُتب القرآن كاملاً في عهد رسول الله ﷺ ولكنه في صحف متفرقة ولم يكن في مصحف واحد، فلما توفي رسول الله ﷺ قرر أبو بكر رضي الله عنه جمع القرآن كاملاً في مصحف واحد فاختار لذلك نخبة من الحفاظ وعهد بإدارة هذه اللجنة لزيد بن ثابت فاختطوا منهجًا رائعًا وهو قيامهم بجمع كل ما كتب من القرآن وعرضه على ما حفظ منه بحيث يكون المكتوب يوجد عند اثنين فأكثر.

ولم يكتفوا بالكتابة حتى تكون موافقة للحفظ ولم يكتفوا بالحفظ حتى يوافق ما كُتب.

لقد قام زيد بن ثابت رضي الله عنه وإخوانه بهذه المهمة العظيمة بكل اهتمام وحرص وعناية ودراسة، وقد روي عن زيد أنه قال حينما كلفه أبو بكر وعمر بذلك وحاول أن

يستعفيهم من هذا فألزموه بذلك، فقال: "والله لو كلفاني بنقل جبل من مكانه لكان أخف علي من ذلك"، إنه شعور بمسئولية جسيمة كان نتيجة اهتمام بالغ ودقة متناهية وتسديد من الله عظيم.

كتب القرآن كاملاً في مصحف واحد في خلافة أبي بكر الصديق، ثم كان عنده حتى توفي، ثم عند عمر ﷺ حتى توفي ثم عند حفصة رضي الله عنها.

وفي زمن عثمان ﷺ قام بكتابة القرآن الكريم في عدد من المصاحف، ووزعها على الأمصار وكان قد أعد لذلك لجنة من حفاظ الصحابة يرأسها زيد بن ثابت ﷺ وكان لهم من التثبت في الكتابة والدقة في المنهجية ما كان أيضًا للجنة الأولى رضي الله عن الجميع وأرضاهم.

من خلال هذا العرض يتضح الآتي:

١- عناية المسلمين الفائقة بكتاب الله ﷻ حفظاً وكتابةً.

٢- كتابة القرآن من وقت مبكر، فقد كتب زمن رسول الله ﷺ وبعد وفاته بأقل من عامين ثم في عهد عثمان ﷺ وتعميم ذلك على أمصار المسلمين.

٣- لم تتوقف هذه العناية على ذلك العصر فحسب بل استمرت إلى زمننا هذا، فالقرآن يحفظه في الصدور أجيالُ المسلمين جيلاً بعد جيل وهو محفوظ في السطور إلى عصرنا هذا، وتتضافر الجهود العلمية في كل دولة من دول الإسلام على صيانة كتاب الله من النقص أو الزيادة، فالقرآن الذي يتلى في شرق الأرض ومغربها هو القرآن الذي أنزله الله سبحانه دون زيادة حرف أو نقصان آخر.

وأحب أن أقول إن الله قد أودع في أسلوب القرآن وفي أدائه ميزة عظيمة حتى إنه يتميز عن سائر الكلام، فلو أخطأ قارئ لشعر من يسمعه بخطئه ولو كان السامع غير حافظ.

وقبل هذا أو بعده فالله ﷻ قد تعهد بحفظ كتابه و لم يَدَعْه للخلق، قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١).

ومن دلائل هذا الحفظ ما يسره الله من الأسباب المادية الملموسة لحفظ هذا القرآن ومنها تيسير حفظه في الصدور، قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكِر)(٢).

واليوم ازداد الحفظ تنوعًا فالوسائل السمعية والمرئية الحديثة خدمت هذا الحفظ، فقد سجلت المئات بل الآلاف من ختمات القرآن الكريم المجودة لقراء متقنين في أرجاء العالم الإسلامي، وبعض هذه الختمات مسجلة على الفيديو "صوت وصورة" وكذلك أقراص الحاسب "الكمبيوتر" التي تعكس عند العرض صوتًا وصورة وتفسيرًا وتراجم ...إلخ، وكذلك فالقرآن موجود الآن على شبكة الانترنت.

ومنها إلهام المسلمين كتابته والعناية به منذ نزوله وإلى عصرنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(1) سورة الحجر الآية ٩

(2) سورة القمر الآية ٣٢

س١٣١) هل نثاب عندما نقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم كما يثاب من الله من يقرأ نصوص القرآن ذاتها ؟

ج١٣١) القرآن بلفظه العربي كلام الله الذي أنزله على قلب محمد ﷺ، ولذا فقراءته ليست كقراءة غيره من الكلام، الحرف الواحد منه بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، وأما ترجمة معاني القرآن الكريم فإنها كلام البشر وهي من نوع التفسير، فالثواب على قراءتها كالثواب على قراءة كتب التفسير وكتب العلم وليس كثواب قراءة القرآن الكريم ذاته.

س١٣٢) كيف يتعرف غير المسلم على القرآن وهو لا يجوز له مسه ؟

ج١٣٢) يتعرف غير المسلم على القرآن وإن كان لا يجوز عليه مسه بسماعه تلاوة من قارئ أو تسجيل أو عن طريق الوسائل الحديثة، أو بعرض الدعوة عليه أولاً، وتعريفه بالدين ومزاياه وحاجة العباد له، فإذا قبل الدعوة و أسلم جاز له مسه وقراءته، وبإمكانه أن يقرأ في الكتب التي تعرف بالدين وتوضح معاني القرآن حتى يقتنع بالحق إن كان يريد ويؤمن بالقرآن، وعند ذلك لا حرج عليه في مسه.

س١٣٣) في القرآن الكريم محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، ما الحكمة من وجود مثل هذه التقسيمات ؟

ج١٣٣) القرآن الكريم كله محكم أي متقن؛ لأن الله صاغه صياغة تمنع أن يتطرق إليه خلل أو فساد في اللفظ أو المعنى.

والقرآن في الوقت ذاته كله متشابه لأنه يماثل بعضه بعضًا في هذه الأحكام مماثلة غير مفضية إلى التباس بين آياته وكلماته في ذلك.

أما المحكم فحكمته واضحة من خلال التعريف به. وأما المتشابه فقد قسمه العلماء إلى ثلاثة أحزاب:

حزب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك، وحزب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة وبعض الأحكام، وحزب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". ولوجود هذه المتشابهات المتنوعة حكمٌ في ذكر الشارع إياها:

١- رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يطيق معرفة كل شيء وإذا كان الجبل حين تجلى له ربه جعله دكًا وخر موسى صعقًا، فكيف لو تجلى الله سبحانه وتعالى بذاته وحقائق صفاته للإنسان؟ ومن هذا القبيل أخفى الله على الناس معرفة الساعة رحمة بهم

٢- الابتلاء والاختبار: أيؤمن البشر بالغيب ثقة بخبر الصادق أم لا؟

فالذين اهتدوا يقولون: آمنا، والذين في قلوبهم زيغ يكفرون به، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة والخروج من الدين جملةً.

٣- إقامة دليل على عجز الإنسان وجهالته مهما تقدم في العلم وإقامة شاهد على قدرة الله الخارقة وأنه وحده هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، هنا يخضع العبد ويخشع، ويقول ما قالت الملائكة: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)(١)

٤- تحقيق إعجاز القرآن.

---

(1) سورة البقرة الآية ٣٢

أما بالنسبة للنسخ فنقول: إن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية، ووقع فيها على معنى أن الله نسخ بالإسلام كل دين سبقه ونسخ بعض أحكام هذا الدين ببعض.

أما حكمته ﷻ في أنه نسخ به الأديان كلها فيرجع إلى أن تشريعه أكمل تشريع يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها، وبيان ذلك أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة، ولكل دور من هذه الأدوار حالة تناسبه اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم على لسان الرسل تبعًا لهذا التفاوت حتى إذا بلغ العالَمُ أوان نضجه جاء هذا الدين الحنيف ختامًا للشرائع ومتممًا لها وجامعًا لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية ومرونة القواعد، حيث وفق بين مطالب الروح والجسد، وآخى بين العلم والدين ونظم علاقة الإنسان بالله وبالعالم كله مما جعله محورًا دينيًا عامًّا خالدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما حكمة الله في أنه نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض فترجع إلى سياسة الأمة وتفريدها بما يرضيها ويمحصها، حيث جاءت الشريعة إلى الناس متآلفة لهم متلطفة في دعوتهم متدرجة بهم إلى الكمال رويدًا رويدًا، تسير بهم من الأسهل إلى السهل، ومن السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب حتى تم الأمر ونجح الإسلام نجاحًا باهرًا، في طريقة تربية أتباعه على الالتزام بأحكامه.

والحكمة في نسخ الحكم الأصعب بما هو أسهل منه للتخفيف على الناس، وإظهار فضل الله عليهم.

والحكمة في نسخ الحكم بحكم مساويه في صعوبته أو سهولته هي الابتلاء والاختبار ليظهر المؤمن فيفوز والمنافق فيهلك ليميز الله الخبيث من الطيب.

وأما الحكمة من نسخ الحكم الأسهل بالأصعب فهي كامنة في تهيئة المسلمين كموقف الإسلام من مشكلة الخمر حيث هيأ النفوس إلى أن نزل حكم التحريم في

الخمر فنزل الجميع على هذا الحكم، وهذه ميزة فريدة في التشريع الإسلامي وفي طريقة قضائه على المشكلات الاجتماعية بالتدرج.

س١٣٤) كيف تم ترتيب سور القرآن الكريم ؟ ومن أعطى هذه السور مسمياتها المعروفة ؟

ج١٣٤) يرى أكثر العلماء أن ترتيب سور القرآن الكريم كان بالوحي، وقيل: بعضه بالوحي وبعضه باجتهاد من الصحابة ﷺ، ولكن بعد أن جمع عثمان بن عفان ﷺ المصحف ورتبه كما هو عليه الآن أقرت الأمة الإسلامية ذلك ورضيت عنه، ولم ينقل عن أحد خلاف في ذلك، ولم يحدث أن طبع مصحف بما يخالف هذا الترتيب، وعليه فالواجب احترام هذا الترتيب والالتزام به صيانة لكلام الله وحفاظًا على قدسيته

أما تسمية السور القرآنية، ففي ذلك خلاف عند أهل العلم، فيرى بعضهم أنها توقيفية ورجح ذلك الإمام السيوطي، ويرى آخرون أنها باجتهاد الصحابة ﷺ، ووجود أسماء متعددة وكثيرة لبعض السور القرآنية يدل على أنها سميت باجتهاد لا بوحي، قال الدكتور صبحي الصالح رحمه الله: إننا لا نملك دليلاً قويًا على أن أسماء السور توقيفية(١)، والأمر فيه سعة ولا ينبني عليه عمل والله أعلم.

---

(1) مباحث في علوم القرآن الكريم للدكتور صبحي الصالح ص ٩٧.

الفصل الثاني

مسائل حول السنة النبوية

س١٣٥) ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي والحديث القدسي ؟

ج١٣٥) إن القرآن الكريم هو الأساس الذي تدور حوله الشريعة الإسلامية، وتأخذ منه أحكامها، وتحدد على بيانه ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في نفسه وأهله ومجتمعه، وتبين الحدود الدقيقة التي حدها في العبادات والمعاملات حيث لا يجوز لإنسان ما أن يتعداها أو يتجاوزها فهي قيود تصلح المجتمعات بالتمسك بها وتجعل المسلم مطيعا لأمر الله تعالى.

إن هذا الأساس وهو القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي أنزله على قلب محمد بن عبد الله ﷺ ليبلغه للناس، وكان نزوله حسب المناسبات التي تقتضي ذلك، أو ابتداءً، فتنزل السورة كاملة أو الآيات أو الآية أو جزء من آية، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه شيء من القرآن يأمر من كان حاضرًا من كتبة الوحي ليكتبوا ما أنزل عليه من القرآن، وبهذا حُفظ القرآن الكريم كتابةً، وكان رسول الله ﷺ يقرأ به في الصلاة ويتلو آياته في خطبه، ويسمعه لأصحابه ويلقنهم إياه حتى إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "لقد أخذت مِنْ فِيِّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة" (١).

(1) متفق عليه.

وكان الصحابة يحفظون كتاب الله ليقرؤوه في صلواتهم المفروضة منها والنافلة وبخاصة في القيام في جوف الليل والناس نيام، فقد كان لكثير منهم نصيب من ذلك التهجد وتلك العبادة.

وقد كان الوحي يترل بالآية ويحدد مكانها من سور القرآن، فلهذا كان الترتيب القرآني ترتيبًا ربانيًا لا دخل فيه للإرادة البشرية. وقد تحدى القرآن العرب الفصحاء أهل اللسان بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور مثله، أو بسورة فعجزوا عن ذلك، ومَن بعدهم أعجز و أضعف مقدرة من أن يفكروا بمثل هذه المحاولة؛ لأن من كان يملك زمام العربية لم يستطع مجاراة القرآن في أسلوبه ونظمه وفصاحته، وخابت مساعي من فكر في ذلك، وأتى بما يضحك السامع والقارئ(١).

وأما السنة النبوية أو الحديث النبوي فهو: "ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية".

فإذا أردنا الآن أن نعرف الفرق بين القرآن والحديث، فإني ذاكر الميزات التي يمتاز بها القرآن الكريم عن السنة، وهي:

١- الميزة الأولى التي يمتاز بها عن كل ما سواه من النصوص الشرعية:

أنه كلام الله الذي لا يدانيه ولا يقربه كلام أحد من البشر، فكان بِدْعًا في الأسلوب، فريدًا في النظم، بديعًا في التناسق.

٢- والميزة الثانية مترتبة على الأولى وهي:

أنه معجز في لفظه، معجز في معناه، معجز في أسلوبه، معجز في قصصه، معجز في أمثاله، معجز في أحكامه وتشريعه .

---

(1) انظر كتاب السنة النبوية تعريفها وحجيتها للدكتور صالح رضا .

٣- أن هذه المعجزة محفوظة من التغيير والتبديل على مر الدهور بحفظ الله تعالى حيث تكفل بحفظها سبحانه، فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(١)٠

ولهذا كان من شروط القراءة الصحيحة موافقة الرسم العثماني الذي كتب في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه والمأخوذ عما كتب في زمن النبي ﷺ٠

٤- وكان نقل القرآن من جيل إلى آخر نقلاً متواترًا حيث كان الناقلون جَمْعًا يستحيل تواطؤهم واتفاقهم على الكذب في كل جيل من الأجيال ولذا كان القرآن أصدق كتاب على وجه الأرض منذ أقرأه جبريل عليه السلام و ظهر على فم رسول الله ﷺ حتى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها٠

٥- جاحد القران أو شيء منه كافر؛ لأنه متواتر النقل، قطعيٌّ الثبوت عن رسول الله ﷺ الذي بلغه عن الله تعالى .

٦- ومن ميزات القرآن الكريم أنه مكون من سور محدودة تبلغ (١١٤) سورة، كل سورة منه مؤلفة من أجزاء يسمى كل جزء منها آيةً.

٧- أن القرآن الكريم يتعين قراءته في الصلاة، ولا تصح الصلاة بغير القرآن .

٨- يحرم مس القرآن للمحدث كما يحرم تلاوته على الجنب والحائض .

٩- من قرأ حرفًا من القرآن الكريم فله على ذلك ثواب حسنة عند الله تعالى .

١٠- تحرم رواية القرآن الكريم بالمعنى (٢)٠

هذه أهم الميزات التي يمتاز بها كتاب الله تعالى عن سائر النصوص الشرعية الثابتة في هذه الدنيا .

---

(1) سورة الحجر الآية ٩

(2) انظر كتاب السنة النبوية تعريفها وحجيتها للدكتور صالح رضا، ص٢٣-٢٤ ٠

وبهذا يتبين الفرق بين القرآن والحديث النبوي، وهناك في السنة النبوية يطالع القارئ أحاديث متميزة عن غيرها تعرف بـــ"الأحاديث القدسية"وهي تلك الأحاديث التي وردت فيها الحكاية عن الله تعالى، فكان رسول الله ﷺ لا ينشئها من عند نفسه، وإنما يرويها عن الله تعالى.

فالحديث القدسي في موقع وسط بين القرآن الكريم وبين السنة النبوية، فالقرآن الكريم بلفظه ومعناه وكل ما فيه موحى به من الله تعالى بوحي جلي يدرك معه رسول الله ﷺ أنه من القرآن ويحدد له مكانه في القرآن، ولهذا كان يأمر من حضر من كتبة الوحي بكتابته مباشرة فور نزوله .

وأما الحديث القدسي فهو موحى به من الله تعالى في المعنى لا في اللفظ إذ اللفظ من عند رسول الله ﷺ فهو يبين معنى قول الله تعالى، ولهذا كان الحديث القدسي يشارك القرآن الكريم في أمر واحد فقط وهو نسبة كل منهما إلى الله جل وعز ويفترق عنه في كل الميزات الأخرى، حيث تكون له صفة الحديث النبوي في كل صفاته التي يوصف بها الحديث النبوي من صحة أو حسن، أو ضعف، فوصفه بالقدسي لا يعني أبدًا أنه صحيح، وإنما يحتاج إلى دراسة إسناده، فإذا صح السند صح الحديث، وإلا فلا.

ولهذا كان الحديث القدسي لا تجوز قراءته في الصلاة، وإلا أبطلها، ويجوز للمحدث مسه، وللجنب قراءته، وتجوز روايته بالمعنى، وليس معجزاً ... إلى آخر ذلك من الصفات التي امتاز بها عنه القرآن الكريم وحده، وبهذا يكون الحديث القدسي مفارقًا للقرآن الكريم.

وأما مفارقته للحديث النبوي من جهة مصدره: فالحديث القدسي مصدره من الله تعالى، ورسول الله ﷺ ينقل معناه بعبارته، ولهذا أطلق عليه "القدسي والرباني والإلهي" نسبة إلى الذات العلية .

وأما الفرق بين الحديث النبوي والحديث القدسي مع أنهما كليهما بوحي من الله تعالى بمفهوم قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى ✎ إن هو إلا وحي يوحى)(١)، وقوله تعالى: (وعلمك ما لم تكن تعلم)(٢)، ولقوله ﷺ: "أوتيت القرآن ومثله معه"(٣)، الذي دل على أن الحديث القدسي وحي من الله تعالى مثل القرآن الكريم، إلا أن القرآن الكريم وحيٌ جلي واضح أنه قرآن، وأما السنة أو الحديث النبوي فهو إلهام من الله تعالى وتسديد، وتعليم وتوفيق بألا يقول إلا حقًا، ولا يفعل إلا ما يطابق الشرع، وذلك لأنه موكول إليه بيان ما أنزل إليه من القرآن، ورسم معالم الشريعة، والوحي يقره على الصواب، ولا يتدخل في الكلام النبوي إلا إذا كانت هناك حاجة لبيان أمر عام، أو لإظهار أن الرسول ﷺ قد أتعب نفسه في أمر هو لله تعالى، وليس له مثل رغبته في هداية أحد من الناس، فكان الكتاب الكريم يبين مثل هذه الأمور، أو يترل الوحي يصحح موقف رسول الله ﷺ .

وبهذا يكون كل ما ثبت عن النبي ﷺ مرده إلى الوحي، وليس المراد أن كل حديث من الأحاديث موحى به بذاته من الله تعالى، بل هي في جملتها لا تخرج عن الوحي لأنها تعليم من الله تعالى.

---

(1) سورة النجم الآية ٣

(2) سورة النساء الآية ١١٣

(3) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

أما الحديث القدسي، فقد أوحى به بعينه، وترك لرسول الله ﷺ الحرية في اختيار الألفاظ التي يعبر بها عن المعنى الموحى به(١).

س١٣٦) ما الفرق بين السنة النبوية والسيرة النبوية ؟

ج١٣٦) السنة النبوية كما سبق أن عرفناها هي: ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقِية أو خُلُقِية .

وهي في العادة ترتب بحسب الموضوعات العلمية مثل " الإيمان – الطهارة – الصلاة – الزكاة – الصيام – الحج – البيع – الربا..." فيوضع في كل باب ما ورد فيه من تلك السنة .

وأما السيرة النبوية، فإنما يقصد بها إيراد حياة النبي ﷺ من المولد إلى الوفاة، بذكر الحوادث التي حدثت له وما لاقاه في حياته من قبل المؤيدين والمعارضين وغيرهم، على الترتيب الزمني الذي حدثت فيه تلك الحوادث .

وقد تتداخل السيرة مع السنة لأن من مصادر السيرة النبوية الأحاديث الواردة في ذلك، فإذا جاء حديث يحكي لنا ما وقع لرسول الله ﷺ أثبتناه في السيرة النبوية، كما أثبتناه في الحديث النبوي (أو السنة النبوية)، وهو شيء كثير جدًا .

فالسيرة هي التطبيق العملي لمنهج الكتاب والسنة، وعلى هذا فالسيرة أعم من السنة لأنها تشمل السنة وما عمله عليه الصلاة والسلام بصفته البشرية وبصفته قائدًا للأمة يجتهد في أمورها التدبيرية.

---

(1) انظر كتاب السنة تعريفها وحجيتها، للدكتور صالح رضا، ص ٢٦-٢٨ .

الفصل الثالث

مسائل حول السيرة النبوية

س١٣٧) كيف أعرف يقينًا أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله تعالى ؟

ج١٣٧) مما يجب أن نشير إليه هنا هو:

١- أن الإيمان برسالة محمد ﷺ إنما هو أمر فرعى ينبني على الإيمان بالله تعالى، فليس من المعقول أن أقيم دليلاً واحدًا على رسالة محمد ﷺ لفرد لا يؤمن بوجود الله تعالى، ووحدانيته في ألوهيته، لأنه رسول من عند الله تعالى.

٢- بالنظر في تاريخ البشرية نجد أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يبعث في كل أمة رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على الطريق السوي الذي يجب أن يسلكوه ليعيشوا في راحة وأمن وطمأنينة، فيؤلفوا مجتمعًا كريمًا، وأمة مسلمة قائمة بأمر الله تعالى، تطبق نظامه في الأرض، ولا تستقيم أمور المجتمع أي مجتمعٍ كان إلا إذا اتبعوا أمر ربهم وخالقهم، لأنه تعالى هو العالم بمصالحهم الدنيوية والأخروية، فيشرع لهم ما فيه خيرهم .

أما إذا ترك التشريع للبشر، فإن المجتمع لن يكون آمنًا، إذ لابد من وجود ثغرات في نظامهم الذي يخترعونه، لأن عقول البشر قاصرة عن إدراك ما ينفعها في الدنيا والآخرة، وأما الجواب عن السؤال فنقول:

أولاً: نرجع إلى ما سبق أن بينته من أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، فكل دليل يدل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، يدل على أن محمداً ﷺ رسول من عند

الله تعالى لأن القرآن الكريم لا يختلف اثنان في أنه أنزل على محمد ﷺ فأدلة إثبات القرآن هي أدلة إثبات النبوة لمحمد ﷺ.

ثانيًا: لقد ادعى محمد ﷺ أنه رسول من عند الله تعالى وهذا الادعاء ثابت منذ أربعة عشر قرنًا، و لم يردنا عن الله جل وعز رسول آخر يكذب هذه الدعوى، بل على العكس من ذلك رأينا أن الله تعالى يؤيده بالمعجزات الكثيرة وكأنها تشير بلسان الحال إلى صدق محمد ﷺ بدعواه أنه نبي، وعلامة صدقه ما يقع على يديه من المعجزات الكثيرة، وما يقوله من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن أعلمه إياها .

ثالثًا: النبوة يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرف عنهما وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة قال حسان بن ثابت:

لو لم يكن فيه آيات مبّيَنَةٌ كانت بديهته تنبيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، فإن الرسول لابد له أن يخبر بأمور ويأمر بأحكام، ولابد أن يفعل أمورًا يبين بها صدقه أو كذبه، فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علمًا يقينيًا أنه ليس بكاذب في دعواه النبوة .

والعالم يعرف رضا الرجل، وحبه وبغضه وفرحه وحزنه .. وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها كما قال تعالى: **(ولو نشاء لأريناكهم**

فلعرفتهم بسيماهم)(١)، ثم قال: (ولتعرفنهم في لحن القول) وقال عثمان رضي الله عنه: "ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه" .

فكيف بمدعي الرسالة ؟! . لابد أن يظهر فيه علامات صدقه من كذبه .

ولهذا لما كانت خديجة رضى الله عنها تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البار قال لها لما جاءه الوحي: "إني قد خشيت على نفسي ".

فقالت: "كلا . والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُقْرِي الضيف، وتُكْسِبُ المعدوم، وتعين على نوائب الحق". فذكرت ما كان محبولاً عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وقد عُلم من سنة الله أن من جبله على الأخلاق المحمودة، ونزّهه عن الأخلاق المذمومة، فإنه لا يخزيه وكذلك ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: "أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى" .

وكذا النجاشي لما استخبرهم عما يأمرهم به، واستقرأهم القرآن، فقرأوه عليه، قال: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة " .

وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام وعلم بهم هرقل فاستدعاهم، وسألهم عن أحوال محمد ﷺ وتبين له من إجابات أبي سفيان أن علامات الرسل الموضحة في التوراة والإنجيل والتي يعلمها هرقل

(1) سورة محمد الآية ٣٠

متحققة في محمد ﷺ وكاد هرقل أن يسلم، إلا أنه خشي قومه، وخاف أن يضيع ملكه.

قال: هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فقال: لا؛ وسأله: أهو ذو نسب فيكم ؟ فقال: نعم؛ قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: لا، ما جربنا عليه كذبًا. قال: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ فقال: بل ضعفاؤهم .

قال: هل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا.

قال: هل يزيدون أم ينقصون ؟ فقال: بل يزيدون .

قال: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ؟ قال: لا.

قال: هل يغدر؟ قال: لا.

قال: هل قاتلتموه ؟ قال : نعم .

قال: فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال الحرب بيننا، وبينه سجال ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم ؟ قال : يقول: "اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة" .

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلتُ : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقولٍ قيل قبله .

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا .

فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله .

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم أتبعوه وهم أتباع الرسل .

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم .

وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك: بمَ يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًا، فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه(١).

فلما كان هرقل عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وأنهم لا يغدرون علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء ، لينالوا درجة الشكر والصبر .

إلى غير ذلك من الأخبار التي تبين حقيقة الصادق وكذب المدعي.

رابعًا: أن القرآن الكريم الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله قد أخبر عن حوادث وأمور مستقبلية فجاءت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر. ومن ذلك:

---

(1) أخرجه البخاري وأحمد في مسنده .

١- قوله تعالى: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون)(١).

فوقع كما أخبر، ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين غير خائفين .

٢- وقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا)(٢).

فوفى الله وعده في مدة قليلة، فخلال ثلاثين عامًا من الخلافة الراشدة وصل المسلمون إلى حدود الصين شرقًا، وإلى المحيط الأطلسي غربًا .

٣- وقوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح ✎ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا)(٣) فحصل فتح مكة، ودخل الناس في الإسلام فوجًا بعد فوج .

٤- وقوله تعالى: (قل للذين كفروا ستُغلبون)(٤)، وقد وقع كما أخبر فصاروا مغلوبين. وغير ذلك كثير.

خامسًا: إخبار المصطفى ﷺ بحوادث قبل أن تحدث، وحدثت فعلاً في الواقع المشاهَد. ومن ذلك:

١- أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بالهجرة إلى يثرب قبل الهجرة وكانت على الوصف الذي ذكر .

---

(1) سورة الفتح الآية ٢٧

(2) سورة النور الآية ٥٥

(3) سورة النصر الآيتان ١،٢

(4) سورة آل عمران الآية ١٢

٢- ورد أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق .

٣-أخبر ﷺ أن الأمن سيعم الجزيرة حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله تعالى. وقد حصل وأخبر به قديمًا بعض السلف.

٤-أخبر أن خيبر تفتح على يد علي رضي الله عنه في غد يومه وقد حدث .

٥- وأنهم يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم وقد تم.

٦- وأن بنات فارس تخدمهم وقد رأيناه. وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر ﷺ .

٧- وأن قرن الصحابة مائة عام، فمات آخرهم سنة (١١٠ هجرية) .

٨- وأن الفتن لا تظهر مادام عمر حيًا، وكان كما أخبر .

٩- وأن عثمان يُقتل وهو يقرأ المصحف، وقد قتل رضي الله عنه كما أخبر الرسول ﷺ.

وغير ذلك كثير.

سادسًا: ولكي يكون الناس على بينة من أمر هذا الرسول، وأنه صادق في دعواه أنه مرسل من عند الله تعالى ولكي يكون الرسول قويًا في موقفه وقادرًا على إقناع الناس بصدق نبوته ورسالته، لأن الناس سيطالبونه بالدليل على صدقه؛ لذا فقد أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات، والمعجزة هي: "حادث خارق للعادة، والقوانين التي يلاحظها الناس، وتجري عليها سنن الكون يجريها الله تعالى على يد النبي تأييدًا له"(١) والمعجزات منها ما هو مادي مثل ناقة صالح وعصا موسى، ومعجزات عيسى كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ونحوها، ومنها ما هو معنوي وعقلي كالقرآن الكريم.

(1) معالم الثقافة الإسلامية،د. عبد الكريم عثمان، الطبعة الرابعة عشرة لمؤسسة الرسالة .

ولأن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم فقد أجرى الله على يديه من المعجزات المادية والمعنوية والعقلية الشيء الكثير مما لا نستطيع ذكره وحصره في هذا المقام ولكن نذكر بعضًا منها : كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، وتكثيره الطعام والشراب، وتكليمه للبهائم، وإخباره بالأمور الغيبية ووقوعها كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وتسليم الأشجار والأحجار عليه، وانقيادها له عليه الصلاة والسلام، وشفاء المرضى على يديه وغير ذلك كثير٠ ونوصي هنا بالرجوع إلى كتاب معجزات النبي ﷺ للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، على أن أعظم معجزاته ﷺ الدالة على صدق نبوته ورسالته هي القرآن الكريم (وهو معجزة ذاتية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالرسالة وتتصل بماهيتها وتتعلق بجوهرها، فهي معجزة يتقبلها العقل على الدوام لأنها تخاطب الفكر البشري، وتعتمد على القناعة العقلية أكثر مما تعتمد على قرع الحواس الذي هو أصل المعجزات المادية)(١)٠ وأوجه الإعجاز في القرآن كثيرة فهو معجز لما اشتمل عليه من اللفظ العجيب، والتركيب البلاغي البديع الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا ثم تحداهم بسورة من مثله فعجزوا، ومثل هذا التحدي لا يصدر إلا عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله في فصاحته وبلاغته وتركيبه، ولو كان من متقول من البشر لخاف ولما أظهره، ولما أعلن التحدي خشية أن يفتضح أمره ويكذبه الناس كما أن القرآن معجز في اشتماله على علم ما كان وما يكون فقد تحدث عن الأمم السابقة وقصصها مع أنبيائها، وتحدث عن أمور ستقع مستقبلاً فكانت كما أخبر، وهذه كلها أمور معجزة خاصة وأن محمداً ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب و لم يطلع على كتب

(1) المرجع السابق ٠

الأقدمين ولا على أخبارهم، فكان إخبار هذا الأمي عليه الصلاة والسلام عن أخبار السابقين وأمور غيبية في آيات القرآن الكريم دليلاً قاطعاً على نبوته وصدق رسالته. كما أن القرآن الكريم معجز في أحكامه العادلة المشتملة على الحكم البالغة التي إذا تأملها ذو فهم وعقل صحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات الرحيم بعباده"(١) فالقرآن كله معجز كلمه ولفظه وخبره وقصصه ونظمه وأحكامه، وهو دليل عقلي ومادي قاطع على صدق نبوته ورسالته ﷺ.

س١٣٨) يوصف الإسلاميون اليوم بأنهم إرهابيون ومتطرفون لأنهم كثيراً ما يلجؤون إلى العنف، وهم يسمون هذا العنف جهادًا متأثرين بما يقرؤون في سيرة النبي محمد ﷺ فكيف تردون على هذا الوصف ؟

ج١٣٨) ١- يجب ألا ننسى في هذا السياق أن وسائل الإعلام تسيِّر جمهور الناس إلى ما يريده أصحابها، فاليوم بعد زوال ما كان يدعى بالاتحاد السوفييتي لم يعد للغرب من عدو يوجه إليه سهامه إلا الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي لم يستطع ولن يستطيع الغرب أن يميع تعاليمه ويقضي على صوته، وانتشاره في بلاد العالم كله، ولهذا يجب ألا نكون - ونحن ممن رزق العلم والفكر - ضحية من ضحايا الإعلام الذي يوحي لنا وللناس بعامة بأن المسلمين إرهابيون، ومتطرفون وأنهم يستغلون اسم الجهاد في إرهابهم وتطرفهم.

٢- نريد أن نسأل: من وصف الإسلاميين بأنهم إرهابيون؟

إن أعداء الإسلام الذين يعيشون في بلاد المسلمين وخارجها، والذين يخافون الإسلام، ويخافـــون المسلمين الصادقين، هم الذين ابتكروا هذا الوصف وألصقوه

---

(1) معجزات النبي ﷺ ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير .

بالمسلمين، لتحـــقير الإسلام والمسلمين، وتنفير الناس من الإسلام، ولوضـــع المسلمين مـــوضع المجرم المـــتهـــم في نظر المجتمع العالمـــي الذي تهيـــمن عليه أمريـــكا، وتسيره في ركابها، يقول مورد بيرجر في كتابه "العالم العربي المعاصر": "إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام!! يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم؛ لأن قوة العرب تتزامن دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره"(١).

وقال دان كويل نائب الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش: "إن العدو الوحيد المتبقي في وجه الغرب هو الإسلام"(٢)، وقد صنف كويل الإسلام مع الشيوعية والنازية وابتكرت أجهزة الإعلام الغربي لفظة جديدة هي "الأصولية" . ونشرت مجلة التايمز على غلافها صورة تجمع المئذنة والبندقية تحت عنوان "الخطر الإسلامي". وعلى هذا نقول: إن هذا الوصف لا يعتد به طالما أنه وصف من عدو، ومتى أنصف العدو عدوه من نفسه؟ ثم إن المتتبع للإعلام الغربي غير المنصف والذي ابتكر هذه الألقاب وألصقها بالمسلمين، والمتتبع أيضا للمفكرين والكتاب ورجال السياسة الغربيين خاصة ولأقوالهم يجد أنهم يطلقون هذا الوصف على المسلمين حينما يدافعون عن دينهم ومقدساتهم المغتصبة وأراضيهم المسلوبة وحقوقهم المنهوبة وأعراضهم المنتهكة وكرامتهم المهدرة، وهذا ما قيل عما حدث في أفغانستان حين دافع الأفغان وساندهم إخوانهم المسلمون الغيورون على دينهم حين وقفوا جميعًا صفًا واحدًا في وجه الشيوعية الباطلة التي دخلت أرض أفغانستان متجاوزة ومتناسية بذلك كل القوانين والأعراف الدولية، وعاثت في أفغانستان فسادًا، سلبًا ونهبًا وتشريداً وقتلاً، وتدنيسًا للمقدسات

(1) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، للدكتور عبد الكريم بكار .

(2) المرجع السابق .

وامتهانًا لكتاب الله، وفعلت من البشاعات والجرائم ما أفقد كثيرًا من الناس عقولهم، ولم يقل الغرب الماكر سياسةً وإعلامًا وشعوبًا بأن هذا إرهابٌ أو تطرفٌ أو عنفٌ، ولما هب الأفغان المسلمون للدفاع عن دينهم وأنفسهم وأرضهم استنكر عليهم أعداؤهم ذلك وقالوا بأنهم إرهابيون ومتطرفون ومتشددون، وروجت الأبواق اليهودية الكاذبة لهذا الكلام الذي سرى في المجتمع العالمي سريان النار في الهشيم.

ولم لا، والعالم كله – إلا من شاء الله– آذان صاغية للغرب وإعلامه ومفكريه ورجال السياسة فيه. إنهم يريدون من المسلمين أن يستسلموا لعدوهم ليفعل بهم وبدينهم وأعراضهم وحقوقهم ما يشاء ، هكذا ودون أدنى مقاومة وإلا فهم إرهابيون وما قيل عن الأفغان يقال اليوم عن الفلسطينيين وجهادهم ضد دويلة إسرائيل الغاصبة، فقد وصفت العمليات الجهادية هناك بالإرهاب والعنف، هكذا حين دافعوا عن مقدساتهم وأنفسهم وأرضهم.

وأما ما قام به اليهود في "قبية" و"دير ياسين" و"صبرا وشاتيلا" و"الحرم الإبراهيمي" و"قانا" وغيرها من المجازر البشعة التي ارتكبت في حق الشعب الفلسطيني فلم تكن في نظر الغرب وإعلامه إرهابًا ولا عنفًا، وإنما كانت دفاعًا شرعيًا مقرراً.

ولعل أكبر مثال في عصرنا هذا، تلك الافتراءات حول "الحرب البوسنية" التي شهد العالم بأسره ما يجري فيها، وقامت المحكمة الدولية في "لاهاي" بمحاكمة مجرمي الحرب فيها، فهل وجد الغرب مجرمًا واحدًا من مجرمي الحرب ينتسب للإسلام، أم كان المجرمون الحقيقيون إما من الصرب أو الكروات، فهل كان الإرهاب والتطرف في المسلمين والإسلام أم في غيرهم؟

وكذا ما يجري في ألمانيا من اعتداء على المسلمين فيها مع أنهم قد اعتبرتهم الدولة مواطنين فيها، وأعطتهم الجنسية الألمانية، فهل الذين يمارسون عبادتهم في أمن وسلام متطرفون، أم الذين يقتلون ويفجرون المنازل على من فيها وما فيها؟

وكذا ما يجري في فرنسا من منع المرأة المسلمة من وضع الحجاب على رأسها، هل التطرف والإرهاب في الحجاب أم في منع الحجاب؟ وهو من القضايا الفردية الخاصة التي لا يجوز التعرض لها لأن الديمقراطية في الحرية، فأي الفريقين أحق باسم التطرف والإرهاب إن كانوا صادقين؟

إن حوادث كثيرة تجري في معظم أنحاء العالم يضطهد فيها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، ويمنع من ممارسة حريته الشخصية التي يجب أن تحترمها كل القوانين، ومع ذلك تقوم وسائل الإعلام العالمية لتروج أن المسلم إرهابي ومتطرف !!!

هذا هو المنطق الأعوج و الحكم الأهوج للمجتمع العالمي اليوم الذي ينتكس في حمأة الجاهلية، ويئن تحت وطأة الأنظمة والقوانين والدساتير الجائرة الوضعية، جزاء إعراضه عن صراط الله المستقيم ومنهجه القويم (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى)(١).

والحق أن المسلمين مطالبون اليوم أكثر من ذي قبل بأن يكونوا أقوياء، وأن يعدوا العدة اللازمة لتكون أمة الإسلام هي العليا التي ترهبها جميع القوى الباطلة، والتي تتسامع بها القوى الأخرى فتهابها وترهبها فلا تتعرض للمسلمين ولا لعقيدتهم بأذى أو كيد، ولا تفكر – مجرد التفكير– في مهاجمة دار الإسلام لأنها تعلم أن فيها قوة مرهوبة تقطع رؤوس الطامعين، وتصفع وجوه المتطلعين لها بأذى أو كيد.

---

(1) سورة طه الآية ١٢٤

يقول الله تعالى في كتابه: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)(١).

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية: "إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان، وأول ما تستخدم هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمِّن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدون عنها ولا يُفتنون كذلك بعد اعتناقها. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة. والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها"(٢).

إذًا فنحن مطالبون بأن نكون إرهابيين على أعداء الله الذين يحادون الله في أرضه وملكه وسلطانه، ويحادون رسوله، ويحاربون دينه وشرعه القويم لأن مثل هؤلاء يجب أن يعيشوا في ذلة وصغار، وفي مهانة واحتقار، وهذه هي سنة الله الحكيم في شرعه لا سنة "دارون" الذي يقول: "إن من طبيعة الفطرة أنه لا يستحق البقاء في نظرها إلا من أثبت قوته، وكل من يفنى فإنما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفناء ومن يبقى فإنما يبقى لأنه قوي يستحق البقاء، فالأرض وما فيها ووسائل الحياة بها لا يستحقها إلا القوي الذي يُثبت أهليته للبقاء والحياة، ولا حق للضعيف في هذه الأشياء، وعليه أن يخلي المكان للقوي، والقوي على الحق تمامًا إذا أخذ مكان الضعيف بعد إزاحته عنه أو قضائه عليه"(٣)، أي فطرة يتكلم عنها هذا؟ هل هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها؟

---

(1) سورة الأنفال الآية ٦٠

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الرابعة والعشرون، الجزء الثالث.

(3) واقع المسلمين وسبل النهوض بهم، لأبي الأعلى المودودي .

إنها ليست كذلك. وأي منطق يتحدث به هذا؟ إنه منطق الحيوانات أو الوحوش الكاسرة في مملكة اسمها الغابة وشريعتها كما ذكر دارون في منطقه الأعوج.

أما حينما نتعامل مع المسلمين فنحن مطالبون بأن نكون أذلة لهم، نتواضع لهم، ونشفق عليهم ونقدم لهم الخير والنصح، وهكذا كان سلفنا الصالح ﷺ كانوا (أشداء على الكفار رحماء بينهم)(١) وكانوا (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)(٢).

وكذلك فهدف الغرب الذي يروج تهمة الإرهاب على المسلمين أن يشغل المسلمين بمهمة الدفاع عن أنفسهم ليستنفدوا طاقاتهم في تبرئة أنفسهم من التهم التي أُلصقت بهم ظلمًا وجورًا، وبالتالي ينشغلون عن كشف سَوْءَة الحضارة الغربية التي رفعت شعارات براقة لحقوق الإنسان وغيرها، مع ما تنتهجه من هيمنة استعمارية على خيرات الآخرين وثرواتهم، وغض النظر عن المجازر التي تدور هنا وهناك من أجل تحقيق مصالحهم.

أما الشق الثاني من السؤال وهو : هل يطلق هذا الوصف على كل الإسلاميين؟

عند التأمل والنظر نجد أن هذا الوصف وغيره لا يطلق في الغالب إلا على المسلمين الغيورين على دينهم، والمتمسكين بكتاب ربهم والمتبعين لهدي نبيهم محمد ﷺ، الذين يطالبون بتحكيم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والذين يرفضون الولاء لغير الله وكتابه ورسوله، والذين يحاربون التبعية لأعداء الله ويحاربون الاستعمار في شتى صوره وأشكاله، ويدعون المسلمين إلى الوحدة، وإلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويبذلون ما في وسعهم لتحقيق هذه الغاية وتجسيدها في واقع المسلمين، هذا الصنف

---

(1) سورة الفتح الآية ٢٩

(2) سورة المائدة الآية ٥٤

من المسلمين والمتصف بهذه الصفات هم الإرهابيون والأصوليون والمتزمتون والمتشددون – في زعم أعداء الإسلام – لأنهم لم يرضخوا للأعداء ومطالبهم، بل وقفوا سدًا منيعًا في وجه طموحاتهم وأمانيهم وأحلامهم في بلاد المسلمين، ولم يرضوا أن تكون بلاد المسلمين وخيراتها لقمة سائغة يسهل عليهم ابتلاعها بل جعلوها عليهم غصصًا. أما من قدس الغرب وفكره وحضارته، ووضع الطوق في عنقه، وسلم قياده للغرب، وسار في ركابه، واتخذه وليًا من دون الله والمؤمنين، وتنكر لدين الله وكتابه ورسوله والمسلمين، من فعل هذا ممن يسمون بالمسلمين وهم كثير والله المستعان فهو في نظر الغرب معتدل وما عداه فهو إرهابي.

وأما ما يفعل بعض الأفراد في بعض نواحي العالم من الاعتداء على بعض الناس الأبرياء رافعين راية الجهاد، فهذا بالرغم من أن كثيرًا من هذه الأفعال تقوم بها جهات غير إسلامية تُنسب إلى الإسلام والمسلمين بالرغم من ذلك فإننا نقول: إن الجهاد له أحكامه وله أداته، وله أصوله عند المسلمين، وليس القتل عنصرًا من عناصره. فإننا نعلم من أساسيات الإسلام وثوابته في الجهاد أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، ونهى أيضًا عن قتل المعاهد فقال: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً"(١). إلى غير ذلك من الأحكام الإسلامية المعروفة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ، فأين ما يحدث الآن من تعمد القتل والتشريد وتدمير المدن والمصالح وإهلاك الحرث والنسل؟ فإذا وجد من يخالف هذه الأحكام، ولا يتأدب بآداب الإسلام، فليس ذنبه أنه مسلم، وإنما ذنبه أنه مخالف

(1) رواه البخاري في كتاب الجزية والموادعة حديث رقم: ٢٩٣٠

لدين الإسلام، وذلك مثل من يفعل العظائم من الأمور في بلاد الغرب فهل يقال إن النصرانية دفعت لذلك أم ينسب الفعل إلى المتنصرين بالذات؟

س١٣٩) لماذا أكثر الرسول ﷺ من الزواج بالنساء وحدد للمسلمين أربعًا فقط ؟

ج١٣٩) في هذا السؤال شيء من المغالطة وهو قول السائل: وحدد للمسلمين أربعاً فقط؟ فكما نعلم ويعلم كل مسلم أن محمداً ﷺ رسول يبلغ ما أرسل به، فهو لا يحدد من نفسه ولا يجيز من نفسه، والله ﷻ بين إباحة الزواج بأكثر من واحدة لعامة المسلمين في كتابه العزيز حيث قال: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاثَ ورُباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)(١)٠

و بالنسبة للنبي ﷺ فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورًا رحيمًا ✎ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تَقَرَّ أعينُهن ولا يحزَنَّ ويرضَيْن بما آتيتَهُن كُلُّهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليمًا حليمًا ✎ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تَبَدَّلَ بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبًا)(٢)٠

---

(1) سورة النساء الآية ٣

(2) سورة الأحزاب الآيات ٥٠-٥٢

انظر إلى هذه الآيات الكريمات التي تبين أن الله تعالى هو الذي أحل له أن يتزوج من أزواجه اللاتي أعطاهن المهور، فالله هو الذي تولى بيان ذلك إسكاتًا لكل من يتكلم عن رسول الله ﷺ، فكأن الله تعالى يقول: نحن زوجناك هؤلاء النسوة، وهذا هو الأصل أن رسول الله ﷺ الذي أرسله الله إلى خلقه يسير في رعاية الله تعالى وفي كنفه سبحانه، وهو في عناية الله في شؤونه كلها ومنها الزواج.

ونرى أيضًا في هذه الآيات الكريمات أن الله تعالى حظر عليه أن يتزوج بعد هؤلاء النسوة اللاتي تزوجهن (لا يحل لك النساء من بعد) فهؤلاء هم أزواجك فقط فلا يجوز أن تتزوج غيرَهن، فالإحلال والتحريم والجواز والمنع هو من الله تعالى لا من رسول الله ﷺ .

إن الجمع بين عدة زوجات كان عادة شائعة في البيئة الإنسانية والعربية قبل الإسلام بل كان أمرًا مألوفًا عند الأنبياء السابقين وأتباعهم، فقد تزوج نبي الله داود عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل مائة زوجة، وتزوج سليمان عليه السلام أكثر من ذلك.

أما لماذا تزوج رسول الله ﷺ كثيرًا من النساء وحُدد للمسلمين أربعًا فقد كان ذلك خصوصية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام وهي خاصة به ﷺ لا يجوز لأحد من أمته أن يقتدي به في ذلك، كما هو الحال في خصوصياته الأخرى مثل وصاله ﷺ الصوم، ولما واصل أصحابه نهاهم وقال لهم: "إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني" ومثل حرمة نكاح نسائه ﷺ بعد وفاته لأنهن أمهات المؤمنين، ومثل أنه ﷺ لا يحل له أن يتزوج على نسائه التسع أو يطلق واحدة منهن"(١)، إلى غير ذلك من خصوصياته ﷺ، وعند دراسة سيرته ﷺ نجد أنه عليه الصلاة والسلام لم

(1) تعدد الزوجات في الإسلام، عبد الله ناصح العلوان، دار السلام للطباعة والنشر .

يدخل بأكثر من واحدة إلا بعد أن هاجر إلى المدينة وبعد أن جاوز الثالثة والخمسين من عمره المبارك، وهي سنٌّ لا يكثر فيها أحد من النساء لمجرد الشهوة وإشباع غريزة الجنس، وكان جميع النساء اللاتي تزوجهن ﷺ في المدينة ثيبات إلا عائشة، وكُنَّ أيامى وعجائز فقيرات لم يتزوجهن ﷺ إلا لأغراض إصلاحية وتشريعية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:(١)

١- انتشار التعليم:

فيكفي أن نعلم أن نصف المجتمع نساء، وأنهن بحاجة إلى الثقافة والتعليم كالرجال تمامًا، وأن واحدة أو اثنتين أو ثلاث لا يمكن أن يقمن بدورهن في النقل والتعليم والإرشاد فلا بد أن ينتدب لهذه المجموعة مجموعة منهن لتعليم نساء المجتمع وخاصة في الأمور التي تخص النساء، ويستحين من سؤال الرجال عنها كأحكام الزوجية والحيض والنفاس والجنابة ونحوها، ومن الشواهد على ذلك ما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها أن تغتسل ثم قال: خذي فرصة من مسك فتطهري بها، قالت: كيف؟ قال: سبحان الله! تطهري. قالت عائشة فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي أثر الدم"، وغير هذا كثير.

وخلاصة القول أن بيوت أزواجه ﷺ كانت في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد مماته مدارس لتعليم النساء أمور دينهن، ولتعليم الرجال أيضًا ما يشكل عليهم، وخاصة فيما يخص أمور النساء، وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذه المهمة،

(1) المرجع السابق

حين قال تعالى مخاطبًا أمهات المؤمنين: (واذكرن ما يُتلى في بُيُوتِكُنَّ من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفًا خبيرًا)(١).

٢- إكمال التشريع:

فقد تزوج النبي ﷺ بعدة نساء لأغراض تشريعية مثل إبطال عادة التبني(٢)، ومثل الإسهام في رواية السنة والتي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، فقد أسهم نساء النبي ﷺ في رواية ونقل كل قول سمعنَه أو فِعلٍ رأيْنَه من رسول الله ﷺ فوصل بذلك كثير من السنة إلى الأمة، فقد ذكر الرواة أن عدد الأحاديث التي رواها نساء النبي ﷺ جاوزت ثلاثة آلاف حديث.

٣- تحقيق التكافل:

فقد تزوج ﷺ بنساء كن لا يجدن من يرعاهن، ويقوم على شؤونهن بعد فقد أزواجهن، فتزوجهن رسول الله ﷺ رحمة بهن وذلك أمثال هند المخزومية أم سلمة، ورملة بنت أبي سفيان وغيرهن من النساء اللاتي وردت سيرتهن مفصلة في كتب السيرة، والتي تبين لنا رحمته ﷺ بأمثال هؤلاء النساء ورعايته للأيتام وكفالته للأرامل وتعزيته للمصابين.

٤- إعطاء القدوة:

فالرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة، والقدوة الكاملة في حسن معاشرته لأزواجه وتحقيق العدل بينهن واحترام آرائهن، ومساعدته لهن في أعمال البيت، والوفاء لمن مات منهن، ومن أراد القدوة الحسنة و المثل الكامل في معاملة الزوجات فعليه بهدي

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٣٤

(2) والتي سترد مفصلة في الإجابة على السؤال (١٤٥) من هذا البحث.

المصطفى ﷺ في هذا، وعليه بمراجعة كتب السيرة التي جسدت وصورت لنا حياته ﷺ مع نسائه حتى كأننا نعيش معه عليه الصلاة والسلام وفي بيوته(١).

س١٤٠) هناك تعارض ما بين القرآن وأحداث السيرة؛ حيث وعد الله تعالى محمدًا ﷺ وأصحابه بالنصر ولكنهم هُزموا في أحد مثلاً، فكيف نفسر ذلك ؟

ج١٤٠) يفسر ذلك من وجهين: **الوجه الأول** أن هذا النصر الذي وعد الله به رسوله والمؤمنين هو باعتبار نهاية الصراع بينهم وبين أعدائهم، وهذا ما حدث بالفعل فقد كلل الله جهاد رسوله ﷺ وأصحابه الذين ناصروه وثبتوا حوله وصدقوا الله ورسوله بنصر مبين، فقد دانت كل قبائل العرب وخضعت لدولة الإسلام، وظهر ذلك جليًا في عام الوفود وهو العام التاسع الهجري، حيث تقاطرت إلى المدينة وفود القبائل العربية وبايعت رسول الله ﷺ على الإسلام، وخضعت وأذعنت لدولة الإسلام، وهذا نصر رآه رسول الله ﷺ بعينه وفي حياته، وقد تنبأ ﷺ لأصحابه بانتصارات عظيمة تحققت بعد وفاته، فلم تمضِ سنوات بعد وفاته ﷺ إلا وقد أخضع المسلمون إمبراطورية فارس وأجزاء من إمبراطورية روما لدولة الإسلام وسلطان المسلمين، وهكذا يتحقق وعد الله بالنصر لعباده المؤمنين.

وفي الطريق لبلوغ النصر النهائي تعرض ﷺ هو وأصحابه لآلام وجراحات وخسائر في الأموال والأنفس، وهذه هي سنة الله، قال تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين

(1) ينظر شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات النبي ﷺ للشيخ محمد علي الصابوني، وتعدد الزوجات في الإسلام للشيخ عبد الله ناصح العلوان.

آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)(١)، وهذه هي طبيعة الصراع بين الحق وأتباعه، والباطل وحزبه.

فطريق الدعوة إلى الله طريق شائك ممتلئ بالعقبات والصعوبات والجراحات والآلام والتي هي بمثابة دروس للعصبة المؤمنة على ما قد يبدر منها من مخالفات أو بمثابة محطات لتمحيص المؤمنين وتنقية الصف الإسلامي من المندسين فيه من الطامعين والحاقدين والانتهازيين، وهذا ما حدث في يوم أحد والذي تلقى المسلمون فيه من الله درسًا واقعيًا وعمليًا جزاء مخالفتهم أمر رسوله الكريم ﷺ، ذلك أن بعض المسلمين بعد بدر والتي كان فيها النصر للمسلمين ظنوا أن النصر سيكون حليفهم مهما فعلوا ما داموا على دين الله وغيرهم كفار، وسواء استعدوا أم لم يستعدوا، وأخذوا بالأسباب أم لم يأخذوا بها فإن الله ناصرهم ومؤيدهم فأراد الله تعالى أن يعلمهم درسًا بأن النصر لا يكون إلا بأخذ الأسباب والاستعداد للقتال والله بعد ذلك يؤيد بنصره من يشاء، ولقد استغرب المسلمون ما حدث لهم يوم أحد لأنه لم يرد في حسابهم أن يصيبهم عند أحد ما أصابهم بعد نصر الله لهم يوم بدر، يقول تعالى: (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)(٢).

هذا وجه، **والوجه الآخر** هو أن ما أصاب المسلمين يوم أحد لم يكن هزيمة وإنما كان قتلاً وآلامًا وجراحات، بل إن مناقشة المعركة عسكريًا تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في هذه المعركة. ويمكن إيضاح هذا النصر من وجهين: أحدهما : أن المسلمين انتصروا في البداية حتى طردوا المشركين من معسكرهم وأحاطوا بنسائهم وأموالهم وأسقطوا لواءهم في ميدان المعركة، ولكن مخالفة الرماة

(1)سورة البقرة الآية ٢١٤

(2) سورة آل عمران الآية ١٦٥

لأمر الرسول ﷺ مكن خالد بن الوليد من تطويق الجيش الإسلامي مما كبد المسلمين خسائر كبيرة، ولكن بقي النصر حليفهم لأن نتائج المعارك لا تقاس من الناحية العسكرية بعدد الخسائر في الأرواح فقط وإنما تقاس بتحقيق هدف المعركة الحيوي وهو القضاء التام على العدو ماديًا ومعنويًا، فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديًا ومعنويًا؟ كلا ٠ إن الذي فعله المشركون هو حركة التفاف وتطويق للمسلمين ترتب عليها قتل وجراح في صفوف المسلمين، وبقيت معنويات المسلمين مرتفعة واستمروا في القتال والدفاع عن نبيهم في وجه المشركين الذين كان عددهم يزيد على عدد المسلمين بأكثر من أربعة أضعاف، ومع ذلك تمكن المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ من إنقاذ أنفسهم من هذا المأزق، وهذا يعد في حد ذاته انتصارًا للمسلمين، ثم إن المسلمين لم يفروا من ميدان المعركة كما فعل المشركون يوم بدر، بل تحصنوا بالجبل ولو انتصر المشركون حقًا في هذه المعركة لدفعتهم نشوة النصر إلى البقاء في ميدان المعركة حتى يقضوا على الجيش الإسلامي أو على الأقل على العناصر القيادية فيه والتي سأل عنها أبو سفيان في نهاية المعركة وهم رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، ولو انتصر المشركون لدفعتهم نشوة النصر إلى مهاجمة المدينة التي لم يكن بها إلا النساء والشيوخ والأطفال وأعوان المشركين من المنافقين واليهود، لقد كانت فرصة سانحة ولكن أبو سفيان قائد المشركين أدرك أن الذي حدث في الجولة الثانية من المعركة لم يكن ببسالة وشجاعة جنوده فقد عرفهم في الجولة الأولى من المعركة حين ولوا الأدبار أمام المسلمين و لم يكن ذلك إلا بسبب غلطة الرماة ونزولهم من الجبل مخالفين بذلك أمر الرسول ﷺ فكان ما كان بقضاء الله وقدره ولأمر يريده سبحانه وتعالى ، وأخيرًا فإنه لو انهزم المسلمون وانتصر المشركون يوم أحد لما حدث الذي

كان في اليوم التالي، لقد طارد المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ في صباح اليوم التالي المشركين إلى حمراء الأسد، فلما علم المشركون بمطاردة المسلمين لهم واصلوا سيرهم نحو مكة مسرعين خوفًا من المسلمين الذين كانت معنوياتهم مرتفعة وعزائمهم قوية، وهنا نسأل: هل يطارد المنهزم عدوه، وهل يفر المنتصر؟ إن مثل هذا لا يمكن أن يحدث من وجهة النظر العسكرية ولا يقبله العقلاء.

والوجه الثالث لحقيقة انتصار المسلمين يوم أحد يمكن أن نتبينه عند إدراك هذه الحقيقة وهي أنه ليست هناك أمة من الأمم إلا وتقع في أخطاء، والأخطاء طبيعية في حياة الأمم، ولكن الأمم تختلف في موقفها من أخطائها في حياتها فهناك أمم تقع في أخطاء تلو أخطاء ولكنها لا تعتبر ولا تأخذ دروسًا من هذه الأخطاء لئلا تقع فيها مرة أخرى أو في غيرها، وهذه أمة أعمى الله بصرها وبصيرتها، فتعثر سيرها في طريق البناء، واستحال عليها بلوغ الغاية التي تسعى إليها، وهناك أمم تقع في أخطاء ولكنها تأخذ من أخطائها دروسًا وعبرًا، فقلَّت الأخطاء في حياتها، وتغلب الخير والبناء فيها على الشر والهدم، فصلحت أحوالها وعمر بناؤها وهذه أمة مبصرة منتصرة، وهذا ما حدث للمسلمين يوم أحد فقد أخطأ بعضهم وهم الرماة وخالفوا أمر الرسول ﷺ بترولهم من الجبل فكان الدرس من الله عاجلاً فأصابهم ما أصابهم من القتل والجراحات، وقد استفاد الصحابة رضي الله عنهم من هذا الدرس الرباني واتعظوا واعتبروا، كيف لا وهم أصحاب القلوب والنفوس التي تربت على يدي رسول الله ﷺ. يدلنا على ذلك ما حدث في صباح اليوم التالي حين أعلن ﷺ النفير في أصحابه الذين أصيبوا بالأمس عند أحد فلم يتخلف منهم رجل واحد رغم ما بهم من جراحات وآلام حتى أن بعضهم ليهادى بين الرجلين .إن استفادة المسلمين من خطئهم هذا يعتبر في حد ذاته نصرًا كبيرًا ولو استفاد المسلمون اليوم من أخطائهم واعتبروا كما استفاد أسلافهم لكان الحال غير

الحال . ولقد وجَّه الله تبارك وتعالى بعد هذه المعركة الخطاب إلى المسلمين مبينًا لهم أن ما حدث إنما هو سنة جارية، سنة الله أن تصيبوا أو تصابوا، على أن العاقبة لكم، ولكن بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص، وما حدث من تفوق المشركين في الجولة الثانية من المعركة ليس هو السنة الثابتة وإنما كان حدثًا عابرًا وراءه حِكمٌ ربانية ودروس لكم أنتم يا أصحاب محمد ﷺ ولمن سيأتي بعدكم، لقد جعل الله فيكم عبرًا ودروسًا لمن يأتي بعدكم، ولقد بين الله في هذا الخطاب جملة من الدروس العظيمة والحكم الربانية من يوم أحد، يقول تبارك وتعالى: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ✍ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ✍ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ✍ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ✍ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ✍ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ✍ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)(١).

س١٤١) هل نحن مطالبون بالاقتداء بالنبي ﷺ حسب ما ورد في سيرته ؟

ج١٤١) إن السيرة النبوية في مجملها هي منهج حياة صادق وصاف من كل دنس وشائبة، ويكفى أنها صورة صادقة لحياة رجل اختاره الله ليكون رحمة للعالمين، ولذا فإن كل مسلم يرجو لنفسه النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، مطالب بأن يدرس ويتأمل سيرته ﷺ ليستفيد منها في عبادته ودعوته وجهاده وحياته كلها، فحياته ﷺ، كلها دروس وعبر، وفي اتباعها فلاح ونجاة، وفي تركها خسارة وهلاك .

"وفهم سيرة الرسول ﷺ في الحقيقة جزء لا يتجزأ من فهم الإسلام لأنها هي الشاهد العملي الحي الناطق بثمرات الإيمان واليقين بهذا الدين متمثلة في رسول الله ﷺ

(1) سورة الآيات ١٣٧-١٤٢

نموذجاً عملياً ومثلاً أعلى"(١) و"دراسة السيرة تشغل مكاناً هاماً من تفسير القرآن الكريم، فالقرآن أصدق مسجل لأحداث السيرة ووقائعها، وما دار فيها من غزوات وأحداث، وأسباب نزول وأساليب دعوة، وأسس تشريع وتوجيه بينها رسول الله ﷺ وطبقها تطبيقاً عملياً فالسيرة النبوية إذاً بيان للقرآن وتفسير له، ودراستها دراسة للتفسير من هذا الوجه، ومن هذا نتبين أن فهم الإسلام مرتبط بفهم السيرة النبوية الشريفة"(٢) وعلاوة على ما سبق ذكره فإن دراسة السيرة النبوية ضرورة شرعية للاقتداء برسول الله ﷺ الذي قال الله في حقه: **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)**(٣).

ودراسة السيرة النبوية دراسة متأنية مخلصة تعين المخلصين على الإقتداء بالرسول ﷺ، من هذا نخلص إلى القول بأن الجانب الأكبر من سيرته ﷺ وخاصة في ما يتعلق منها بما بعد البعثة حتى وفاته عليه الصلاة والسلام يتضمن الكثير من الأحكام الشرعية في السلم والحرب والحضر والسفر والصحة والمرض والعبادة والتعامل وغيرها ونحن مطالبون ومتعبدون باتباعها. وعلى الجانب الآخر فإن هناك جوانب من سيرته ﷺ وخاصة فيما يتعلق منها بما قبل البعثة لا تبين أحكامًا شرعية يلزم بها المسلم، وإنما تعد أموراً شخصية أو عامة يمكن أن يرجع إليها المسلم لا بقصد التعبد وإنما بقصد زيادة التعرف على شخصية الرسول ﷺ فمثلاً بينت سيرته عليه الصلاة والسلام أنه اشتغل برعي الغنم وبالتجارة وأنه استرضع في بادية بني سعد وأنه تزوج من اليهود ومن الأقباط ونحو ذلك فهذه جوانب من سيرته ﷺ ليس المسلم مطالباً شرعاً باتباعها

---

(1) شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي/ للدكتور راجح عبد الكريم الكردي.

(2) المرجع السابق

(3) سورة الأحزاب الآية ٢١

ولكن فيها دروس وعبر تفيد المسلم، قال الله تعالى: (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون)(١).

س١٤٢) تقولون إنه كان لمحمد ﷺ معجزات فكيف أميز بينها وبين السحر ؟

ج١٤٢) المعجزة في الأصل "حادث خارق للعادة والقوانين التي يلاحظها الناس وتجرى عليها سنن الكون يجريها الله تأييداً للنبي"، أما السحر "فهو كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وهو كل ما لطف مأخذه ودق".

والسحر أنواع، ولعل أشهرها السحر القائم على استخدام الأرواح الأرضية أي الجن حيث يستعين ويستخدم الساحر من بني الإنس جنياً أو شيطاناً أو عفريتاً لتحقيق شيء ما يريده الساحر، وهذا لا يكون إلا إذا تقرب الساحر الإنسي إلى ذلك الجني أو العفريت أو الشيطان بما يحب من الكفر بالله والشرك به سبحانه، وعندئذٍ يقضي له الجني أو الشيطان بعض أغراضه، وعلى هذا فالسحر كفر كما قال سبحانه تعالى: (واتَّبَعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْكِ سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنْزِلَ على المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هاروتَ وماروتَ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)(٢)، وكما روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه".

(1) سورة المؤمنون الآية ٦٩

(2) سورة البقرة الآية ١٠٢

وهناك سحر التخيل والأخذ بالعيون وخداع البصر كما قال تعالى حكاية عن سحرة فرعون: (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحرٍ عظيم)(١)، أي موهوا عليهم حتى ظنوا أن الحبال والعصي تتحرك، قال تعالى: (فإذا حبالهم وعصيُّهم يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى)(٢).

مما سبق وسواه نستطيع أن نتعرف على بعض الفوارق بين المعجزة والسحر منها:

١- أن المعجزة تأييد من الله لنبي أو رسول لبيان صدق نبوته ورسالته فيجرى على يديه ما يشاء من الأمور الخارقة للعادة، وقد قص القرآن الكريم شيئًا كثيرًا من هذا. أما السحر فإنه تأييد من الشيطان لأوليائه.

٢- المعجزة تظهر على يدي عبد صالح: رسول أو نبي، ولا يمكن للعبد الصالح أن يكون ساحرًا لأن السحر كفر، وقد يجري الله أمورًا خارقة للعادة على يد عبد صالح ليس نبيًّا ولا رسولاً وهذه هي الكرامة.

أما السحر فإنه يكون من شخص كفر بالله، و أشرك به، واتخذ الشيطان وليًا من دون الله، ولذا فإذا رأيت أمرًا خارقًا للعادة جرى على يد شخص من الناس فانظر إلى حال ذلك الشخص، فإن كان عبدًا صالحاً يفعل الطاعات ويجتنب السيئات، طاهرًا في مظهره ومخبره، بعيدًا عن كل خبيث فاعلم أن ذلك معجزة إن كان رسولاً أو نبيًا، وكرامة إن كان عبدًا صالحًا. أما إذا كان ذلك الشخص الذي جرى على يديه ذلك الأمر الخارق للعادة عبدًا فاسقًا شريرًا خبيثًا يفعل المنكرات وبعيدًا عن الطاعات فاعلم أنه ساحر أو مشعوذ.

---

(1) سورة الأعراف الآية ١١٦

(2) سورة طه الآية ٦٦

٣- المعجزة تغير حقيقة الشيء وتجعله حقيقة واقعة، وهذا هو سر إسلام سحرة فرعون عندما ألقى موسى عصاه فانقلبت ثعبانًا يأكل عصي وحبال السحرة التي تحولت في نظر الناس بتأثير السحر إلى ثعابين باستثناء السحرة الذين لا يسحرون أنفسهم فكانوا يرون عصا موسى وقد تحولت إلى ثعبان حقيقي يأكل عصيهم وحبالهم (فألقي السحرة ساجدين ✎ قالوا آمنا برب العالمين ✎ رب موسى وهارون)(١).أما السحر فلا يغير حقيقة الأشياء، ولكن الساحر يؤثر في حواس الناس حتى يخيل إليهم أن الأشياء التي أمام أعينهم أخذت صورًا وأشكالاً أخرى في حين أن تلك الأشياء لا تزال على صورتها الحقيقية، وذلك كما فعل سحرة فرعون فلقد سحروا أعين الناس حتى خيل إليهم أن العصي والحبال أصبحت ثعابين في الميدان والواقع أنها لا تزال على حقيقتها حبالاً وعصياً لم تتغير.

٤- تأتي المعجزة لتحقيق مقاصد نبيلة وخيرة كإبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى وتأييد المرسلين وتثبيت المؤمنين ...إلخ، ولا يأتي عن المعجزة إلا خير. أما السحر فإنه يكون في الغالب لتحقيق مقاصد شريرة كالتفريق بين الأزواج وإصابة الناس بالأمراض والعلل وقد يؤدي إلى الموت.

إذن فالمعجزة والسحر على طرفي نقيض في حقيقتهما ومقاصدهما وحال أشخاصهما ولا يتشابهان إلا في بعض آثارهما الظاهرة ولكنه يسهل على كل ذي عقل وبصيرة التفريق بينهما.

---

(1) سورة الشعراء الآيات ٤٦-٤٦

إضافة إلى هذا يقال إن الفعل إذا كان سحراً وليس معجزةً ربانيةً فيعني أنه بشريٌ يمكن أن يفعله السحرة في الأرض، وأما المعجزة فهي ربانية الصنع فلذا لا يمكن أن يقوم بها على نفس الوجه أي رجل من البشر.

س١٤٣) يقول الله عن محمد ﷺ: (والله يعصمك من الناس) فكيف سُحِرَ وسُمَّ وشُجّت رباعيته ؟

ج١٤٣) هذه الآية جزء من الآية السابعة والستين من سورة المائدة. قال الله تعالى: (يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أُنزِل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)(١)، في الآية الكريمة أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله محمد ﷺ أن يمضي في دعوته وتبليغ ما أمر بتبليغه غير مكترث ولا آبه بالأعداء ومكائدهم ومؤامراتهم ضده عليه الصلاة والسلام، وكان عليه الصلاة والسلام قبل نزول هذه الآية وهو يبلغ دعوة ربه يخشى على نفسه من القتل والغيلة، والله تبارك وتعالى يعلم ما يدور في نفس حبيبه وصفيه محمد ﷺ ويعلم كذلك ما يضمره الأعداء للفتك برسول الله ﷺ، ولذا أنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية ليطمئنه ويخبره بأنه في حمايته تعالى وحفظه وصونه، ومن كان في رعاية الله وحفظه فماذا يستطيع أن يصنع به العباد الضعفاء؟ وبهذا قطع الطريق على أولئك الذين حاولوا الفتك به عليه الصلاة والسلام. روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحدث "أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، قالت فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال من هذا؟ فقال أنا سعد بن مالك. فقال: ما جاء

(1) سورة المائدة الآية ٦٧

بك؟ قال: جئت لأحرسك يا رسول الله، قالت: فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه" أخرجاه في الصحيحين. وروى ابن أبي حاتم عن عائشة قالت: "كان النبي ﷺ يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله ﷻ"(١).

فالمقصود إذًا بعصمة الله تعالى لرسوله ﷺ في هذه الآية الحماية من القتل، فلقد تعرض ﷺ وخاصة بعد الهجرة إلى المدينة لمحاولات اغتيال كثيرة حاول القيام بها اليهود والمنافقون والوثنيون وغيرهم ولولا عصمة الله لرسوله ﷺ لقضي عليه ﷺ من الأيام الأولى للدعوة الجهرية، ومن أراد التعرف على هذه المحاولات عليه الرجوع إلى كتاب (والله يعصمك من الناس لأحمد الجدع) والذي استعرض فيه محاولات اغتياله عليه الصلاة والسلام ابتداء من تلك المحاولة الكبرى التي قامت بها قريش للفتك بالرسول ﷺ فنجاه الله منها وأذن له بالهجرة إلى المدينة. أما الأذى القولي والفعلي دون القتل فلقد تعرض الرسول ﷺ للكثير منه وخاصة في مكة، وهذا هو حال الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، وهذه هي سنة الله تعالى في الابتلاء كما قال الله تعالى: (ولقد كُذِّبَتْ رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)(٢)، وكما قال عليه الصلاة والسلام: "أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"، وعصمة الله وحمايته لرسوله ﷺ من القتل كانت خاصة به عليه الصلاة والسلام دون غيره من الدعاة والمبلغين، ذلك لأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ عن ربه ولذا حفظه من القتل حتى يبلغ دعوة ربه على الوجه الذي يريده الله تعالى.

---

(1) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، محمد نسيب الرفاعي، ج٢

(2) سورة الأنعام الآية ٣٤

س١٤٤) هناك جدل وغموض حول زواج محمد ﷺ بزينب بنت جحش فهل تزيلون الغموض وتكشفون الملابسات عن هذا الزواج؟

ج١٤٤) زينب بنت جحش هي بنت عمة الرسول ﷺ "أميمة بنت عبد المطلب" وهي أخت عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذي استشهد يوم أحد، وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه بدون عقد بشري لأن الذي زوجه إياها هو الله تبارك وتعالى، وذلك لإبطال عادة التبني و عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى والتي كانت سائدة آنذاك في أوساط العرب، وقد أنزل الله تعالى في بيان هذا الأمر آيات تتلى في القرآن الكريم، قال تعالى: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوَّجْنَاكَهَا لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً)(١).

وفي قوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مُبْدِيه) أخذت عقول البشرية تجول في الخيال لتعلم ما أخفاه رسول الله ﷺ وغفلت عن قول الله تعالى: (ما الله مُبْدِيه) الذي يفهم منه أن الله تعالى أبدى في كلامه ما أخفاه رسول الله ﷺ، والآية واضحة أن الله تعالى أبدى فيها كون زينب زوجًا لمحمد ﷺ لم يبد شيئًا آخر غير هذا، فكان الأصل في هذه العقول أن تتفكر في كتاب الله تعالى، ولا تترك لخيالها العنان ، فتقول عن رسول الله ﷺ ما لا ينبغي . ولنأت إلى تفصيل قصة هذا الزواج المبارك:

زيد بن حارثة عربي من بني كلب، وقد أغارت إحدى القبائل، فأخذته أسيرًا على عادة الجاهليين وبيع، فاشتراه حكيم بن حزام رضي الله عنه لعمته خديجة رضي الله عنها ثم

(1) سورة الأحزاب الآية ٣٧

وهبته لرسول الله ﷺ وكان أهله يبحثون عنه ليعيدوه إليهم، حتى علموا بمكانه في مكة المكرمة، فجاءوا رسول الله ﷺ وطلبوا منه ورجوه أن يعيد إليهم ابنهم ، وهم أهل الحرم أولى الناس بالمكارم، فعرض عليهم رسول الله ﷺ عرضًا آخر، هو أن يأتوا زيداً ويخيروه بين أبيه وأهله، وبين البقاء عند محمد، فاختار محمداً لما رأى من سمو خلقه، وطيب معشره وحسن تعامله، فقال له أهله: أتختار العبودية على الحرية ؟!

فكافأه رسول الله ﷺ بأن أعلن في نادي قريش أن زيدًا ابنه يرثه ويرث منه، فأصبح يدعى زيدًا بن محمد ثم جاء الله بالإسلام، فكان زيد أول من أسلم من الموالي، حتى إذا شب وهو في رعاية رسول الله ﷺ أراد أن يكافئه ثانية، فزوجه بابنة عمته "زينب" تأكيداً لحريته وبنوته له، ورفعاً لمكانته.

فخطبها رسول الله ﷺ لزيد، فأبت لكونها قرشية ذات حسب ونسب، وكأنها رأت في زيد نزولاً في الرتبة وعدم الكفاءة لها، فأنزل الله تعالى في كتابه: **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم)**(١)، فما كان من زينب إلا أن قالت: "قد رضيت يا رسول الله من رضيته لي"، وتزوجها زيد، ومكث معها قريباً من السنة.

وهكذا روى السدِّي، قال: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة — مولاه – فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنعه رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بعد ذلك أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس، فأمره

(1) سورة الأحزاب الآية ٣٦

رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان ﷺ يخشى الناس أن يعيبوا عليه، ويقولوا تزوج امرأة ابنه، – وكان قد تبنى زيداً – فلم يكن الذي أخفاه رسول الله ﷺ هو حبه لزينب كما يقول الأفاكون، ولو كان الذي يخفيه هو حبه لزينب لأظهره الله تعالى في كتابه، وما كان لرسول الله ﷺ ليفعل هذا وهو المعصوم، والنبي المرسل الذي قال الله في حقه: (وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم)(١).

وأما الذي كان يخشاه ﷺ فهو قول الناس وإرجاف المنافقين واليهود بقولهم: أينهى عن نكاح زوجة الابن، ويتزوج زوجة ابنه زيد ؟ ولم تدم العشرة بين زيد وزينب فطلقها.

قال أنس رضي الله عنه: "لما انقضت عدة زينب ، قال رسول الله ﷺ لزيد، اذكرها عليَّ، قال: فانطلقت، فقلت: يا زينب أبشري، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتى أومر من ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن "(٢)، قال ابن حجر: وهذا أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهرًا بغير رضاه، وفيه أيضًا اختبار ما كان عنه منها: هل بقي شيء أم لا ؟(٣)

قال تعالى: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً)(٤) فتزوجها رسول الله ﷺ ليبطل الله بهذا الزواج عادتين جاهليتين غلبتا على حياة الناس آنذاك وهما: عادة عدم التزوج بزوجة المتبنى،

---

(1) سورة القلم الآية ٤

(2) رواه أحمد ومسلم والنسائي

(3) فتح الباري ٣٥٨/٨

(4) سورة الأحزاب الآية ٣٤

وعادة التعالي والتفاخر بالحسب والنسب بحيث لا يزوِّج الشريف من كان وضيعاً في عرف الناس، ولإقرار قاعدة التفاضل الحقة: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١)٠

(1) سورة الحجرات الآية ١٣

الباب الرابع

في إعجاز العلم

الفصل الأول

قطوف من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

س١٤٥) ما هي صور الإعجاز الموجودة في القرآن الكريم، والموجودة في السنة النبوية المطهرة ؟

ج١٤٥) وجوه الإعجاز في القرآن والسنة تجمعها كليات عامة:

الأولى: الإعجاز اللغوي، حيث كان في أعلى درجات البلاغة والبيان في اللغة العربية، وأعجز أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله.

الثانية: الإعجاز التشريعي حيث جاء بشرع محكم يؤمن مصالح العباد في الدنيا وينجيهم من عذاب الله في الآخرة، صالح لكل زمان ومكان.

الثالثة: الإعجاز الإخباري حيث وردت فيه أخبار عما يستقبل من الزمان، وحدثت كما أخبر ، كما أخبر بأمور مضت، وعفا عليها الزمن كإخباره عن قوم نوح وهود وصالح وغيرهم، ولولا إخبار الله له بذلك ما كان ليعرفه رسول الله بنفسه

الرابعة : الإعجاز العلمي فيرد في القرآن الكريم آيات تدل على حقائق علمية لم تكن معروفة في السابق، وإنما يكتشفها العلم في تقدمه المزدهر خلال العصور وهي تشمل العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية، وغيرها.

الخامسة: إعجاز الهداية.

ولكل من هذه الوجوه أمثلة عديدة يمكن لمن يريد التعرف عليها الرجوع إلى الكتب المؤلفة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وكذلك مجلة "الإعجاز" التي تصدرها هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي.

س١٤٦) كيف أكدت الاكتشافات العلمية الحديثة صدق القول المأثور بأن القرآن لا تنقضي عجائبه ؟

ج١٤٦) بين الله ﷻ أنه علم رسوله محمدًا ﷺ من العلوم ما لم يعلم قال ﷻ: **(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا)**(١).

فهذه العلوم التي جاءت عن رسول الله ﷺ إنما هي من الوحي الذي أوحاه الله تعالى ومن العلوم التي علمها ولذلك قال النبي الكريم ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"(٢)، فبين رسول الله ﷺ أن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت من النوع الذي يقر به أهل أزمنتهم معه على صدق من تظهر، منه لأنها كانت خارقة للعادة ولا يستطاع الإتيان بمثلها لا في زمانهم ولا بعده من الأمور الحسية التي تبهر الأبصار والأسماع، ومن ثم العقول فتذعن لصاحبها بالصدق.

وأما هو عليه الصلاة والسلام فكانت معجزته علمية عقلية مصدرها الوحي الرباني الذي يكون لإدراكه ومعرفة كنهه وحقيقته فسحة عمر الإنسانية، ومع مضي الزمان الذي يعيش فيه الإنسان فوق هذه الأرض فلا تنقضي عجائبه، ففي كل زمن يظهر

---

(1) سورة النساء الآية ١١٣

(2) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

من هذا الوحي علامة بينة، وبرهان ساطع، وآية واضحة على صدق من أتى بهذا الوحي وأنه نبي مرسل من عند الله ﷻ العليم الخبير، وعلى صدق ما جاء به من القرآن الكريم وصدق ما قال به في السنة النبوية المطهرة. فإننا نرى في كل فترة من فترات الدهر أنه يأتينا علماء الطبيعة بحقائق توصلوا إليها بعد جهد جهيد، وتجارب عديدة أجروها حتى توصلوا إلى تلك الحقائق، وتكون هذه الحقائق أمورًا مسلمة عند المسلم الذي يقرأ كتاب الله تعالى ويتعمق في فهم معانيه.

ولأضرب مثلاً على ذلك : وهو علم الجنين الذي يعتبر من أحدث علوم أهل الدنيا الذي لم يستطيعوا أن يخوضوا فيه حتى أمدهم الحضارة الحديثة بأدوات تستطيع أن تصور ما يجري في رحم الأم دون إيذاء للأم ولا لجنينها، فإذا بهم يتوصلون إلى بعض الحقائق المسلمة عند كل مسلم، ومن ذلك: إن بداية تكون الجنين إنما يكون بعد دخول الحيوان المنوي على بويضة الأنثى، قال تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ✍ من نطفة إذا تمنى)(١)، وقال تعالى: (ألم يَكُ نطفة من مَّنِيٍّ يُمنى)(٢).

حيوان منوي واحد هو الذي يلقح البويضة ، فالرجل عند الجماع يقذف بملايين من الحيوانات المنوية ، ويتكون المني من السائل المنوي الذي يكون ٩٩% من مجموع المني ، وأما الحيوانات المنوية تشكل ما بين ٥% و١% من مجموع المني، ومع ذلك فإن حيواناً واحداً من بين مئات الملايين الموجودة في المني هو الذي يقدر الله تعالى له أن يلقح البويضة لتنمو، وتصبح جنيناً فطفلاً فغلاماً فرجلاً بإذن الله تعالى فعن أبي سعيد

(1) سورة النجم الآيتان ٤٥-٤٦

(2) سورة القيامة الآية ٣٧

الخدري رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن العزل؟ فقال: "ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله تعالى خلق شيءٍ لم يمنعه شيء"(١) .

فأفاد الحديث أن الحمل إنما يكون من بعض الماء، وهو الذي توصل إليه العلم الحديث.

وإضافة إلى ذلك فإن الحديث يشير إلى أنه لا يلزم حدوث الحمل من كل جماع، وقد يكون قذف ولا يوجد حمل، وهذا ما يوضحه علماء الطب حين يقررون بأن أيام الطهر ليست سواء في احتمال حمل المرأة ، كما أنه قد يضعف الحيوان المنوي عن تلقيح البويضة .

ومما أثبته العلم أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة، وهذا شرط للإخصاب كما أثبت العلم أيضًا أن ماء المرأة الذي يحمل البويضة يخرج متدفقًا إلى قناة الرحم (فالوب) وأن البويضة لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة حتى يتم الإخصاب، قال الله تعالى: (فلينظر الإنسان مِمَّ خُلق ✍ خُلق من ماءٍ دافقٍ)(٢).

تحديد الجنس ذكر أو أنثى:

تبين لأهل العلم أن عدد الصبغيات في كل خلية إنسانية هو (٢٣) زوجاً، ويختص من هذه الأزواج زوج واحد فقط في تصميم الأنوثة أو الذكورة بكل الأبعاد في كيان الإنسان العضوي والنفسي، إن مفتاح الذكورة والأنوثة موجود في هذا الزوج من

(1) أخرجه مسلم في كتاب النكاح عن أبي سعيد الخدري.

(2) سورة الطارق الآيتان ٥-٦

الصبغيات صبغيات تحديد الجنس، وقد لوحظ أن هذا الزوج في الذكر متغاير ويرمز له بالرمز (XY)٠

وكذلك فإن البويضات الأنثوية تحمل صبغياً واحد فقط ومن شكل واحد (XX) بينما تحمل النطف عند الرجل شكلين من الصبغيات صبغي (X) وصبغي (Y)٠

فأصبح الأمر الآن واضحًا في تحديد الجنس، فالنطفة هي المسئولة عن تحديد الجنس لأنها تحمل الأشكال المتغايرة في الصبغيات الجنسية، فإذا حملت النطفة صبغيًا من نوع (Y) فاتحدت مع صبغي من نوع (X) في البويضة كان المولود ذكراً، وإذا اجتمعت نطفة من نوع (X) مع البويضة ذات النوع (X) كان المخلوق أنثى٠ وإليك معادلات موضحة : نطفة (Y) + بويضة (X) = ذكر (YX)

نطفة (X) + بويضة (X) = أنثى (XX)

أربع احتمالات:

١) XX أنثى ٢) YX ذكر ٣) XX أنثى ٤) YX ذكر

وهذا ما ذكره القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً حين أرجع مسئولية تحديد الجنس إلى مني الرجل قال تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ✎ من نطفة إذا تمنى)(١)٠

ويأتي حديث رسول الله ﷺ ليعبر عن ذلك بتعبير دقيق فإذا غلب ماء الرجل – أي غلبت (Y) واتحدت مع (X) – كان ذكراً، وإذا غلب ماء المرأة –أي غلبت (X) واتحدت مع (X) وأبعدت (Y)– كان أنثى، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الولد فقال: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا

(1) سورة النجم الآيتان ٤٥-٤٦

فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله – أي كان الولد ذكرًا – وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله – أي كان المولود أنثى–"(١).

ولا يظن أن أحدًا يتكلم بعد أربعة عشر قرنًا بأوضح من هذا البيان من رسول الله ﷺ .

س١٤٧) لقد ساعدت التكنولوجيا الحديثة العلماء المعاصرين على فهم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فكيف فهم السلف هذا الإعجاز دون وقوفهم على هذه التكنولوجيا ؟

ج١٤٧) إن المسلم يوقن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأن السنة النبوية هي مما علم الله رسوله ﷺ، فكل ما جاء فيهما فهو حق لا مراء فيه، يجب التسليم به على أنه حقيقة يخبرنا بها الله تعالى، فالمؤمن يؤمن بذلك ويوقن بما جاء فيه مسلمًا لله لإخباره بذلك ، وإن لم يعلم أو لم يستطع أن يطلع على ذلك فعليًا.

فالأمور التي سبق ذكرها عن الجنين مثلاً، يعتقد المسلم صحتها، وأن الجنين يتكون من النطفة إذا لقحت البويضة، وأن الجنين يكون ذكراً إذا علا ماء الرجل ماء المرأة وغلب، وأن الجنين ينتقل من كونه نطفة إلى علقة إلى مضغة، وأن العظام تتكون ثم تكسى بعد ذلك باللحم، وكل ما جاء في كتاب الله تعالى عن الجنين، فهو موقن ومصدق وإن لم يطلع كلياً على ذلك في رحم المرأة، ولكن كما جاءت التقنيات الحديثة وأدركت ذلك يقيناً وحساً فإنها بذلك تثبت إيمان المؤمن، وتزيده رسوخاً ويقينا بصحة ما كان يؤمن به.

وكذا يمكن القول عن أمر آخر:

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في حديث طويل في كتاب الحيض عن ثوبان .

فالمسلم يعتقد أن الجبال أوتاد للأرض تثبتها، وتحفظ لها توازنها وإن لم يعلم أن الجبال تمتد بثلثها فوق الأرض ، وتنغرس بثلثيها تحت الأرض مثلها مثل الوتد، فإذا جاء العلم ليثبت ذلك، كان المسلم قد سبقه بالاعتقاد بذلك، وزاده الاكتشاف العلمي رسوخًا وثباتًا في إيمانه.

ومثل ذلك يقال عن تكون الغمام في السماء أمثال الجبال، وأن البرد يترل من تلك الجبال، فالمسلم يعتقد ذلك وإن لم يصعد إلى السماء، يعرف أن السحاب يتجمع على شكل الجبال .

وهكذا في كل ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ من سبق علمي، فإن المسلم يصدقه ويقرُّ به، وإن لم يطّلع على حقيقته، ولذلك نرى القرآن الكريم يبين أن الاكتشافات العلمية ستُظهِر للناس آيات الله تعالى، قال ﷻ: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(١).

س١٤٨) نحن نوقن بأنه "لا يعلم ما في الأرحام إلا الله تعالى" فكيف يمكن التوفيق بين هذا وبين ما استحدث من تصوير الجنين ومعرفة نوعه قبل ولادته؟

ج١٤٨) يشير السؤال إلى قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينَزِّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت إن الله عليمٌ خبيرٌ)(٢)، وقد سمى رسول الله ﷺ هذه الخمس مفاتيح الغيب، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله"، ثم تلا الآية(٣).

---

(1) سورة فصلت الآية ٥٣

(2) سورة لقمان الآية ٣٤

(3) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير برقم ٤٢٦١

والشاهد في قوله: (ويعلم ما في الأرحام) فهو ﷻ الذي يعلم وحده علم يقين ما في الأرحام في كل لحظة وفي كل طور من فيض أو غيض، ومن حمل حتى حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم، ويعلم ما هذا الحمل ذكراً كان أم أنثى، على حين أنه لا يملك أحد أن يعرف عن ذلك شيئًا في اللحظة الأولى لاتحاد الخلية والبويضة، وملامح الجنين وخواصه، وحالته واستعداداته، وكل أولئك مما يختص به الله تعالى العليم الخبير.

(وما في الأرحام) أعم من الجنين، وأعم من كونه ذكراً أو أنثى، تام الخلق أم ناقصه، عاقلاً أم مجنونًا، مؤمنًا أم كافرًا ..

وقد ذكرت في جواب سابق المعادلات المحتملة لتكوين الجنين ذكرًا أو أنثى، ويقال مثل هذه المعادلات عن كل صفة من صفات الجنين، كيف سيكون في لون جسده وبشرته، وفي لون عينيه، وفي حجم كل جزء من أجزائه ، إنها كلها تخضع في علم أهل الطب إلى قانون الاحتمالات، وهو قانون غير منضبط فلا يدري أحد كيف ستتحد الصبغيات في هذا الجنين، وكيف ستكون صفاته الجديدة التي سيكون عليها، فلا يدري أحدٌ متى يكون ذكرًا مثلاً، ومتى يكون أنثى إلا الخالق الباري الذي يوجه المخلوقات إلى ما يشاء ويريد في هذه الدنيا ، أما الإنسان فإنه عاجز عن معرفة ذلك قبل حدوثه وأثناء حدوثه، أما بعد حدوثه، فقد أصبح واقعاً، و لم يعد غيباً، فيمكن للإنسان كما عرف مراحل تكون الجنين أن يعرف شيئًا عن هذا الجنين، فالآية والحديث يتكلمان عن المرحلة التي يكون ما في الأرحام غيباً، فإذا حدث وأصبح من الأمور الواقعة التي يمكن للإنسان أن يطلع عليها فلا مانع من معرفتها.

س١٤٩) نرجو تفسير الآيات القرآنية التالية علميًا:

ج١٤٩) أ- قال تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ✍ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ✍ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالِمُون)(١).

فالآيات الكريمات تضرب مثلاً من الأمثلة لأولئك الذين اتخذوا آلهة غير الله، يعتمدون عليها ويثقون بها، ويعطونها عهودهم ومواثيقهم، وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى سواء أكانت في أيدي الأفراد أم الجماعات فهي كالتجاء العنكبوت إلى بيتها، حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو، ولا وقاية لها من بيتها الواهن.

وليس هناك إلا حماية الله وإلا حماه وإلا ركنه القوي الركين.

هذه الحقيقة الضخمة هي التي عُني القرآن بتقريرها في نفوس الفئة المؤمنة، فكانت بها أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقها، وداست بها كبرياء الجبابرة في الأرض، ودكت بها المعاقل والحصون، إنهم أعداء الدعوة يستعينون بأولياء يتخذونهم من دون الله، و الله يعلم حقيقة هؤلاء الأولياء، وهي الحقيقة التي صُورت في المثل السابق، عنكبوت تحتمي ببيتها، والعالم الفطن هو الذي يعقل هذا المثل، ويعلم أن كل ما دون الله هو واهن واه كبيت العنكبوت.

ولعل الإعجاز في هذه الآية الإشارة إلى البيت وليس إلى الخيوط، لأن خيط العنكبوت علميًا أقوى من مثله – طولاً وقطراً – من الحديد الصلب بأربع مرات، فالوهن في البيت لا في الخيط فبيت العنكبوت مع صلابة خيوطه كما يبدو وهو

(1) سورة العنكبوت الآيات ٤١-٤٣

كذلك لكنه واهٍ من داخله فهو مقتل لأهله، فالأنثى تقتل زوجها بعد التلقيح إن لم يهرب منها بشكل خاطف، كما تأكل أولادها عند الفقس إن لم يفروا، والأولاد يأكل بعضهم بعضًا، فبيت العنكبوت أبلغ مثل علمي يُضرب عما يتصوره الإنسان خير ملجأ ثم يكون أسوأ مصير.

وجاءت خاتمة الآية (لو كانوا يعلمون) إشارة إلى أنه سيعلم وإن لم يظهر إلا متأخرًا، ومعلوم أن هذه الأسرار البيولوجية لم تظهر إلا متأخرة.

ب- قال تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم ✎ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)(١).

لم يكن المخاطبون يوم ذاك يعرفون عن مواقع النجوم إلا القليل الذي يدركونه بعيونهم المجردة، ويشعرون بعظمة هذه المواقع في قلوبهم، فأما نحن اليوم، فندرك من عظمة هذا القسم المتعلقة بالمقسم به نصيبًا أكبر بكثير مما كانوا يعلمون، وإن كنا نحن أيضًا لا نعلم إلا القليل عن عظمة مواقع النجوم أي منازلها التي هي فيها وأفلاكها التي تدور فيها.

فمما نعلمه: أن مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التي لا تحصى في الفضاء الهائل الذي لا نعرف له حدودًا، مجموعة واحدة هي المجرة التي تنتسب إليها أسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجمة، ويقول الفلكيون: إن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة المكبرة كالتلسكوب، وما يمكن أن تحسه الأجهزة دون أن تراه، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال لنجم آخر أو يصطدم بكوكب ثان، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر

(1) سورة الواقعة الآيتان ٧٥-٧٦

الأبيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد وبعيد جدًا إن لم يكن مستحيلاً.

وكل نجم في موقعه المتباعد عن موقع إخوانه قد وضع هناك بحكمة وتقدير، وهو منسق في آثاره وتأثراته مع سائر النجوم والكواكب لتتوازن هذه الخلائق كلها في هذا الفضاء الهائل.

إن مواقع النجوم في أفلاكها التي تسير فيها هو سر توازنها، فلا يقترب نجم من آخر ولا كوكب من ثان، ولا شمس من أخرى، لكلٍ موقعه الذي يدور فيه لا يجاوزه ولا يتعداه، ولو فُرض أن نجمًا ما انحرف عن موقعه وسار في غير مساره، فإنه لابد أن ينجذب إلى فلك آخر ويصطدم بنجم آخر فتزيد كتلة هذا النجم الجديد المكون من اصطدام النجمين وتزداد بناء على ذلك جاذبيته فيجذب نجما ثالثًا وهكذا حتى ينتهي الكون بأسره، وهذا ما أشار إليه الباحثون عن قوله تعالى (النجم الثاقب) وما يعبر عنه الفلكيون بـــ (الثقب الأسود) فلهذا أقسم الله ﷻ بمواقع النجوم التي خلقها الله تعالى عليها لتتفكر فيها، ونتدبر ونعلم أن هذا الكون إنما يسير بتدبير رب السماوات والأرض.

ومن الأمثلة على مواقع النجوم: **الشمس**، كما جاء في مجلة "العلم والحياة" الفرنسية عدد حزيران ١٩٨٦ ما نصه:

(لو كان موقع الأرض بالنسبة للشمس بحيث يكون شعاع مدارها حول الشمس أصغر بـــ ٤% مما هو عليه الآن أي "١٤٤ مليون كلم" بدلاً من "١٥٠ مليون كلم" لارتفعت درجة حرارة الأرض تدريجيًا حتى (٤٥٠ درجة مئوية)، بحيث يتبخر ماؤها، وتنعدم الحياة فيها، كما هو الواقع الآن في الزهرة"Venus"، وعلى العكس من ذلك لو كان هذا الموقع أكبر بنسبة ١% أي ١٥١,٥ مليون كلم، لانخفضت درجة حرارة

الأرض تدريجيًا حتى تصل إلى (-٤٠ درجة مئوية) ولتجمد الماء وانعدمت الحياة على سطحها كما في المريخ"Mars"، وكذا يقال: إن المجرات والنجوم قد تبدو ثابتة، ولكنها متحركة وتتزايد مسافاتها باستمرار كما في نظرية توسع الكون وبالتالي يكون للنجم مواقع جديدة باستمرار ومع هذه المواقع الجديدة لمليارات النجوم والمجرات يبقى توازن القوى في الكون (كقوى التجاذب) وغيرها .

مما يجعل هذا القَسَم الذي جاء في الآية عظيمًا جدًا.

جـ) قال تعالى: (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها)(١).

أفادت هذه الآية الكريمة أن الأرض تنقص من أطرافها، كما أفادت الآية الكريمة أن البشر الذين يعيشون عليها يرون ذلك (أولم يروا؟)، فكيف يتم ذلك النقصان؟

أولاً: نقصان الأرض من طرفيها الشمالي والجنوبي، يعني من قطبيها.

من المعلوم أن الأرض ليست كروية تمامًا، إنما هي مفلطحة يعني أن خط الاستواء أكبر من الخط المار بالقطبين، وقد وجد العلماء أن خط الاستواء أطول بما يزيد تقريبًا عن(٢١كم)، ثم وجدوا أيضًا أن هذا القدر يزداد مع الأيام وتزيد الأرض فلطحة، وينقص خط القطبين شيئًا فشيئًا.

ثانيًا: إن القشرة الأرضية التي تعلو الأرض، معرضة للشمس والمطر والرياح وعوامل الحت والتعرية المختلفة مما يجعل هذه القشرة تتآكل شيئًا فشيئًا، ويتوقع العلماء أن هذا التآكل المستمر هو سبب الزلازل والخسوف الأرضية.

(1) سورة الرعد الآية ٤١

فهذا أيضًا يدل على أن الأرض تتناقص من أطرافها العليا، وهذا من الأمور التي يلاحظها الإنسان في كافة بقاع الأرض، فكان كما قال تعالى: (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) آية علمية واضحة على مر العصور والأيام.

د) قال تعالى: (والسماءَ بنيناها بِأييدٍ وإنا لموسعون)(١).

الآية تدل على أن الله تعالى الذي خلق السماء بما فيها من النجوم والكواكب والشموس والأقمار بوسعها فهي تتسع على مر العصور، وهذه الآية المثبتة لتوسع الكون.

جاءت نظرية "توسع الكون" المعروفة الآن في المجال العلمي، في عام ١٩١٢م أكد العالم (سيليفر Slihpher) أن المجرات تتباعد عن مجرتنا بصورة متزايدة.

في عام ١٩١٦م جاءت نظرية النسبية لآينشتاين تؤيد نظرية توسع الكون، وحاول حساب سرعة هذا التوسع وربطه بسرعة الضوء ٣٠٠٠٠٠ كلم/ث.

في عام ١٩٢٩ أكد العالمان (همسن Humoson و هوبل Habble) نظرية توسع الكون، ووضع (هوبل) قانونًا باسمه يعطي مقدار تزايد بعد المجرات بالنسبة لبعضها وبالنسبة لمجرتنا وبفضل هذا القانون أمكن بطريقة عكسية حساب عمر الكون التقريبي، ومع تقدم الفيزياء الحديثة ودخول دراسة (الطيف Specter) تم دراسة ضوء النجوم والمجرات وانزياح هذا الطيف نحو (الطيف الأحمرRed Shift) وبالتالي تم حساب سرعة ابتعاد المجرات عن بعضها حسب القاعدة "كلما تباعدت المجرات والنجوم عنا انزاح طيفها نحو اللون الأحمر".

---

(1) سورة الذاريات الآية ٤٧

فعلى سبيل المثال: مجرة "كدس العذراء Amos de lavierge" يتزايد بعدها عن مجرتنا درب التبانة "اللبنية" بسرعة ١٢٠٠كلم/ث .

ومجرة "كدس العذراء Amos de lavierge "يتزايد بعدها بسرعة ٦٠ ألف كلم/ث وهي تبتعد عنا ملياري سنة ضوئية.

ويؤكد علماء الفلك المعاصرون هذه النظرية منهم هيوبرت ريفز ubert Reeves حيث قال: (نستطيع القول اليوم أن توسع الكون هو شبه مؤكد) ويقول موريس بوكاي: (إن توسع الكون أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث قد ثبتت اليوم تماماً، ولا تعالج المناقشات إلا النموذج الذي يتم به هذا التوسع).

ومن الظواهر التي تؤيد هذه النظرية "سواد الليل"، فمع كثرة المجرات في السماء المكونة من مليارات النجوم، لا يوجد ما يكفي من النجوم لِمَلْئِ السماء بالضياء، بل إن التوسع يشتت ضوء هذه النجوم فيبدو لنا ضئيلاً مع قوته، ويظهر الليل أسودًا.

ووجه الإعجاز في الآية:

لو فرضنا أن إنساناً في عصرنا الراهن لا يعرف شيئًا عن الفلك والقوانين العلمية، ولا يملك شيئًا من التقنية الحديثة "التكنولوجيا" لاسيما البصرية منها، بل لو نشأ في غابةٍ من المجاهيل أو في باديةٍ أو شاهقٍ ونطق بمثل هذه القوانين المذكورة وتوصل إلى النتائج التي ما وصل إليها العلماء إلا بعد جهد جهيد وبحث طويل وجهود متضافرة متتابعة، لعد الناس ذلك ضرباً من ضروب الخيال والمستحيل وبالتالي يحاولون نسب هذه المعلومات إلى ما وراء هذا الإنسان من قوة خارجية أخرى.

فماذا يقال إذا كان هذا الإنسان عاش قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب يقيم في بادية بعيدة عن مراكز العلم والحضارة في حينه، وفي زمن لا يعرف العالم شيئًا عن الكون وبدايته والحياة ونشأتها، يقول هذا الإنسان هذه النظرية

بكل ثبات وتأكيد وبكل ربطٍ محكم مع غيرها من الظواهر والنظريات، فماذا يقال آنذاك؟ إنه "خبر الوحي" بلا شك.

هـ) **قال تعالى:** (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضَيِّقًا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّد في السماء)(١).

إن هذه الآية تعطي صورة لشخصيتين:

الأولى: الشخصية الإسلامية التي انشرح صدرها للإسلام فآمنت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، فانشرح صدرها واتسع وكان في فسحة هذا الكون الذي خلقه الله تعالى ينطلق فيه مع آيات الله تعالى الكونية أو القرآنية.

الثانية: هي الشخصية الكافرة التي ضاقت بالإسلام ذرعاً، فلم تهتد إلى السبيل الأقوم فضاقت عليه نفسه، وشعر بالعسر الشديد في صدره لأن الكفر انكماش وتحجر، فهو ضيق وشرود عن الطريق الفطري الميسر، وهو عسر وحرمان و قلق، ثم ضرب الله مثلاً لهذا الأخير، بأن ضيق صدره يشبه تمامًا ضيق الصدر الذي يشعر به الذي يصّعد في السماء.

ولماذا يضيق صدر الإنسان عندما يصعد في السماء؟

ومن أخبر محمداً ﷺ أن طبقات الهواء تتخلخل كلما صعدنا في السماء، فيقل "الأوكسجين" على التنفس، فيضيق صدر الإنسان؟

و لم يعرف الإنسان هذه المعلومات إلا حديثًا؟!

فلا شك أن هذا كلام رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض، ويعلم أحوال الإنسان في كل شأنه.

---

(1) سورة الأنعام الآية ١٢٥

ثم إن الإنسان يزداد صدره ضيقًا كلما ازداد صعوده في السماء، وهذا أمر معروف علمياً لأن طبقات الجو العليا أكثر تخلخلاً وأخفض ضغطاً وأنقص في مادة "الأوكسجين" التي هي المادة الأساسية للتنفس والحياة، وقد أعطت الآية هذا المعنى حين عبرت بـــ "يصَّعَّد " أي صعودًا بعد صعود.

فمن علم محمداً ﷺ هذه الحقيقة العلمية التي كانت خافية على أبناء عصره، بل على أبناء العصور المتتالية بعده حتى جاء العصر الحالي بتقدمه الباهر ليثبت الحقائق العلمية؟ إنه رب العالمين الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وعلمنا ما لم نكن نعلم.

و) قال تعالى: (وجعل القمر فيهنَّ نورًا وجعل الشمس سراجًا)(١).

نجد في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى فرَّق في وصفه للشمس فذكر أنها سراج، وذكر في سورة أخرى فقال: (وجعلنا سراجاً وهاجاً)(٢)، وفي سورة ثالثة قال تعالى: (وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً)(٣)، فالشمس وصفها بأنها (سراجاً وهاجاً)، فهي الشمس الباعثة للحرارة، التي تعيش عليها الأرض، وما فيها من الأحياء، والتي تؤثر كذلك في تكوين السحاب بتبخير المياه في المحيط الواسع في الأرض، ورفعها إلى طبقات الجو العليا.

ففي السراج توقد وحرارة وضوء، وهو ما يتوفر في الشمس، فاختيار كلمة "سراج" دقيق جداً، ومختار بصورة توافق الحقيقة.

وأما في جانب القمر ، فوصفه الله تعالى بأنه منير فقط، والإنارة لا تعني أنه منبع حرارة، وإنما هو ناقل للضوء .

---

(1) سورة نوح الآية ١٦

(2) سورة النبأ الآية ١٣

(3) سورة الفرقان الآية ٦١

وجاءت الاكتشافات العلمية لتثبت أن الشمس منبع حرارة، تصل درجة الحرارة فيها إلى خمسة عشر مليون درجة مئوية، وفي أطرافها تصل الحرارة إلى ست آلاف درجة مئوية.

وأما القمر، فإنما هو عاكس لضوء الشمس، فكانت إنارته للعالم في الليل، فضوءه هو انعكاس لضوء الشمس ليس غير فهو ليس منبعاً ضوئياً وإنما هو عاكس كالمرآة فلذلك كان التعبير القرآني عن القمر بأنه منير هو تعبير دقيق جدًا لحقيقته التي علمها علماء الفلك في عصورنا الحالية.

والحقيقة العلمية الدقيقة هنا أن ضوء الشمس يتألف من موجات إشعاعية مرئية "تعرف بالأشعة البيضاء" المكونة من ألوان الطيف (ما فوق الحمراء إلى ما تحت البنفسجية) وهي على الترتيب :

"حمراء ، برتقالية، صفراء، خضراء، زرقاء، نيلية، بنفسجية" وكذلك يتألف ضوء الشمس من أشعة غير مرئية وهي ما تحت الحمراء وفوق البنفسجية بل وبعض الأشعة المجهولة وأشعة غاما، وموجات الراديو والموجات القصيرة ... دقة الوصف القرآني تتجلى في قوله: (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً)(١).

فالنور الذي يأتي من القمر ما هو إلا انعكاس لأشعة الشمس المرئية فقط المتساقطة على سطحه "نور فقط".

وأما ضوء الشمس فهو مؤلف من أشعة مرئية "ضياء وحرارة"، وغير مرئية استخدمها العلماء اليوم في الإضاءة والتصوير الإشعاعي وعلوم الفلك والأحياء.

---

(1) سورة يونس الآية ٥

س١٥٠) لماذا ركز القرآن الكريم على الناصية دون غيرها في قوله تعالى: (لنسفعاً بالناصية ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة)(١) ؟

ج١٥٠) الناصية الجبهة، أعلى مكان في الإنسان، وهو مقدم الرأس.

والسؤال الوارد هنا لماذا لم يوصف أي جزء آخر من الجسم بصفة الكذب والخطأ؟

وقد ذكرت الناصية في آية ثانية، وهي قوله تعالى: (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)(٢)، أي تحت قهره وسلطانه، وهي صورة للقهر والقدرة والغلبة والهيمنة على كل دابة على هذه الأرض.

فما هو الشيء الكامن وراء هذه الناصية؟

في أعلى الجبهة أحد عظام الجمجمة المسمى بالعظم الجبهي (Front Bone) وهو يحمي الفص الجبهي الأمامي (Frontal Lobe) والفص الجبهي الأمامي هذا يحتوي على مراكز عصبية عدة، مركز الحركة الأولي ومركز الحركة الثانوي والحقل العيني الجبهي، ومركز لحركات النطق، وأهمها القشرة الأمامية الجبهية(Pre-frontal Cortex)وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الجبهي للمخ.

وترتبط وظيفة القشرة الأمامية الجبهية بتكوين شخصية الفرد، وتؤدي دوراً منظماً لعمق إحساس الفرد بالمشاعر ولها تأثير في تحديد المبادأة (Initatue) والتمييز Judgement. فالقشرة الأمامية الجبهية هي الموجهة لبعض تصرفات الإنسان التي تنم عن شخصيته، مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ.

---

(1) سورة العلق الآيتان ١٥-١٦

(2) سورة هود الآية ٥٦

وتحطم هذه القشرة نتيجة ورم أو حادث يؤدي إلى فقد المبادأة والتمييز، كما تحدث بعض التغيرات العاطفية التي تؤدي إلى الإحساس بالانتعاش والنشوة، ويفقد الشخص اهتمامه بمظهره الاجتماعي، فبدلاً من أن يكون حكيماً مراعياً لشؤون الآخرين من حوله يصبح من غير المبالين، فاقدًا للشعور بالمسئولية نحو نفسه أو أسرته أو مجتمعه، والمشروبات المسكرة تؤثر تأثيراً مباشراً على أنسجة المناطق الأمامية في الدماغ.

فالفلقات الأمامية للدماغ هامة جداً للعقل لأنها ترتبط بالعمليات العقلية العليا، فنحن نقوم بعمل الخطط داخل هذه الفلقات، وهكذا فإنها تؤثر في أفعال ووظائف أجزاء المخ الأخرى مثل أفكارنا ومشاعرنا وأحاسيسنا.

فالناصية هي الموقع الذي يتحكم في تصرف الحيوان، وبالتالي فإن هذه الآيات التي وردت في القرآن الكريم منذ القرن السابع بعد الميلاد تتضمن علماً محيطاً بإجمال لوظائف الفلقات الأمامية للمخ(١).

(1) انظر الإعجاز العلمي في الناصية من نشرة الإعجاز العلني للقرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي.

الفصل الثاني

قطوف من الإعجاز العلمي في السنة النبوية

س١٥١) ما موقف العلم الحديث من الحديث: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب" ؟

ج١٥١) داء الكَلَب والتراب:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "وإذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أولاهن بالتراب"(١).

لقد وقف علماء الفقه والحديث من هذا الحديث موقف المستغرب إذ كيف يكون التراب مطهرًا؟ وهو يجعل الشيء الذي يلامسه متسخاً لا نظيفاً، ووقف أكثرهم من هذا الحديث بأنه أمر تعبدي لا يناقش فيه ولا يسأل عن علة هذا المسح بالتراب، ونحن نسمع ونطيع ونغسله بالتراب، ولو لم نعرف العلة في ذلك اتباعاً لظاهر لفظ الحديث.

وجاء القرن الحديث بما يحمله من دراسات وبحوث وأدوات متقدمة تيسر البحث وتظهر أموراً كان من الصعب على الناس أن يصلوا إليها في عصور سابقة دون هذه الأدوات المتقدمة المتطورة.

وكان من جملة ما أجري من بحوث حول علاقة التراب بداء الكَلَب، فداء الكَلَب مرض من الأمراض التي تكون جراثيمه في لعاب الكلب وتنتقل منه إلى الإنسان، وقد يكون

(1) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، والنسائي في كتاب المياه وغيرهما.

الحيوان حاملاً لهذا الداء وإن لم تظهر عليه علامات الإصابة به، ومثله مثل أي حيوان أو أي حي ينقل جراثيم مرض دون أن يصاب بذلك المرض.

ذلك البحث أجري في إسبانيا منذ زمن كما أجراه أحد الأطباء الباكستانيين قريبًا، حيث وجد أن داء الكَلَب وجراثيمه مهما غسلت بالماء فإن الماء لا يذهب بها، فإذا مسحت بالتراب، فإن التراب يذهب بها ولا يبقي في الإناء أثرًا لها، وكذا إذا كان الكلب يحمل جراثيم أمراض أخرى، وصدق رسول الله ﷺ.

س١٥٢) ما هي صور الإعجاز العلمي فيما يلي:

أ) ظاهرة الحيض عند النساء.

قال تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(١).

والله ﷻ يجيب عن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن المحيض، أي محيض المرأة في دورتها الشهرية التي تأتيها فقال لهم مقدماً علة النهي (هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) فجاء لطفاً منه سبحانه ليؤخذ الحكم بالقبول من المتسائلين الذين قد يرون أن الحجر عليهم في أمور غرائزهم وشهواتهم تحكُّم، فيعلم أنه حكم للمصلحة، والنهي عن قربان النساء إنما المقصود به الوقاع، والمعنى أنه يجب على الرجال ترك غشيان نسائهم زمن الحيض لأن غشيانهن سبب للأذى والضرر للرجل والمرأة.

وقد قال رسول الله ﷺ: "اصنعوا كل شيء إلا الجماع"(٢).

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٢٢

(2) رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

وعن حكيم بن حزام سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: "لك ما فوق الإزار"(١)، فالمباشرة الزوجية أثناء الحيض وفي مكانه أذى وضرر

وبالدراسة والبحث وضح ما يلي:

- إن الجراثيم الضارة توجد بأعداد رهيبة في المهبل أثناء الدورة الشهرية، وتختفي عضويات دودرلين.

إن عضويات دودرلين توجد بصفة طبيعية في المهبل، وهي تعتبر الحارس عليه ضد الجراثيم الضارة، وتلك العضويات تعيش على السكر المخزون في خلايا جدار المهبل، ويقل هذا المخزون حتى يتلاشى تماماً قبل الحيض بساعات وأثناءه، وبناءً على ذلك فإن عضويات دودرلين تصل إلى قمة تكاثرها ونشاطها في منتصف مدة الطهر، وقد وصل معدلها- في الدراسة- إلى ١٠x٥ مم^{٣}، ثم تقل وتضعف قبل الحيض مباشرة.

- عند حدوث الحيض ونزول الدم، فإن درجة التأين الحمضي للمهبل تتغير من الحامضية إلى القلوية فتموت تلك العضويات، ويأخذها تيار الدم معه إلى خارج المهبل

- في وقت الحيض تكون الفرص كلها سانحة والظروف كلها مهيأة تماماً لنمو وتكاثر ثم نشاط الجراثيم الضارة.

- وفي غياب تلك العضويات، وتبدل درجة التأين الحمضي إلى القلوية، وفي وجود الدم الذي يعتبر الغذاء الشهي للجراثيم الضارة، فإن الجراثيم تجد المرتع الخصب للنمو والتكاثر، والنشاط ليس هذا فحسب فإنما تدعو صويحباتها من جراثيم الشرج وجراثيم مجرى البول، والشرطي غائب"عضويات دودرلين" وليس أشد غدراً من جرثومة

(1) رواه أبو داود.

ضارة، وليس من مانع يمنع دخول الجراثيم إلى جدار الرحم المتهتكة في هذا الوقت بالذات، ولإنفاذها إلى داخل فراغ البطن، ولا إلى اقتحامها الأنسجة الرخوة ، والبالغ الطراوة في تلك الآونة الحرجة سوى شيء واحد ذلك هو تيار الدم المضاد الآتي من أعلى إلى أسفل. فليس من الحكمة إذن ولا من المنطق في كثير أو قليل معاندة الطبيعة باقتحام حاجز الدفاع الأوحد والباقي للمحيض.

● وقد وجدت الدارسة أن طفيل الترايكومونس في وقت الحيض يتضاعف أربعة أضعاف، وهذا الطفيلي وجد في أعلى المهبل أثناء الحيض متحيناً فرصته ومترقباً صيده ومعروف أنه يسبب التهابات في الجهاز البولي والتناسلي للذكر وانتقاله إليه لا يكون إلا عن طريق المباشرة الزوجية ، واحتمال الإصابة به قائم في ذلك الوقت إذا حدثت المباشرة، ولقد نص القرآن الكريم والسنة النبوية على شَرْطَي الطهر: انقطاع الدم، والتطهر بالماء لاقتفاء أثر الدم كما أوضح رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل فقال: خذي فرصة ممسكة ففوطي ثلاثاً. قالت كيف أتطهر؟ ثم إن النبي ﷺ استحيا، فأخَذْتُها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ فقلت: تتبعي أثر الدم .

فبذلك التطهر تزول الجراثيم الضارة في الوقت الذي لا يوجد فيه تيار سائل جار لغسلها طبيعياً ويهيئ الظروف لوجود عضويات دودرلين مرة أخرى، خاصة إذا ما أثبتت السنة النبوية بالتطهر بالمسك فهو فضلاً عن طيب رائحته فهو قاتل للجراثيم.

(انظر مجلة الإعجاز العدد الثالث)

ب) الختان للجنسين الذكر والأنثى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب"(١).

والختان قطع الجلدة التي تغطي الحشفة، والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة.

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء"(٢).

فالختان سنة للمسلمين وعلامة فارقة فيهم وشعار لهم، ويشاركهم في ذلك اليهود لأن أول من أمر به هو إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام.

ونشرت المجلة الطبية البريطانية مقالاً في عام ١٩٨٧م جاء فيه: "إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود، وفي البلدان الإسلامية حيث يجرى الختان أثناء فترة الطفولة، وأثبتت الإحصائيات الطبية أن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله".

وفي المجلة الأمريكية لأمراض الأطفال، مقال جاء فيه: "إن الرجل غير المختون يعتبر معرضاً لسرطان القضيب، وحين يمكن منع حدوث هذا السرطان إذا ما اتبع مبدأ الختان عند الوليدين".

---

(1) رواه البخاري ٥٨٨٩، و٥٨٩١، و٦٢٩٧، ومسلم ٢٥٧، كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي ومالك وابن ماجة وأحمد.

(2) عند أحمد بسند ضعيف (٢٠٦٧٠) وعن ابن عباس عند الطبراني والبيهقي وأبي الشيخ، وعن أبي أيوب عند الطبراني والبيهقي.

وقد أثبتت الدراسات أن سرطان القضيب يعزى إلى عدم إجراء الختان، وقلة الاعتناء بنظافة القضيب وبقاء مفرزات بين الحشفة والقلفة.

وأكدت المجلة الأمريكية للأطفال: "أن العوامل الدينية عند المسلمين واليهود التي تقرر اتباع الختان تلعب عاملاً أساسياً في حث هؤلاء على الأخذ بهذه الفطرة".

وتفصيل ذلك: أن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون بمثابة المستنقع الذي تنمو فيه أكثر العوامل المرضية، ويسقيها البول بنجاسته، فتتكاثر وتنتعش، وتتكون على جدر هذا الجيب مادة بيضاء مترسبة هي نتيجة بقايا الجراثيم والفطور، وإفرازات الغدد الدهنية والعرقية مع فوسفات النسيج المخاطي وترسبات البول ومحتوياته.

ومن هنا يسهل علينا أن نتصور كيف تدخل العوامل المرضية من صماخ البول عند من لم يختتن وتلج هذه الإحليل ومنه إلى المثانة، ثم إلى الكلية، أو أنها تتابع طريقها إلى (البروستاتة) أو إلى الخصية والبربخ، وقد تسبب العقم عند الرجال نتيجة التهاب الخصية والبربخ، وقد ثبت أن الختان يمنع سرطان رأس القضيب إذ لا وجود لهذا السرطان عند المختونين، أو كلما كان الختان في سن أبكر تكون الوقاية أضمن.

وهذه الالتهابات قد تنتقل إلى المرأة فتسبب عندها التهابات الفرج، والتهابات غدة بارتولان، والتهاب المهبل، أو يلتهب عنق الرحم ويتقرح، وقد يكمل الالتهاب سيره المشؤوم فيصيب الرحم، أو الملحقات كالبوتين مما يسبب العقم عند المرأة.

ولا نقول إن الختان يمنع، أو يخفف كثيراً من هذه الالتهابات التي ذكرت فحسب، وإنما هناك أمراض لا يفيد فيها إلا الختان مثل تضيق القلفة الخلفي، أو الالتهاب الأمامي والخلفي، والتصاق القلفة بالحشفة، وبعض أنواع حصر البول المتكرر بسبب القلفة، وختان الزوج له دور كبير في وقاية الزوجة من أكثر أمراض النساء الالتهابية.

وأما ختان الأنثى ويسمى في الشرع "الخفض" فهو سنة، ومكرمة لها وبخاصة عندما تكون الأعضاء التناسلية الخارجية عندها من البظر، أو الشفرين الصغيرين مفرطي النمو بشكل يدعو إلى النفور والاشمئزاز، أو أن هذا الإفراط في النمو والتدلي إلى الخارج يؤدي في المستقبل إلى الإثارة الجنسية المستمرة بسبب الاحتكاك المتواصل، فيخف عندها الحياء والعياذ بالله، وقد تترلق إلى الانحراف والمعصية، ولهذا سماه رسول الله ﷺ مكرمة.

ثم إنه عندما يزيد نمو هذه الأعضاء زيادة كبيرة يتعذر الجماع نظرًا لإحالتها دون ولوج القضيب في المهبل.

أما إذا لم يوجد عند الفتاة أصلاً ما يمكن قطعه أو كان ما لديها معتدلاً فلا مبرر للختان، والله أعلم.

ويلاحظ بصورة عامة فرط نمو الأعضاء التناسلية الخارجية عند الإناث كلما اقتربنا من خط الاستواء، وضمورها واستواؤها كلما توجهنا شمالاً حتى يندر فرط النمو في الشعوب الشمالية.

ج) أكل الميتة.

أفاد الدكتور جون هونوفر لارسن أستاذ قسم البكتريا في مستشفى غيس، المستشفى الرسمي وأكبر مستشفيات كوبنهاجن: "إن لحم الميتة مستودع للجراثيم، ومستودع للأمراض الفتاكة، ولذلك شرعت القوانين في أوروبا بتحريم أكل الميتة".

وذكر أن الحيوان الذي يموت مختنقاً تنتقل الجراثيم التي فيه إلى من يأكل لحمه، وذلك لأن جدار الأمعاء الغليظة، حيث توجد الفضلات، يعمل كحاجز يمنع انتقال الجراثيم من الأمعاء الغليظة إلى جسم الحيوان وإلى دمه طالما كان الحيوان على قيد الحياة.

ومعلوم أن الأمعاء الغليظة مستودع كبير للجراثيم الضارة بالإنسان، والجدار الداخلي لهذه الأمعاء يحول دون انتقال هذه الجراثيم إلى جسم الحيوان، كما أن في دماء الحيوان جداراً آخر يحول دون انتقال الجراثيم من دم الحيوان، فإذا حدث للحيوان خنق فإنه يموت موتاً بطيئاً، وتكمن الخطورة في هذا الموت البطيء عندما تفقد مقاومة الجدار المغلف للأمعاء الغليظة تدريجيًا قوتها مما يجعل الجراثيم الضارة تخترق جدار الأمعاء إلى الدماء وإلى اللحم المجاور، ومن الدماء تنتقل هذه الجراثيم مع الدورة الدموية إلى جميع أجزاء الجسم لأن الحيوان لم يمت بعد، كما تخرج من جدار الأوعية الدموية إلى اللحم بسبب نقص المقاومة في جدر هذه الأوعية الدموية، فيصبح الحيوان مستودعًا ضخمًا لهذه الجراثيم الضارة، ثم تفتك هذه الجراثيم المتكاثرة بصحة الحيوان حتى الموت، وموته في هذه الحالة يعني وجود خطر كبير في جسد هذا الكائن الذي يموت مختنقًا، وأفاد أيضًا أن هذا الأمر يحدث للحيوان الذي يموت بأي وسيلة من الوسائل غير الذبح الذي يقوم به المسلمون لتذكية الحيوان، قال الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ)(١) .

د) تحريم أكل لحم الخنزير.

أفاد الدكتور جون هونوفر لارسن أستاذ قسم البكتريا في مستشفى غيس، المستشفى الرسمي وأكبر مستشفيات كوبنهاجن بأنه اكتشف جرثومة جديدة اسمها "بارسينا" وهذه الجرثومة لا توجد إلا في الخنزير فقط، ولا تعيش إلا في درجة منخفضة جداً هي (٤٠٠ مئوية)، وهذه الجرثومة يصاب بها كثير من الأوربيين، وكثير

(1) سورة المائدة الآية ٣

من إصابات العمود الفقري والمفاصل ترجع إلى هذه الجرثومة. (انظر العدد الثالث من مجلة الإعجاز).

هذا إضافة إلى ما سبق أن اكتشف من وجود الدودة الشريطية وبويضاتها المكسية في لحمه ودمه وأمعائه، رغم المحاولات الكثيرة من قبل الأطباء البيطريين في إحراق كميات كبيرة من لحمه للتخلص من هذه الدودة، فإنها تظهر من جديد دائماً وأبداً.

كما أن علماء النفس قد اكتشفوا أن أكل لحم أي حيوان ينقل صفات ذلك الحيوان إلى الآكل، ولما كان الخنزير من أقذر الحيوانات، حيث يحب الحياة بين الأوساخ رغم كل المحاولات لتنظيف حظيرته وتنقيتها، إضافة إلى ذلك، فإنه الحيوان الوحيد الذي لا شرف عنده البتة، فهو يساعد غيره من الذكور على جماع أنثاه. ومن الممكن إذا صح هذا الاستنتاج، أن تعزى ظاهرة عدم غيرة الغربيين إلى أكلهم لحم الخنزير.

هـ) صيام الأيام البيض.

لقد جاءت السنة النبوية المطهرة في أحاديث كثيرة تحث المسلم على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو بالتحديد الأيام التي تكون لياليها ببيضاء يعني من أشعة القمر حين يكون بدرًا، وهي يوم (١٣ و ١٤ و ١٥) من كل شهر عربي.

فعن أبي ذر ﷺ: "قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة"(١).

وقد لاحظ الباحثون أن هذه الأيام الثلاثة عندما يكون القمر بدراً في لياليها يزداد المد في البحر ازدياداً كبيراً، مما يسبب الهيجان الكبير، كما لاحظوا أن الإنسان أيضًا

(1) رواه النسائي والترمذي وأحمد وعبد الرزاق وغيرهم.

يصاب بمثل هذا الهيجان في هذه الأيام وبخاصة من الناحية الجنسية، بل وجدوا أن هذه الأيام الثلاثة تكثر فيها الجرائم بدافع الهيجان الذي يصاب به الإنسان فيها، وقد ربط بعض الباحثين بين ما يحدث على الأرض وما يحدث في جسم الإنسان بأن نسبة الماء في الكرة الأرضية هو ٧٥% تقريبًا وكذا نسبة الماء في جسم الإنسان هو قريب من هذا.

ولما كان الصوم هو الدواء الوحيد الذي يخفف من حدة الإنسان وهيجانه الجنسي، وذلك كما هو معروف أن أعظم الدوافع في الإنسان هو دافع الأمومة ثم الدافع إلى الطعام ثم الدافع الجنسي، وإذا كان الإنسان صائماً فإنه يخفف من اندفاعه لاندفاع الجسم بدافع الطعام والشراب.

فيكون رسول الله ﷺ بهذا الهدي قد أعطى الإنسان دواءً ناجعاً ليكون هادئاً في وقت الثورة والهيجان، فصلى الله عليه وسلم من عالمٍ علمنا الكثير، وسيكشف العلم من علمه الكثير.

و) تفشي مرض الإيدز نتيجة انتشار الفاحشة.

جريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها، وهي تدل على انحراف في الفطرة، وفساد في العقل وشذوذ في النفس، ومعنى اللواط أن يجامع الرجل رجلاً أو امرأة ولكن في دبرها لا في قبلها.

قال تعالى: (أتأتون الذكران من العالمين ✍ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون)(١).

(1) سورة الشعراء الآيتان ١٦٤-١٦٥

وسميت باللواط نسبة إلى قوم لوط عليه السلام التي ظهرت فيهم هذه الفعلة لأول مرة في تاريخ الإنسانية (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)(١).

فعاقبهم الله تعالى بأقسى عقوبة فخسف الأرض بهم، وأمطر عليهم حجارةً من سجيل جزاء فعلتهم القذرة وأنزل في ذلك قرآناً يتلى ليبقى عبرة للأمم والأجيال، قال تعالى: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)(٢).

هذا ما ثبت في تاريخ الإنسانية، وعاقبهم الله تعالى بعقاب لم يبق منهم بعده أثر، وكان ذلك حتى لا يبقى من المجرمين أحد، وحتى لا ينقلوا أمراضهم الاجتماعية والبدنية إلى جيل آخر من بعدهم، فإن الله تعالى يحب أن تبقى الدنيا نظيفة من أدران الرذيلة والانحراف، ولهذا جاء رسول الهدى يبين لنا عظم هذه الجريمة في أحاديثه الشريفة التي أوضحت لنا الطريق الحق الذي يجب اتباعه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط"(٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا ينظر الله ﷻ إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها" (٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ملعون من أتى امرأة في دبرها"(٥)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

---

(1) سورة الأعراف الآية ٨٠

(2) سورة هود الآية ٨٢

(3) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(4) رواه الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة وابن حبان وهو صحيح.

(5) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم وإسناده حسن.

قال: "ملعون من عمل عَمَل قوم لوط"(١)، فاللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، ولا يكون ذلك إلا لفعل كبيرة من الكبائر العظيمة في الإثم والكراهة في الفعل، وتكرار ذلك في جريمة اللواط دليل واضح على عظم هذا الذنب الذي يستحق صاحبه كل عقوبة، والأحاديث في هذا كثيرة.

وقد حذرنا رسول الهدى ﷺ من مغبة الفواحش عامة، ومن إعلانها في المجتمع، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"(٢).

فهذه العقوبات التي ذكرها رسول الله ﷺ لمن يعرض عن ذكره إعراضاً كلياً أو جزئياً فلكل عمل جزاء، فالفاحشة وفشوها في المجتمع الإنساني جزاؤها أمراض جديدة ما كانت في الأسلاف وهذا ما نعيشه في هذا القرن.

ولقد شاءت إرادة الله أن يبعث في القرن العشرين تِنِّيناً كاسراً يوقظ الراقدين ويبعث الرعب في قلوب الذين أعمى أبصارهم زيف الحضارة، وظنوا أن الجنس كالطعام يترددون عليه ويتناولونه حيث شاؤوا وأنى أرادوا، وكيف عنَّ لهم دون أن

(1) رواه أحمد في المسند والترمذي.

(2) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن برقم (٤٠٠٩)

يكون هناك نظام رادع أو قيم معتبرة، ولقد تخبطت حضارة القرن العشرين في حرية الجنس فما تركت من فضيلة إلا وعبثت بها، ولا شرف ولا عفة إلا وحطمت أركانه، ولا كرامة للمرأة إلا دنستها.

وكان مرض الإيدز صيحة أقلقت الغرب في مضاجعه وما يزال، وكان وصمة عار على أولئك الذين عزفوا عن الزواج، وابتغوا اللواط مذهبًا لهم.

يقول الدكتور جورج دنيا: "إن تظاهرات الشاذين جنسياً في الشوارع قد اختفت، والحمامات العامة قد أغلقت أبوابها، والدعوة إلى الطهارة والعفة والزواج من امرأة واحدة قد عادت للظهور، وإن الخوف من الإيدز قد يعيد القيم الأخلاقية والاجتماعية التي كانت في الخمسينات إلى الظهور، وإن تقديس الفتاة العذراء قد يعود من جديد".

نعم "الطهارة، العفة، المرأة العذراء" كلمات أصبحت تتردد على شفاه الملايين بعد أن غابت عبر السنين الطويلة في الفسق والفجور، وفي إحصاء لمرضى الإيدز تبين أنهم أنواع أربعة:

١- الشاذون جنسياً، وتبلغ نسبتهم في بريطانيا ٨٤%.

٢- الذين يتعاطون المخدرات بواسطة الحقن.

٣- الزناة الذين يتعاطون الفاحشة مع أكثر من امرأة.

٤- مرضى انتقل إليهم فيروس الإيدز مع دم احتاجوا إليه.

وأما النساء فقد ظهر الإيدز عند البغايا منهن، أو عند من يتناولن المخدرات.

إن الشاذين جنسياً أو مدمني المخدرات هم الذين يلامون على انتشار الإيدز وإنهم يحملون مسؤولية سريان هذا الوباء في المجتمع الإنساني.

والطريقة الوحيدة لتجنب داء الإيدز هي أن يقتصر الرجل على علاقة زوجية شريفة، ولو اقتصر الرجل على علاقته بزوجته، والزوجة على علاقتها بزوجها فقط لكان احتمال الإصابة بالإيدز أمرًا شبه مستحيل.

ومن هنا نعلم دقة الأحكام الإسلامية التي بينتها السنة النبوية، حيث بينت أن عمل قوم لوط هو من أخوف ما يخافه النبي على الأمة، وذلك لما يحمله من أضرار سيئة وخيمة العاقبة كما بين أنهم ملعونون.

وكذلك عندما جعل جزاء هذا العمل هو قتل الفاعل، والمفعول به حتى لا يبقى لهذه الجريمة أي أثر في المجتمع، مادياً كان أو معنوياً، وبهذا كان المجتمع المسلم نظيفًا نظافة مطلقة من كل مرض يمكن أن يصيب البغاة والذين يسيرون في طريق البغي والفجور.

ويظهر إعجاز السنة النبوية العلمي في هذا الموضوع عندما أخبر أن شيوع الفاحشة في المجتمع سبب لظهور أمراض لم تكن معروفة فيمن سبقهم، وهذا ما رآه المجتمع الإنساني في قرننا الحالي.

س١٥٣) ما هي صور الإعجاز العلمي في الطب النبوي مع التمثيل لذلك؟

ج١٥٣) صور الإعجاز العلمي في الطب النبوي في كل مجالات الطب التشريحي (الفيزيولوجي) الوقائي والعلاجي، وسأضرب أمثلة قليلة في ذلك لضيق المجال:

فمن ذلك: ما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١).

---

(1) رواه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦، وغيرهما.

إن هذا التصوير الذي يصوره الحديث الشريف لهو تصور علمي دقيق لما يحدث في الجسم فترتفع بذلك حرارة الإنسان، ويصاب بالحمى التي تمنعه من النوم، وتقلقه في ليله، وتؤرقه في نهاره، وهذا الترابط ليس بين الأجزاء العضوية في جسم الإنسان بل يتعداه إلى الناحية النفسية أيضاً.

وكذلك قوله ﷺ "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"(١).

فالقلب الإنساني أساس الصحة في البدن، فإذا كان هذا القلب سليماً من الأمراض معافى من الأسقام، كان الجسد كله سليماً في الأعم الأكثر.

ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "اكتحلوا بالإثمد، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر"(٢)، وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "عليكم بالإثمد فإنه منبت للشعر، مذهبة للقذى ومصفاة للبصر"(٣).

والإثمد يستعمل ضمن الأدوية المعالجة "للتراخوما" وإذا استمرت الدراسات قد تستنتج من الإثمد الأشياء الكثيرة.

ومن ذلك ما جاء عن المقداد بن معديكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"(٤).

---

(1) رواه البخاري٥٠٢ و٢٠٥١ و٢٤٩٣ و٢٦٨٦، ومسلم ١٥٩٩ وغيرهما.

(2) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة وغيرهم.

(3) سنده حسن، رواه الطبراني وابن أبي عاصم وأبو نعيم.

(4) حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم.

فهذا الحديث يعطي تنظيماً دقيقاً لطعام الإنسان بحيث لا يزيد عن الحاجة ولا ينقص عنها، فيعيش الإنسان براحة مبتعدًا عن السمنة التي تتعب الجسم والقلب وهو داء القرن العشرين.

ومن ذلك ما قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن" وفي رواية "ما أعلم شراباً يجزئ عن الطعام غير اللبن"(١).

فيشير بذلك رسول الله ﷺ إلى ما في اللبن من المواد النافعة الكثيرة الضرورية لقيام الجسد الإنساني صغيراً كان أو كبيراً، فقد أشار إلى قيمة اللبن الغذائية في زمن لم يكن يدرك الناس وقتئذ تركيب اللبن، وما يحتوي عليه من عناصر، ومركبات الغذاء الحيوي الهام التي لا تجتمع في شراب غيره.

ومن ذلك أيضاً ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "يا عائشة إن بيتًا لا تمرَ فيه جياع أهله"، أو قال: "بيت لا تمرَ فيه كالبيت لا طعام فيه" (٢).

فيبين أن التمر يكفي الإنسان بالغذاء، ويشبعه فلا يحتاج إلى غيره، وقد ثبت احتواؤه على الكثير من المعادن حتى سمي منجماً لكثرة المعادن فيه، وهو وجبة غذائية ممتازة تحتوي على فيتامين (أ) وفيتامين (ب) والسكر سهل الهضم بعكس المواد النشوية

ومن ذلك قوله ﷺ: "كل مسكر خمر وكل خمر حرام" (٣).

---

(1) حديث حسن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وغيرهم.

(2) رواه مسلم ٢٠٤٦ وغيره.

(3) رواه مسلم في كتاب الأشربة حديث رقم: ٣٧٣٥ .

وكل الدراسات الحديثة تؤكد ضرر الخمر على صحة الإنسان، وأنها تسبب الأمراض الكثيرة الجسدية والنفسية، فالرسول ﷺ يضع قاعدة: أن كل شراب سبب في اغتيال العقل والإسكار فهو خمر له حكم الخمر بالتحريم.

ومن ذلك حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة"(٢).

ففي هذين الحديثين وغيرهما كثير، يؤكد رسول الله ﷺ على أهمية الصحة والعافية، وهذا ما تبذله الآن دوائر الصحة في كل بلاد الدنيا من أجل محافظة أفرادها على صحتهم وعافيتهم.

ومن ذلك ما جاء عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"(٣)، فهذا الحديث يضع القاعدة الأساسية للحَجْر الصحي الذي تقوم به الدول للحماية من الأمراض الواردة إذ نجد ذلك في الأمثلة الكثيرة على الإعجاز النبوي في مجال الطب.

---

(1) رواه البخاري.

(2) أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء برقم ٣٨٤١

(3) رواه البخاري في كتاب الطب حديث رقم: ٥٢٨٧

الخاتمة

وبعد .

•فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله على كل حال، نحمده تعالى الذي يسر لنا إتمام هذا الجهد المتواضع، ونسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به والمسلمين، كما نسأله أن يعظم الأجر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، وأن يجعله في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

•ولابد من التذكير في خاتمة هذا البحث بأنه إنما كان إجابات على تساؤلات وردت من قبل بعض الناس الذين يفكرون في الدخول في الإسلام، أو هم حديثو عهد به، أو ممن يعيشون قريبًا من المسلمين من خلال عملهم أو حياتهم العامة، وقد روعي في الإجابات هذه المستويات بشكل عام، وكان الكتاب مقتصرًا على الأسئلة الواردة واقعيًا وليست أسئلة مختارة أو متوقعة.

•ولعل هذا الكتاب المتواضع يكون بداية وإرهاصًا لدراسات مركزة تهم الدعاة إلى الإسلام في أوساط الجاليات التي تعيش في المجتمعات الإسلامية، ولعل العاملين للإسلام يخصصون جزءًا مباركًا من وقتهم، يتلمسون فيه احتياجات الدعوة لغير المسلمين على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم، والأفكار التي يتوقع أن تكون سائدة بينهم، وعلى اختلاف الملل والمذاهب التي يدينون بها، ويكتبون الكتابات المدعومة بالأدلة والبراهين والحجج العلمية والعقلية التي تفند الشبهات وتجلي معالم الحق وترفع منار الإسلام في وجه الراغبين فيه أو المعرضين عنه والحاقدين عليه على حد سواء.

•ويجب على الدعاة الإسلاميين أن يعيشوا عصرهم ويدركوا عظمة التحديات الجاهلية وخطرها، ويعدوا أنفسهم ليكونوا على قدر المسؤولية التي حملوها من يوم آمنوا بالله تعالى ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإثنين ١٦/٧/١٤٢٠هـ

مراجع الإفادة منها في موضوعات هذا الكتاب

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
١	أسس الدعوة وآداب الدعاة	أبو بكر الجزائري	
٢	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان	الإمام ابن قيم الجوزية	
٣	أقانيم النصارى	أحمد مجازي السقا	دار الأنصار
٤	الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى	الإمام القرافي	
٥	الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة	عبد الرحمن حمد الخطيلي	مكتبة الحرمين
٦	الأدلة المادية على وجود الله	الشيخ محمد الشعراوي	
٧	الأديان السماوية	ناصر الحسين بانافع	
٨	الإسلام أمام افتراءات المفترين	توفيق علي وهبة	جامعة الإمام
٩	الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي	د. عبد العظيم المطعني	دار الوفاء
١٠	الإسلام يتحدى "سنريهم آياتنا"	وحيد الدين خان	
١١	التساهل مع غير المسلمين مظاهره وآثاره	عبد الله الطريقي	
١٢	التوجيه والإرشاد النفسي للجاليات والأقليات	سعيد بن علي بن مانع	

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
١٣	الدعوة إلى الإسلام تاريخها في عهد النبي والعهود المتلاحقة	محمد أبو زهرة	
١٤	السنة المفترى عليها	الأستاذ سالم البهنساوي	البحوث العلمية
١٥	السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة	محمد محمد أبو شهبة	
١٦	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية	الشيخ أبو الحسن الندوي	دار القلم
١٧	الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون	د. أحمد الغندور	
١٨	العصريون معتزلة اليوم	يوسف كمال	
١٩	الغارة على الأسرة المسلمة	عبد القادر أحمد عبد القادر	
٢٠	المستقبل للإسلام	أحمد علي الإمام	
٢١	المسيح في الإسلام، ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح	الشيخ أحمد ديدات	
٢٢	النصرانية والإسلام	المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي	دار الأنصار
٢٣	النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية	نصر بن يحيى المتطبب	
٢٤	تعدد الزوجات في الإسلام	عبد الله ناصح العلوان	
٢٥	تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات	د. عبد الحليم عويس د.مصطفى مشهور	
٢٦	تكريم المرأة في الإسلام	محمد جميل زينو	
٢٧	تنبيهات مهمة للمحافظة على الأسرة المسلمة	سليمان العجلان	
٢٨	حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية	عبد الله ناصح علوان	
٢٩	حصوننا مهدد من داخلها	محمد محمد حسين	
٣٠	دفاع عن الإسلام ضد مطاعن التبشير	د. محمد الفاتح مرزوق	دار الاعتصام

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
٣١	رد مفتريات على الإسلام	د. عبد الجليل شلبي	دار القلم
٣٢	شبهات حول الإسلام	الأستاذ محمد قطب	دار الشروق
٣٣	شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ	الشيخ محمد علي الصابوني	
٣٤	شمس العرب تسطع على الغرب	المستشرقة زيغزيد هونكة	
٣٥	صور استشراقية	د. عبد الجليل شلبي	
٣٦	ظلام من الغرب	الشيخ محمد الغزالي	
٣٧	عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشريعة وشبهات المنكرين	عبد العظيم المطعني	
٣٨	فتاوى اللجنة الدائمة	لجنة كبار العلماء	
٣٩	فتاوى هامة ورسالة في صفة صلاة النبي	الشيخان ابن باز، وابن عثيمين	
٤٠	قرناء السوء دمروا حياتي	نوال بنت عبد الله	
٤١	قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد	أحمد منصور	
٤٢	كيف تدعو ملحدًا	مدحت بن الحسن آل فراج	
٤٣	كيف تسلم	أبو بكر الجزائري	
٤٤	لماذا أقول أن الله موجود	محمد عبد الشافي	النهضة العربية
٤٥	محمد في التوراة والإنجيل والقرآن	إبراهيم خليل أحمد	
٤٦	محن المسلمين وكيف الخروج منها	أبو بكر الجزائري	
٤٧	مفهوم الحكمة في الدعوة	صالح بن عبد الله بن حميد	
٤٨	منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب	الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر	دار ثقيف
٤٩	منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل	الدكتورة عزية علي طه	

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	دار النشر
	"دراسة مقارنة"		
٥٠	مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه	د. عبد العزيز المطعني	دار الأنصار
٥١	نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارنًا بالقوانين الوضعية	المستشار علي علي منصور	
٥٢	هموم المسلم اليومية	الشيخ عبد الحميد كشك	

فهرس

المقدمـــــة ٢

الباب الأول: في رحاب العقيدة الإسلامية

الفصل الأول: الإيمان بالله تعالى ١٧

١) سبب اختلاف الديانات في ذات الله تعالى. ١٧

٢) الحكمة من خلق الناس. ١٨

٣) دعوى التشابه بين الإسلام والنصرانية. ١٩

٤) الرحمة الإلهية ووجود الشرور في العالم. ٢٠

٥) جواز السجود لغير الله تعالى. ٢٠

الفصل الثاني: الإيمان بالرسل والرسالات ٢٣

٦) الدليل القطعي على أن ما جاء به محمد ﷺ حق. ٢٣

٧) حقيقة النبي. ٢٤

٨) محمد ﷺ إمام الأنبياء وآخر الرسل. ٢٤

٩) عيسى عليه السلام رسول وليس إلهًا. ٢٥

١٠) إسلام عيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام. ٢٦

١١) تحريف رسالة عيسى عليه السلام ليس دليلاً على إخفاقه. ٢٦

١٢) سبب تجزؤ الرسالة الإلهية إلى البشر. ٢٧

١٣) لا يجوز للمسلم المزج بين عقائد الإسلام وعقائد أخرى. ٢٨

١٤) انتفاء خلو أمة من الأمم من نبي أو رسول. ٢٨

١٥) محمد ﷺ أخر الرسل، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ليحكم بشريعة

الإسلام. ٢٩
١٦) حقيقة التوفي الذي وصف به عيسى عليه السلام. ٣٠
١٧) الأدلة على بطلان صلب المسيح عليه السلام. ٣١
الفصل الثالث: الإيمان بالكتب الإلهية ٣٣
١٨) يجوز الاستشهاد بما صح من التوراة والإنجيل الذي بين أيدينا اليوم. ٣٣
١٩) سبب بقاء القرآن محفوظًا دون الكتب الأخرى. ٣٤
٢٠) الأناجيل الحالية حوت حقًا وباطلاً. ٣٤
٢١) معايير التفريق بين الدين الحق والدين المزيف. ٣٥
٢٢) يجوز للمسلم قراءة التوراة والإنجيل بقصد التعرف على ما فيها من حق وباطل. ٣٦
٢٣) ورود ذكر نبينا محمد ﷺ في الإنجيل الحالي "يوحنا". ٣٦
٢٤) سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية دون غيرها من اللغات. ٣٧
الفصل الرابع: مسائل في الملل والمذاهب ٣٩
٢٥) حكم من عاش قبل بعثة النبي ﷺ. ٣٩
٢٦) أوجه التشابه والاختلاف بين السنة والشيعة. ٣٩
٢٧) حكم بناء الكنائس في الجزيرة العربية، وحكم دخول غير المسلمين لمكة المكرمة والمدينة المنورة. ٤٠
٢٨) سبب تخلف المسلمين اليوم مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان. ٤١
٢٩) أسباب تفضيل محمد ﷺ على عيسى عليه السلام وغيره من الرسل. ٤٢
٣٠) زيف دعوى المنصرين بأن الإسلام صورة مشوهة عن اليهودية والنصرانية ٤٢
٣١) القرآن الكريم ليس محلاً للنقد بخلاف الكتب الأخرى. ٤٣
٣٢) حكم اليهود والنصارى من حيث الكفر والإيمان. ٤٤

٣٣) حرية النصارى في البلاد الإسلامية. ٤٥
٣٤) لا تجوز التسوية بين المسلم وغيره. ٤٦
٣٥) موقف الزوج المسلم أو الزوجة المسلمة من أولادهما النصارى. ٤٧
٣٦) الحكمة من عدم دفن غير المسلم في مقابر المسلمين. ٤٨
٣٧) الحكمة من قتل المرتد عن الإسلام. ٤٨
٣٨) لا يثاب المرء إلا إذا كان من أتباع الرسل أو الأنبياء. ٤٩
٣٩) لا نجاة الآن لمسيحي لا يؤمن بمحمد ﷺ. ٤٩
٤٠) سبب التفرق والاختلاف بين ملة الإسلام وغيرها. ٥٠
٤١) السبب في كون المسلم على حق وغيره على باطل. ٥١
٤٢) موقف الإسلام من الوطنية والقومية. ٥٣
٤٣) حكم من مات دفاعًا عن الوطن. ٥٣

الباب الثاني: في رحاب الفقه الإسلامي حكم وأحكام

الفصل الأول: التشريع الإسلامي حكم ومقاصد ٥٥
٤٤) معنى الإسلام. ٥٥
٤٥) معنى الإيمان. ٥٥
٤٦) معنى الإحسان. ٥٦
٤٧) متى عرف الإنسان الإيمان لأول مرة؟ ٥٦
٤٨) هل يمكن الإيمان بالله تعالى دون أدلة حسية عليه؟ ٥٨
٤٩) هل يتوارث الناس الإسلام عن آبائهم؟ ٥٩
٥٠) هل يفرض الإسلام على المرء فرضًا أم هو بمحض إرادته ؟ ٥٩
٥١) هل يمكن لنظام هذا الكون أن يكون وُجِد صدفة ؟ ٦٠
٥٢) هل يقبل إسلام شخص أسلم لغرض شخصي ؟ ٦١

٥٣) هل النية تكفي في إسلام الشخص دون النطق بالشهادتين ؟ ٦٢
٥٤) هل يصح النطق بالشهادتين بغير اللغة العربية ؟ ٦٢
٥٥) هل يشترط للدخول في الإسلام تلقين الشهادتين أو الإشهاد عليه؟ ٦٢
٥٦) ما مفهوم الشرك؟ ولماذا يرفضه الإسلام ؟ ٦٣
٥٧) ما هي صفات الروح ؟ ٦٤
٥٨) ما العلاقة بين الحياة والموت والآخرة ؟ ٦٦
٥٩) هل تبعث الكائنات الأخرى ؟ ٦٧
٦٠) هل الإنسان بفطرته يحمل الخطيئة ؟ ٦٧
٦١) من مات على غير الإسلام هل يكون مثواه الجنة أم النار ؟ ٦٨
٦٢) ما الذي يدخل الإنسان الجنة ؟ ٦٨
٦٣) هل تلاوة القرآن الكريم دون تدبر لمعانيه تعتبر عبادة ؟ ٦٩
٦٤) ما الحكمة من كل ركن من أركان الإسلام ؟ ٧٠
٦٥) هل عدم التوفيق في الحياة نوع من الابتلاء ؟ ٧٤
٦٦) هل في الإسلام رهبنة ؟ ٧٦
٦٧) كيف نفسر التناقض بين عبادات المسلمين وسلوكهم الخاطئ ؟ ٧٧
الفصل الثاني: مسائل في الطهارات الحسية والمعنوية ٧٩
٦٨) متى يعد المرء طاهرًا في نظر الإسلام ؟ ٧٩
٦٩) ما العلاقة بين طهارة الروح وطهارة البدن ؟ ٨٠
٧٠) هل يجب الاغتسال عند الدخول في الإسلام؟ ٨١
٧١) هل يغني الوضوء عن الاغتسال عند الدخول في الإسلام؟ ٨١
٧٢) ماذا يفعل من أراد الدخول في الإسلام و لم يجد ماءً للاغتسال؟ ٨١
٧٣) هل إزالة الشعر واجبة على من أراد الدخول في الإسلام ؟ ٨١

٧٤) ما حكم الإسلام في الملابس التي كان يرتديها الشخص قبل إسلامه ؟ ٨٢
٧٥) ألا يوجد تناقض بين الحث على الطهارة والأمر بالتيمم؟ ٨٢
٧٦) لماذا الاغتسال من الجنابة ولا يكفي غسل العضو فقط؟ ٨٣
٧٧) ما حكم الإسلام في ختان المرأة؟ و لم تهان بذلك ؟ ٨٤
٧٨) ما حكم الإسلام في ذبائح أهل الكتاب ؟ ٨٤
الفصل الثالث: مسائل في الصلاة **٨٥**
٧٩) هل تصح الصلاة بلغات أخرى غير العربية ؟ ٨٥
٨٠) ما حكم تارك الصلاة إهمالاً وليس جحوداً ؟ ٨٥
٨١) هل تبطل الصلاة حالة الانشغال فيها بأمور الدنيا ؟ ٨٦
٨٢) لماذا الركوع والسجود في الصلاة؟ و لم لا يكتفى بالكلام وحده؟ ٨٦
٨٣) هل يجوز للمسلم الصلاة في الكنيسة ؟ ٨٧
٨٤) هل يقضي من أسلم حديثًا ما فاته من الفرائض قبل الإسلام ؟ ٨٧
٨٥) هل تصح صلاة من دخل في الإسلام و لم يختتن بعد ؟ ٨٨
الفصل الرابع: مسائل في الزكاة **٨٩**
٨٦) لماذا يعطي المسلم من ماله الذي تعب فيه للفقراء والمساكين الذين لو شاء الله لأعطاهم؟ ٨٩
٨٧) هل يجوز إعطاء الزكاة للأقارب تأليفًا لقلوبهم نحو الإسلام ؟ ٩٠
٨٨) هل كفالة الدعاة وتوزيع الكتب الإسلامية تدخل في مصرف "في سبيل الله" ؟ ٩١
الفصل الخامس: مسائل في الصوم ٩٢
٨٩) أليس في الصوم تعذيب للنفس والجسد؟ وما فائدة ذلك؟ ٩٢
٩٠) هل يتفق يسر الإسلام مع مشقة الصوم في البلاد الحارة؟ ٩٣

٩١) كيف يصوم من لا تغيب الشمس عنهم إلا قليلاً من اليوم؟ ٩٤
الفصل السادس: مسائل في الحج ٩٥
٩٢) أليس في بعض أعمال الحج – كتقبيل الحجر الأسود والطواف حوله – ما يشبه عبادة الأصنام؟ ٩٥
٩٣) ما الحكمة من الطواف حول الكعبة ؟ وهل يعبدها المسلمون؟ ٩٦
الفصل السابع: شؤون الأسرة والمرأة ٩٨
٩٤) الحكمة من تحديد عدد الزوجات في الإسلام . ٩٨
٩٥) الحكمة من منع تعدد الأزواج في الإسلام. ٩٩
٩٦) الحكمة من منع التمتع بالزوجة أيام الحيض. ١٠٠
٩٧) الحكمة من اشتراط الولي للمرأة في عقد النكاح. ١٠١
٩٨) الحكمة من عدم السماح بزواج المسلمة من اليهودي والنصراني. ١٠٢
٩٩) الحكمة من جعل الطلاق بيد الزوج. ١٠٣
١٠٠) الحكمة من وضع ضوابط للطلاق منها تدخل القاضي أحيانًا. ١٠٤
١٠١) الحكمة من عدم السماح للمرأة بتزويج نفسها. ١٠٤
١٠٢) حكم الطلاق عند عدم الإنجاب من أحد الزوجين. ١٠٦
١٠٣) حكم اختيار المرأة للزوج بنفسها. ١٠٦
١٠٤) الحكمة من جعل نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة في الميراث. ١٠٨
١٠٥) الحكمة من عدم التوارث بين الأقارب إن اختلفوا في دينهم. ١٠٩
١٠٦) الحكمة من حرمان القاتل من الميراث. ١٠٩
١٠٧) الحكمة من منع المرأة من السفر دون محرم. ١١٠
١٠٨) الحكمة من منع المرأة من الحج دون إذن زوجها. ١١١
١٠٩) الحكمة من منع المرأة من تولي ولاية عامة. ١١١

١١٠) الحكمة من منع المرأة من تولي ولاية القضاء ١١٢
١١١) ما معنى أن النساء ناقصات عقل ودين ؟ ١١٢
١١٢) ما معنى أن المرأة خلقت من ضلع أعوج؟ ١١٣
١١٣) هل يجوز للمرأة أن تدخل مجال الحياة السياسية؟ ١١٤
١١٤) الحكمة من كون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل. ١١٤
١١٥) الحكمة من رجم الزاني أو جلده. ١١٥
١١٦) الحكمة من حجاب المرأة. ١١٦
الفصل الثامن: المجتمع الإسلامي والعلاقات الإنسانية ١١٨
١١٧) الحكمة من إلزام غير المسلم بقضاء المسلمين عندما يعيش معهم. ١١٨
١١٨) موقف الإسلام من الرق والعبودية. ١١٩
١١٩) الحكمة من الاختلاف بين الذكر والأنثى في العقيقة. ١٢٠
١٢٠) هل يسمح لغير المسلم أن يدخل المسجد الحرام ؟ ١٢١
١٢١) هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ١٢١
١٢٢) حكم الإسلام في الدخان. ١٢٢
١٢٣) حكم التعامل مع البنوك دون أخذ فائدة. ١٢٣
١٢٤) هل يمكن الاستفادة من بعض المبادئ الغربية الحسنة؟ ١٢٤
١٢٥) الحكمة من تحريم الربا مع رضا الطرفين المتعاملين به. ١٢٥
١٢٦) حكم اللعب بالشطرنج. ١٢٦
الباب الثالث: في رحاب القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية
الفصل الأول: مسائل حول القرآن الكريم ١٢٩
١٢٧) إثبات أن القرآن الكريم كلام الله. ١٢٩
١٢٨) إثبات سلامة القرآن الكريم من التبديل والتحريف. ١٣٣

١٢٩) أوجه الشبه والاختلاف بين القرآن والكتب السماوية الأخرى. ١٣٥
١٣٠) المنهجية التي حفظ بها القرآن الكريم. ١٣٦
١٣١) هل ثواب قراءة ترجمة القرآن الكريم كثواب قراءة نصوصه؟ ١٣٩
١٣٢) كيف يتعرف غير المسلم على القرآن الكريم وهو لا يجوز له مسه؟ ١٤٠
١٣٣) الحكمة من وجود المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. ١٤٠
١٣٤) ترتيب السور في القرآن الكريم وتسميتها. ١٤٢
الفصل الثاني: مسائل حول السنة النبوية ١٤٤
١٣٥) الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي والحديث القدسي. ١٤٤
١٣٦) الفرق بين السنة النبوية والسيرة النبوية. ١٤٩
الفصل الثالث: مسائل حول السيرة النبوية ١٥٠
١٣٧) إثبات أن محمدًا ﷺ رسول حقًا. ١٥٠
١٣٨) وصف المسلمين بالإرهاب والرد على ذلك. ١٥٨
١٣٩) الحكمة من زيادة نساء النبي ﷺ عن أربع. ١٦٥
١٤٠) تفسير هزيمة المسلمين يوم أُحُدٍ مع وعد القرآن لهم بالنصر. ١٦٩
١٤١) هل نحن مطالبون بالاقتداء بالنبي ﷺ حسبما ورد في سيرته ؟ ١٧٣
١٤٢) الفرق بين المعجزة والسحر. ١٧٥
١٤٣) حقيقة عصمة الله لنبيه ﷺ من أذى الناس. ١٧٨
١٤٤) زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، وكشف الغموض في ذلك. ١٨٠
الباب الرابع: في رحاب الإعجاز العلمي
الفصل الأول: قطوف من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ١٨٥
١٤٥) وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. ١٨٥
١٤٦) تأكيد العلم الحديث بأن القرآن لا تنقضي عجائبه. ١٨٦

١٤٧) كيفية فهم السلف إعجاز القرآن الكريم دون توفر وسائل التكنولوجيا لديهم. ١٩٠
١٤٨) التوفيق بين تصوير الأرحام الآن وبين الإيمان بأنه لا يعلم ما بها إلا الله تعالى. ١٩١
١٤٩) تفسير بعض الآيات القرآنية علميًا. ١٩٢
١٥٠) الإعجاز العلمي في الناصية. ٢٠٢
الفصل الثاني: قطوف من الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢٠٤
١٥١) موقف العلم من تطهير نجاسة الكلب بالتراب. ٢٠٤
١٥٢) ما هي صور الإعجاز العلمي فيما يلي: ٢٠٥
- ظاهرة الحيض عند النساء ٢٠٥
- الختان للجنسين الذكر والأنثى ٢٠٧
- أكل الميتة ٢١٠
- تحريم أكل لحم الخنزير ٢١١
- صيام الأيام البيض ٢١٢
- الإيدز وانتشار الفاحشة ٢١٣

١٥٣) من مظاهر الإعجاز العلمي في الطب النبوي. ٢١٧
الخاتمـــــة ٢٢١
مراجع للإفادة منها في موضوعات هذا الكتاب ٢٢٣
الفهـــــرس ٢٢٦